معهد الاستشراق في سرايیفو بالبوسنة والهرسك تراثنا كان هنا يا ولدي

افتتاحية العدد

تأسس معهد الاستشراق (Orijentalni institut u Sarajevu) في ربيع سنة ١٩٥٠م بسرايیفو - عاصمة البوسنة والهرسك التي كانت ضمن الاتحاد اليوغسلافي سابقًا -، وهو معهد للدراسات الاستشراقية، وكان في بداية تأسيسه معهدًا لتأدية مهمة استشراقية بحتة، ولكن أخذت هذه المهمة في التغير بعد فترة من الزمن؛ وذلك عندما تولى إدارته المستشرق سليمان غروزنيتش؛ حيث تغيرت النظرة للتراث البوسني، فأصبح يدرس كتراث أصيل، ومرجع حضاري للأجيال الجديدة، وليس بوصفه تراثًا شرقيًا أجنبيًا عن أهل البوسنة، فأصبح المعهد يقوم بدور المسئول عن ردم تلك الهوة التي فصلت الأجيال الجديدة عن تراثها الماضي زمنًا طويلًا ؛ وذلك بإصدار دراسات وأبحاث وإعادة نشر هذا التراث باللغة البوسنية الحالية، وبترجمة المؤلفات الكلاسيكية التي كتبت بالعربية والفارسية والعثمانية إلى اللغة البشناقية؛ وبذلك فإن أدب المسلمين في البوسنة أخذ يعود إلى الحياة، ويجري على ألسنتهم وأقلامهم بعد عام ١٩٧٠م؛ حيث كثرت الإصدارات والمختارات التي تعيد تقديم هذا التراث، وتعريف الأجيال الجديدة بمحتواه الغني والمتنوع الذي امتد على مدار ٤٥٠ سنة تقريبًا.

فإن المنحى الجديد الذي اتخذه معهد الاستشراق في أهدافه وفلسفته وأبعاد أعماله تحت إشراف الإدارة الجديدة، والمتمثلة في إعادة بعث أمجاد المسلمين وحضارتهم في البلقان عمومًا، والبوسنة خصوصًا، بلسان شعوبها وأقوامها، وكذلك إحياء سير عظماء تلك الحضارة من العلماء والشعراء والأدباء والمؤرخين وغيرهم؛ مما أدى إلى استنهاض الهمم وتحريك الوعي الإسلامي والقومي لدى كثير من أبناء تلك البلاد، وهو ما حرك مشاعر الخوف والحذر لدى الجهات الرسمية، والهيئات والمنظمات الغير المسلمة في المنطقة؛ مما أدى إلى تنامي الكراهية للتراث

الإسلامي الذي عد إعادة إحيائه من قبل معهد الاستشراق بمثابة تهديد للكيان اليوغسلافي الموحد؛ ولذلك لما أعلنت جمهورية البوسنة استقلالها عن الاتحاد اليوغسلافي في سنة ١٩٩٢م، صب الصرب جم غضبهم على معهد الاستشراق فحدث له ما حدث.

ففي السنة التي شهدت إعلان استقلال البوسنة عن يوغسلافيا السابقة ١٩٩٢م، كان عدد المخطوطات بمعهد الاستشراق قد وصل إلى ٥٢٦٣ مخطوطة في اللغات الشرقية الثلاثة؛ (العربية والعثمانية والفارسية) بالإضافة إلى اللغة البوسنية المكتوبة بالحروف العربية، مما جعلها من أهم المجموعات في دول البلقان، فقد ضمت هذه المجموعة مخطوطات متنوعة يعود تاريخ أقدمها إلى سنة ٤١٣هـ، وهي الموسومة بـ: "النوازل من الفتاوى" للسمرقندي، كما اشتملت على مخطوطات كثيرة مؤلفوها من منطقة البلقان نفسها، وبالتحديد من البوسنة.

ولكن من كان يتوقع أن حربًا ستندلع في البلقان، وفي البوسنة نفسها، ويقع فيها ما يصدم العالم من "تطهير عرقي وديني وثقافي"، كان يهدف إلى تطهير مناطق واسعة في البوسنة من سكانها، ومما يذكِّرهم من معالم حضارتهم وتراثهم، بغض النظر عن قيمتها التاريخية: (جوامع ومدارس ومكتبات الخ)، وفي خضم هذه الحرب الضروس والشرسة بكل المقاييس جاء الدور على معهد الاستشراق في سراييفو.

ففي يوم ١٨ أيار ١٩٩٢م، حين كانت المدينة محاصرة من الجهات الأربعة، تعرض معهد الاستشراق إلى قصف صربي مركَّز أدى إلى تدميره بالكامل، وأصبح أثرًا بعد عين، وفي ذلك اليوم الحزين والأليم على الأمة الإسلامية أمكن القول إن تلك الثروة الإنسانية من المخطوطات الشرقية التي تم تأليفها وجمعها خلال ألف عام، أصبحت تاريخًا ستدرسه الأجيال القادمة، أو حكايات يرويها من عاينوا الأحداث لمن جاؤوا بعدهم، وهم يقصون على مسامعهم تفاصيل تلك المأساة، ويقولون لهم كنا نملك ثروة من العلوم ورثناها عن أجدادكم وكان مكانها هنا، ولكن حرب الصرب علينا قضت عليها وعلى المعهد فلا هي باقية، ولا المكان.

والله نسأل أن يحفظ الأمة الإسلامية وتراثها

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

معهد الاستشراق في سراييفو بالبوسنة والهرسك تراثنا كان هنا يا ولدي

المفاهيم الرحالة: المداخل إلى موضوع انتقال المفاهيم في كتب التراث العربي

د. محمد مريني
جامعة محمد الأول بوجدة - المغرب

مقالات

مدخل:

إن انتقال المفاهيم شرط أساس في كل تواصل معرفي أو ثقافي؛ ذلك أن ما يحصل على مستوى الحياة الإنسانية، يحصل على مستوى الحياة الفكرية أيضًا. إن المفاهيم ترتحل عبر المكان، وعبر الزمان، وعبر المجال؛ إذ غالبًا ما تظهر المفاهيم في سياق تاريخي أو فكري معين، تكون مناسبة لذلك السياق، لكن هذه المفاهيم تخضع لتحولات طفيفة أو جوهرية بحسب طبيعة السياق الجديد الذي يؤطرها.

لقد تنوعت المداخل إلى موضوع انتقال **المفاهيم في الفكر الغربي الحديث**، ويمكن عرض هذه المداخل بالطريقة الآتية:

- المدخل التاريخي:

يمكن عدُّ حقل **تاريخ الأفكار** هو الإطار المعرفي الخاص الذي يمكن أن ندرج ضمنه موضوع "انتقال المفاهيم"، ويعد هذا الحقل أحد الفروع العلمية التي تبحث في جوانب التطور والثبات في الأفكار والمعارف البشرية عبر الزمن؛ ذلك أن هذا الحقل المعرفي يهتم أساسًا بنشأة فكرة أو أفكار معينة، يحدد ظروف ظهورها، وأشكال الصراع مع المدارس والتيارات الفكرية المزامنة لظهورها، وذلك في ارتباط مع التطور العام للمعرفة في مجتمع من المجتمعات.

وإذا كانت المقاربات التي قدمت ضمن حقل تاريخ الأفكار قد تنوعت، فإنه يمكن الإشارة إلى كتابات "ميشال فوكو" (١٩٢٦- ١٩٨٤م) من خلال ما يسميه التحليل الجينيالوجي Généalogie: لقد أشار فوكو بوضوح إلى أنه ليس هناك شيء أول، فوراء هذا الشيء حتمًا "أول آخر"، لكنه لا يمثل سره الجوهري الخالد. إن ماهية هذا الشيء قد تم إنشاؤها من أشياء غريبة عنه؛ لذلك فإن ما نعثر عليه في البداية التاريخية للأشياء ليس هو الأصل المحفوظ، وإنما نجد التشتت والتعدد، والانقطاع والانفصال[١].

- المدخل الإبستيمولوجي:

ظهرت بعض الدراسات التي تناولت موضوع انتقال المفاهيم في سياق فكرة "التناظم المعرفي"[٢] L'interdisciplinarité، خاصة بعد أن وضعت موضوعية العلوم المدعوة بالدقيقة موضع الشك والنسبية ونشير هنا تحديدًا إلى كتاب "**إيزابيل ستينغر**" **Isabelle Stengers**: "**من علم إلى آخر: المفاهيم الرحالة**"[٣]؛ وهو كتاب يتناول انتقال وانتشار المفاهيم في المجالات والتخصصات العلمية الدقيقة، وذلك من خلال البحث في مجالات التوازي والتقاطع بين اتجاهات التفكير العلمية المختلفة، والتمييز فيها بين الثابت، الذي يحيل على العناصر الذاتية الأساسية في مفهوم من المفاهيم، والمتغير الذي يتشكل عبر "حوار" المفهوم مع غيره.

أما على مستوى **العلوم الإنسانية** فنحيل على كتاب "**اجتياز الحدود**"[٤]، وهو عنوان دال وواصف لما أصبحت تتميز به مباحث العلوم الإنسانية من تقاطع وتداخل، لقد أصبحت المعارف جميعًا "ضربًا من الخيال وحكاية تأويل"[٥]. إن المفاهيم أو النظريات تنخرط -بعد تشكلها- في علاقات تفاعل مع مفاهيم ونظريات أخرى، وذلك في إطار دينامي، يسعف في بلورة معارف جديدة.

- المدخل التداولي:

يمكن القول إن عملية انتقال المفاهيم تخضع للسيرورة العامة لخطاطة التواصل التي وضعها وضعها "شانون" **Shannon**[٦]؛ إذ ظهرت بعض الدراسات التي نقلت هذه الشبكة إلى حقول معرفية أخرى[٧]، ولا شك في أن العناصر الخمسة التي تقوم عليها هذه الخطاطة، حاضرة أيضًا في عملية "انتقال المفاهيم". ونشير هنا إلى العناصر التي وضعها "**إدوارد سعيد**" في مقاله المهم الذي ترجم إلى اللغة العربية **بعنوان** "**عندما تسافر النظرية**". لقد حدد أربع مراحل تكون الإطار العام لانتقال المفاهيم والنظريات:

هناك أولاً **نقطة الانطلاق** أو ما يبدو كذلك، وهي مجموعة من الظروف الأصيلة التي رافقت ميلاد الفكرة أو دخولها ميدان الخطاب.

وهناك ثانيًا **المسافة المقطوعة** أو ذلك الممر الذي تجتازه الفكرة، عبر ضغط السياقات المختلفة، خلال انتقالها من نقطة معينة إلى زمان ومكان تصبح فيهما واضحة البروز.

ويوجد ثالثًا مجموعة من الشروط التي يمكن تسميتها **شروط القبول، أو أشكال المقاومة**، كجزء لابد منه لكي يحصل القبول. هذه الشروط تواجه النظرية أو الفكرة المزروعة، وتمكن من إدخالها أو التساهل تجاهها مهما بدت غريبة.

وهناك رابعًا، تغيير **الفكرة المكيفة أو المدمجة**، جزئيًا أو كليًا، وفق استعمالاتها الجديدة وموقعها الجديد في زمان ومكان جديدين[٨].

أما في التراث العربي، فإن موضوع "انتقال المفاهيم" لم يطرح على نحو تنظيري مستقل، لكننا نصادف إشارات إليه في سياق الحديث عن تاريخ الظواهر الثقافية والعلمية. ويمكن أن نرصد لهذا الانتقال ثلاث اتجاهات:

١- انتقال عمودي زمني؛ حيث يتطور المفهوم عبر الزمن ليشحن في كل فترة تاريخية بدلالات جديدة، وانتقال أفقي تزامني في اتجاهين:

٢- يكون أولهما عبر المكان؛ حيث يأخذ المفهوم

تشكلات جديدة بحسب الخصوصيات السوسيوثقافية الخاصة بكل فضاء جديد يرتحل إليه.

٢- وثانيهما عبر المجال؛ أي حسب الحقول المعرفية المختلفة التي ينتقل إليها.

وإذا كان من الصعب –ضمن الحيز الذي نحن بصدده- تتبع ورصد حركية المفاهيم في تراثنا العربي القديم من خلال هذه المسارات الثلاثة مجتمعة، فإننا سنكتفي هنا بتقديم نماذج ممثلة للمسار الأخير.

وحينما نريد الحديث هنا عن انتقال المفاهيم في التراث العربي – من خلال استحضار هذه الخلفية المعرفية الجديدة- نعي جيدًا أن هذا النوع من التحليل قد يؤدي إلى السقوط في مزالق عدة، لعل من أخطرها: الإسقاط، و التعسف في تحميل النصوص ما لا تحتمله. ذلك أن هذا الموضوع لم يرد في التراث العربي القديم على نحو تنظيري مستقل؛ لذلك كان التنصيص في العنوان على مصطلح "المداخل": "المداخل إلى موضوع انتقال المفاهيم في كتب التراث العربي".

سنعمل على تتبع هذا الموضوع من خلال ثلاثة أنواع من المصنفات:

يتمثل **أولها** في ما يسمى "**المصنفات الجامعة**"، وهي كتب ذات طابع موسوعي، اشتغلت أساسًا على جمع، وتدقيق المعارف والعلوم المختلفة، وكذا على تكشيف وفهرسة الظواهر العلمية، والمؤلفات والنصوص والأعلام الذين اشتغلوا في موضوع معين، وذلك **في سياق تتبع أصول الكتب والظواهر الثقافية والمعرفية**.

ويتمثل **ثانيها** في كتب **تاريخ التراث العربي**، وهي كتب أقرب إلى التأريخ الموسوعي الذي يشتمل على مختلف المعارف التي أنتجها العقل العربي. **إن التأريخ من هذا النوع كان يثير ضمنيًا قضايا انتقال المفاهيم؛ بوصفه كان معنيًا بتحديد أصول الظواهر الثقافية التي كان الدارسون يتناولونها بالدراسة والتحليل**.

أما **ثالثها** فيتمثل في كتب "**الأشباه والنظائر**". ولا شك في أن هذا النوع من الكتب يثير جوانب ذات صلة بـ "انتقال المفاهيم"، وهي **كتب كانت معنية -في منحاها العام- بجمع أشتات المسائل، ذات الشبه والتقارب، في مجال معرفي معين**.

أولاً: المصنفات الجامعة في تاريخ العلوم

نعني بـ"المصنفات الجامعة" هنا المؤلفات ذات الطابع الموسوعي، التي اشتغلت أساسًا على جمع، وتدقيق أنواع العلوم، وكذا تكشيف وفهرسة الظواهر العلمية والمؤلفات والنصوص والأعلام الذين اشتغلوا في موضوع معين. **لقد كانت هذه المصنفات معنية بالموضوع؛ وذلك في سياق تتبع أصول الكتب والظواهر الثقافية، وتأكيد علاقة السابق باللاحق**. يفترض التأصيل وجود نموذج أصلي أو ما يسميه أحد الباحثين "الشاهد الأمثل" أو "المثال الأول"(٩) الذي يمكن أن نقيس عليه النصوص اللاحقة؛ بحيث نرجع الفرع إلى الأصل أو الشاهد إلى الغائب. إن فعل إسناد صلاحية الاتباع إلى بعض النصوص دون أخرى لتصبح نصًا أو شرعة، هو فعل انتقائي واختياري، "يخضع لأحكام المؤسسة الاجتماعية العامة، وغاياتها، ونوع الرؤية العامة للعالم والوجود"(١٠).

١-٢- المصنفات التي يمكن أن ندرجها ضمن هذا الاتجاه كثيرة جدًا. قبل أن نقف عند نماذج

منها نشير إلى أن بعض العلماء كانوا ينظرون إلى **القرآن الكريم بوصفه "نصًا جامعًا" لمختلف العلوم التي ظهرت عند العرب. معنى ذلك أن مختلف العلوم الدينية والعقلية التي عرفها المسلمون في تاريخهم الطويل، قد انتقلت إليهم من هذا المصدر الأساس.** ومن المهم الوقوف عند هذا النص للسيوطي (٨٩٤هـ) الذي يكشف - من خلاله - بوضوح عن هذا التصور، يقول:

"جمع القرآن الكريم علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علمًا حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله (ﷺ)، خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه بعد ذلك سادات الصحابة وأعلامهم (...)، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فنوعوا علومه وقامت كل طائفة، بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه وعددها وآياته وسوره وأحزابه"(١١).

ثم عمد السيوطي - بعد ذلك - إلى تفصيل القول في مختلف العلوم التي استنبطها المسلمون من القرآن الكريم، بحيث لا نكاد نجد علمًا من العلوم إلا وله أصول فيه. لقد أورد السيوطي في هذا الكتاب كل ما استنبط منه أو استدل به عليه من مسائل فقهية أو أصولية أو اعتقادية أوعلمية، مقرونًا بتفسير الآية؛ حيث توقف الاستنباط عليه، معزوًّا إلى قائله من الصحابة والتابعين.

لنتتبع - من خلال ما يأتي - هذه العلوم التي يجد لها السيوطي أصلاً في القرآن الكريم، ولنبدأ بالعلوم اللغوية والدينية التي هي وثيقة الصلة بهذا المصدر؛ أي التي لا يمكن الشك في مصدرها القرآني:

- **علم النحو:** "واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء، والأفعال، والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا الكلام وتوابعها..."(١٢).

- **المعجم:** "واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظًا يدل على معنى واحد لفظًا يدل على معنيين ولفظًا يدل على أكثر.."(١٣).

- **علم الأصول:** "واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية (...) فاستنبطوا منه الأدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وسموا هذا العلم بأصول الدين"(١٤).

- **الفقه:** "وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم. ومنها ما يقتضي الخصوص إلى غير ذلك، فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا في التخصيص، والإضمار، والظاهر، والمجمل، والمحكم، والمتشابه، والأمر، والنهي والنسخ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال والاستقراء، وسموا هذا الفن أصول الفقه"(١٥).

- **الوعظ:** "وتلمحت طائفة ما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ التي تقلقل القلوب...فسموا بذلك الخطباء والوعظاء"(١٦).

- **علم الرؤيا:** "واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد في قصة يوسف .... وسموه الرؤيا"(١٧).

- **البلاغة:** "ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ، وبديع النظم، والتلوين في الخطاب والإطناب والإيجاز...فاستنبطوا منه

المعاني والبيان والبديع"[18].

- **علم المواقيت**: "ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك، فاستخرجوا منه علم المواقيت"[19].

- **علم التصوف**: "ونظر فيه أرباب الإشارات وأصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان دقيقة جعلوا لها أعلامًا اصطلحوا عليها مثل الفناء، والبقاء والحضور، والخوف، والهيبة والأنس، والوحشة، والقبض، والبسط، وما شابه ذلك"[20].

بالإضافة إلى هذه الطائفة من العلوم التي استنبطتها الأمة الإسلامية من القرآن الكريم، يستعرض السيوطي طائفة أخرى من علوم الأوائل التي احتواها، مثل: الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والنجامة... وغير ذلك:

فالطب مداره على حفظ نظام الصحة، واستحكام القوة، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج تبعًا للكيفيات المتضادة، وقد جمع ذلك في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[21]، والهيئة ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السماوات والأرض، وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات[22].

أما الهندسة ففي قوله تعالى ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ [المرسلات:30][23]. يهمنا هذا التصور الذي يقدمه السيوطي هنا بوصفه يثير بشكل ضمني موضوع انتقال المفاهيم. إن النص القرآني خزان للمعارف المختلفة، بحيث يعمد المسلمون إلى استنباط مختلف العلوم والصنائع والاجتهادات والتصورات:

"قلت: قد اشتمل كتاب الله على كل شيء؛ أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه من عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى وبدء الخلق وأسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون أخبار الأمم السالفة"[24].

كما يحضر هذا التصور في الكثير من الكتابات الإسلامية، وبخاصة المؤلفات التي اهتمت بفكرة الإعجاز القرآني: إن القرآن الكريم نص معجز؛ لأنه جامع للعلوم والمعارف المختلفة[25].

1-3- إذا تركنا التآليف التي كتبت حول القرآن الكريم، يمكن البحث عن فكرة "**انتقال المفاهيم**" في "**المصنفات الجامعة**" **التي اشتغلت أساسًا على فهرسة وتكشيف الظواهر والنصوص والأعلام**. ولاشك في أن الكتب من هذا النوع كثيرة جدًا في تراثنا العربي. الدليل على ذلك هو كثرة العناوين الدالة على هذا المنحى، التي اختارها العلماء العرب عناوين لكتبهم، مثل: الطبقات، الذخيرة، الفهرست...لقد كان المحور الأساس الذي اشتغل عليه هؤلاء هو تصنيف العلوم؛ حيث حددوا الأصناف والأنواع التي تقوم عليها هذه العلوم.

ذكر **ابن النديم** (385) - مثلاً - أنه سيصنف العلوم إلى مقالتين: "إحداهما لعلوم الشريعة، والثانية لعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم"[26]، كما ذكر أبو حامد الغزالي أنه بنى كتابه على أربعة أقسام كبرى هي: العبادات،

والعادات، والمهلكات، والمنجيات"[٢٧].

لكن هؤلاء العلماء أكدوا – في الوقت نفسه – "**أن العلوم يخدم بعضها بعضًا، وأن المعرفة سلم يترقى مرتبة مرتبة**"[٢٨].

١-٤- يمكن أن نمثل لهذا النوع من الكتب بـ "الفهرست" لابن النديم. الكتاب عبارة عن محاولة لحصر مختلف الكتابات التي ألفت أو ترجمت إلى اللغة العربية، في مختلف الحقول المعرفية، إلى حدود أواخر القرن الرابع الهجري، وقد تضمن الكتاب عشر مقالات، تراوحت بين اللغات، والكتب المقدسة، وعلوم القرآن، واللغة والنحو، والأخبار والأنساب، والشعر، وعلم الكلام، والحديث والفقه، والفلسفات، والأسماء والخرافات، والاعتقادات، والكيمياء أو الصنعة.

من حيث المنهج قسم المؤلف كل مقال إلى عدة فنون، وذكر في حديثه عن كل فن منها أسماء الكتب وأخبار المؤلفين على اختلاف طبقاتهم. فقد ذكر الرواة والفقهاء والنحاة والمتكلمين والأطباء وغير هؤلاء، كل حسب تخصصه.

ولاشك في أن **النزعة التأصيلية في عمل ابن النديم كانت تقوده في كثير من مواضع الكتاب إلى ملامسة موضوع "انتقال المفاهيم"**. يقول في مقدمة الكتاب:

"هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم، وأخبار مصنفيها، وطبقات مؤلفيها، وأنسابهم، وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم، وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقبهم ومثالبهم، منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا"[٢٩].

لذلك فإن الكتاب أقرب إلى موسوعة شاملة، يتتبع من خلالها ابن النديم الانتقالات المختلفة التي عرفتها العلوم العربية من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري.

١-٥- كما ينطلق الفارابي(٣٣٩هـ) -في تصنيفه للعلوم- من تصور أساس، يتمثل في ربط قيمة علم من العلوم **بمبدأ استنباط القوانين الكلية لذلك العلم:**

"الأشياء المفردة الكثيرة إنما تصير صنائع أو في صنائع بأن تحصر في قوانين تحصل في نفس الإنسان على ترتيب معلوم"[٣٠].

وقد استهل هذا التصنيف بمقدمة تأسيسية سماها: كتاب العلم، جعلها سبعة أبواب تمثل حصيلة تجريدية لنظريته في المعرفة العامة، وقد أوضح القصد من التصنيف الذي وضعه بقوله:

"قصدنا في تأليف هذا الكتاب أن نحصي العلوم المشهورة علمًا علمًا، ونعرف جملة ما يشتمل عليه كل واحد منها أجزاء (...) وينتفع بما في هذا الكتاب؛ لأن الإنسان إذا أراد أن يتعلم علما من هذه العلوم وينظر فيه على ماذا يقدم، وفي ماذا ينظر، وأي شيء سيفيد بنظره، وما غناء ذلك، وأي فضيلة تنال به (...) وبهذا الكتاب يقدر على **أن يقايس بين العلوم**"[٣١]. (التشديد من عندنا)

١-٦- وقد نبه بعض المشتغلين بتصنيف العلوم إلى **ما يلحق العلوم من تطور وتغير بفعل** عامل الزمن والانتقال من حال إلى حال؛ ذلك أن "أرباب الهمم لما لم يكتفوا بالمحاورة في إشاعة هذه النعم؛ لاختصاصها بالحاضرين سمت همتهم السامية إلى اطلاع الغائبين، بل الذين سيولدون بعدهم على ما استنبطوه من المعارف

المفاهيم الرحالة: المداخل إلى موضوع انتقال المفاهيم في كتب التراث العربي

والعلوم واتعبوا نفوسهم في تحصيلها وتدوينها لينتفع بها علماء الأقطار ولتزداد العلوم بتلاحق الأفكار، بحثوا عن أحوال الكتابة الثابتة ونقشوها على وجه كل زمان وعن حركاتها وسكناتها ونقطها وضوابطها من شداتها ومداتها، وعن تركيبها وتسطيرها، لينتقل منها الناظرون إلى الحروف والألفاظ"[٣٢].

إن العلوم قد تتباين في مصادرها ووسائلها، لكنها مع ذلك قد يكون هناك وجه يجمع بينها. لذلك يقول حاجي خليفة:

"اعلم أن موضوع علم يجوز أن يكون موضوع علم آخر، وأن يكون أخص منه وأعلم، وأن يكون مباينًا عنه لكن يندرجان تحت أمر ثالث، **لكن يشتركان بوجه دون وجه، ويجوز أن يكونا متباينين مطلقا**"[٣٣]. (التشديد من عندنا)

من هنا يشير هؤلاء المصنفون إلى جملة من المهارات التي يجب على العالم أن يكتسبها، من بينها مهارة "**المقايسة بين العلوم**"، وهذا يقتضي منه أن "يكون على علم بأنواع العلوم ليتبين منها هذا الغرض ثم العلم بأصناف الكتب في نفسها ومرتبتها ليكون على بصيرة من أمره، **ويقايس بين العلوم والكتب فيعلم أفضالها وأوثقها**، يعلم حال العالم به وحال من يدعي علمًا من العلوم، ويكشف دعواه بأنه هل يخبر خبرًا تفصيليًا عن موضوع ذلك العلم وغايته ومرتبته فيحسن الظن به فيما ادعاه، **ويعلم حال المصنفات أيضًا ومراتبها وجلالة قدرها والتفاوت فيما بينها وكثرتها**، وفيه إرشاد إلى تحصيلها وتعريف به بما يعتمد منها وتحذيره مما يخاف من الاغترار به، ويعلم حال المؤلفين ووفياتهم وأعصارهم"[٣٤]. (التشديد من عندنا)

ثانيًا: كتب تاريخ التراث العربي

وهي الكتب التي تنعت تارة بتاريخ الأدب العربي، لكن دون أن يكون المقصود بها تاريخ الشعر والنثر، بل هي أقرب إلى التأريخ الموسوعي الذي يشمل مختلف المعارف التي أنتجها العقل العربي. **إن التأريخ من هذا النوع كان يثير ضمنيًا قضايا انتقال المفاهيم؛ بوصفه كان معنيًا بتحديد أصول الظواهر الثقافية التي كان يتناولها بالدراسة والتحليل**؛ ذلك أن التأصيل يحمل "مفهوم الأصل الذي تتولد عنه الفروع وترجع إليه وتحمل خواصه، وهو المعيار الذي يجب أن يقاس عليه كل فعل تال له؛ لأنه الأول أو اتخذ كذلك"[٣٥].

٢-١- هذا المعنى الشمولي لمفهوم التاريخ نصادفه -على الخصوص- في **مقدمة ابن خلدون** (١٤٠٦م). ذاك أن التاريخ عنده يشمل ما أنتجه العقل البشري. فهو "في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول(....). وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق؛ لذلك فهو أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق"[٣٦].

يتأكد الطابع التأصيلي في مقدمة ابن خلدون في حرصه على تدقيق الظواهر، وتتبع أصولها، وفروعها. الدليل الواضح على هذا المنحى أن كلمة "فروع" ترد في أغلب عناوين الفصول التي خصصها للحديث عن العلوم المختلفة: "فصل في أصناف العلوم **الواقعة** في العمران لهذا العهد"[٣٧]، "علم الفقه وما **يتعلق به** من الفرائض"[٣٨]، "أصول الفقه **وما يتعلق** به من الجدل والخلافيات"[٣٩]، "العلوم العقلية **وأصنافها**"[٤٠]، "**فروع** علم العدد

وصناعة الحساب"[11].... (التشديد من عندنا).

وقد كان ابن خلدون خلال تناوله لهذه العلوم والمعارف المختلفة **حريصًا على بيان علاقة الأصول بالفروع، والسابق باللاحق**. ويمكن أن نمثل لذلك بما أورده في حديثه عن الأدب في فصل "فصل في علوم اللسان العربي"[12]:

يقدم ابن خلدون تصورًا شموليًا للأدب، الذي يعني به كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله إلى الذاكرة. من هذا المنظور يستوعب تاريخ الأدب مختلف أنماط الإنتاج الثقافي، سواء أكان في مجال العلوم الشرعية أم في مجال العلوم اللغوية أم في مجال العلوم الكونية. يقول في نص طويل نثبته هنا كاملاً لأهميته في ما نحن بصدده:

"هذا العلم لا موضوع له ينظر إليه في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم (.....) ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفهم قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها من كل علم بطرف، يريدون: من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط، وهي القرآن والحديث؛ إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب؛ إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية؛ فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم؛ ليكون قائمًا على فهم"[13].

من خلال هذا التصور الشمولي للأدب، سيحاول ابن خلدون -بعد ذلك- تفصيل القول في الفروع المختلفة للمعرفة الأدبية. هكذا يتكامل هيكل المعارف الأدبية عند ابن خلدون على بنية قائمة على أربعة أقسام، تتدرج في تفاعل عضوي، ويتناسل بعضها في بعض؛ يبدأ بناؤها بعلم اللغة، الذي يتناول فيه المادة اللفظية، ثم علم النحو، الذي يكون موضوعه هو تركيب الكلام الذي يثمر الطاقة التعبيرية، وثالثها علم البيان، الذي يولد الطاقة التواصلية، ويكون مداره هو أحوال التخاطب، وآخرها علم الأدب، الذي يفجر الطاقة الإبداعية.

بالإضافة إلى **هذا التصنيف "ذي الطابع التعالقي"** الذي يربط المعارف السابقة بالأصل الذي أشرنا إليه، يقف ابن خلدون عند **العلاقات القائمة بين هذه الفروع الأربعة**:

يثبت العلاقة القائمة بين ظهور "علم النحو" وظهور "علم اللغة"؛ ذلك لأنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالإعراب، واستنبط العلماء القوانين لحفظ اللغة العربية، ظهر الفساد أيضًا في موضوعات الألفاظ؛ فاستُعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه؛ فشمر أئمة اللغة على سواعدهم، وأملوا فيه الدواوين، وكتبوا فيه الكتب[14].

كما يقف عند **العلاقة القائمة بين "علم البيان"، و"علم اللغة"**؛ ذلك أن علم البيان "حادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية؛ لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده؛ ذلك أن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي إما تصور مفردات تسند ويسند إليها، ويفضي بعضها إلى بعض، وتكون دالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال والحروف، وإما تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة، ويدل عليها بتغير الحركات من الإعراب وأبنية

الكلمات، وهذه صناعة النحو، ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة على أحوال المتخاطبين وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام الإفادة"[١٥].

يتبين مما سبق أن ابن خلدون **يعرض للمعارف والعلوم المختلفة من منظور علائقي، يحرص -من خلاله- على تأكيد العلاقات والروابط؛ بحيث يخرج الفرع من رحم الأصل، وتتناسل العلوم من منظور دينامي.**

٢-٢- النموذج الثاني الذي يمكن أن نقدمه هنا، ونحن بصدد الحديث عن المؤلفات التي تؤرخ للظواهر الثقافية من منظور شمولي، هو كتاب الأغاني[١٦] **لأبي الفرج الأصفهاني** (٢٨٤هـ). وقد أجمع الدارسون قديمًا وحديثًا على طابعه الإخباري الموسوعي. فقد وصفه ابن خلدون في مقدمته **بأنه ديوان العرب:**

"وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصفهاني كتابه في الأغاني جمع فيه من أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم (....) فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه ولعمري إنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم من كل فن من فنون الشعر والتأريخ والغناء وسائر الأحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلمه وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأنى له بها"[١٧].

لقد كان أبو الفرج الأصفهاني يبحث عن الأصل في كل شيء، في العلوم، في الأنساب، في أنواع الأشعار، في الظواهر الثقافية المختلفة. ففي بحثه عن الأنساب -مثلاً- يتتبع **سلسلة النسب بطريقة استقصائية تعود إلى الجذور الأولى**، بل نصادف في الكتاب نماذج من سلسلة النسب التي تعود إلى آدم عليه السلام[١٨].

ولا شك في أن هذا النوع من البحث قائم على تصور يهدف إلى وضع كل شيء في مكانه وتراتبيته، من حيث الأسبقية والتأخير. لقد حاول الأصفهاني البحث عن الأول والآخر، وعن السابق وعن اللاحق، وعن العربي الأصيل، وعن العجمي الدخيل، وعن القديم والمولد والمحدث. وكان وفيًا للمنطلق الذي أعلن عن تبنيه، وهو القائم على "الانتقال من شيء إلى شيء، والاستراحة من معهود إلى مستجد. وكل منتقل إليه أشهى إلى النفس من المنتقل عنه، والمنتظر أغلب على القلب من الموجود(...)؛ ليكون القارئ بانتقاله من خبر إلى غيره، ومن قصة إلى سواها، ومن أخبار قديمة إلى محدثة، ومليك إلى سوقة، وجد إلى هزل، أنشط لقراءته وأشهى لتصفح فنونه، ولا سيما والذي ضمناه إياه أحسن جنسه، وصفو ما ألف في بابه، ولباب ما جمع في معناه"[١٩]. **فإذا بنا أمام موسوعة تؤرخ لانتقال وتطور الظواهر الأدبية والفنية والثقافية بشكل عام. نجد فيها كل مكونات التاريخ العربي القديم؛ من الغناء، إلى الألحان، إلى الشعر، والأخبار، وتاريخ الأجناس، والأقوام، والديانات..إلخ**. لكن، هذا التنوع لا يمنع - مع ذلك- من وجود انتظام نسقي عام يحكم الكتاب. ويصدق هنا ما ذكره أحد الباحثين وهو يتحدث عما سماه "الفوضى المنظمة في الأغاني"[٥].

لقد كان هدفه -في النهاية- هو نوع من **التفكيك لتاريخ الأدب العربي بحيث كان يشير فيه إلى مكوناته الأصلية، ومكوناته الأخرى التي اكتسبها وأصبحت بدورها منه، كما كان يتتبع المرجعية العربية في خصوصيتها وعموميتها.**

لقد كان كتاب الأغاني عبارة عن "بحث في الأصول والأنوية والشواهد المثلى التي تملك القدرة على الترسيخ والإثبات واحتواء الممارسة الرمزية في الزمن"[51].

٢-٣- أما النموذج الثالث الذي نقدمه، ونحن بصدد الحديث عن تاريخ الظواهر الثقافية، فيتمثل في كتب "**تاريخ الأدب**" **التي ألفها المستشرقون، وهي مؤلفات كانت معنية أيضًا بتتبع انتقال المفاهيم والنظريات والمعارف في التراث العربي**.

لعل النموذج الذي يمكن تقديمه في هذا المجال هو نموذج "**تاريخ الأدب العربي**" لبروكلمان بأجزائه الأساسية التي أصدرها سنة ١٨٩٨م، وأجزائه التكميلية التي صدرت في مجلدات كبيرة تصل إلى حوالي ٢٦٠٠ صفحة سنة ١٩٤٢م؛ ليكون هذا المشروع قد استغرق حوالي نصف قرن، مع تأكيد بروكلمان في مقدمة الكتاب بأنه لا يطمح إلى إنجاز البحث الخصوصي المتصل بجميع الدوائر العلمية، وإنما يقتصر على إعداد المادة المطلوبة لمثل ذلك البحث، وعلى تعبيد الطريق للجيل المتأخر، وكأن بروكلمان يستوحي ما سبق أن عبر عنه المؤرخ الفرنسي "**كوستاف لانسون**"، وهو يشعر بأن عمر المؤرخ الواحد لا يسعف في إنجاز تاريخ أدبي على الوجه الأكمل "**ولكن ما يعجز عنه عمر تستطيع أعمار أن تعمله**"[52].

لقد كانت هذه المؤلفات الاستشراقية معنية بإرجاع الظواهر والنصوص والقضايا إلى أصولها الأولية؛ لذلك نعد مبدأ التأصيل من العناصر الأساسية التي تقوم عليها هذه القراءة، ويحمل التأصيل هنا "مفهوم الأصل الذي تتولد عنه الفروع وترجع إليه وتحمل خواصه، وهو المعيار الذي يجب أن يقاس إليه كل فعل تال له؛ لأنه الأول أو اتخذ كذلك. البحث عن الأصول هو حفر إلى الوراء، لإثبات وجود الخيط المرتبط بالرحم أي بالنص الأول أو الإنتاج الأول"[53]. لقد كانت هذه القراءة الاستشراقية لتاريخ الأدب تتميز بطابعها الشمولي، ينطلق المستشرقون-في هذا الإطار- من تصور مفاده أن الأدب يشمل "كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله إلى الذاكرة"[54]. إنه تاريخ للحياة العقلية العربية بشكل عام، ومن ثم فعلى مؤرخ الأدب العربي أن يدخل كل ظواهر التعبير اللغوي في دائرة عمله، ولا يجوز له الاقتصار على فن القول في نطاقه الضيق"[55].

ثالثًا- كتب الأشباه والنظائر

الأشباه لغة جمع كلمة شِبْه وشَبَه و"شبيه"، بمعنى: المثل. يقال: أشبه الشيءُ الشيءَ: أي ماثله. ومنه يقال في المثل: "من أشبه أباه فما ظَلَم"[56]. أما النظائر، فهي لغة جمع نظير، بمعنى المثيل أيضًا. وفلان نظيرك أي مثلك؛ لأنه إذا نظر إليهما الناظر رآهما سواء[57].

ويستفاد من هذه الشروح أن كلمتي "الشبيه" و"النظير" تفسّران ب "المثل"، وأن الكلمات الثلاث بمعنى واحد، لكن السيوطي يشير -مع ذلك- إلى فروق دقيقة بين الاصطلاحات الثلاثة. حاصل هذا الفرق: أن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه. والمشابهة تقتضي الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها. والمناظرة تكفي في بعض الوجوه ولو وجهًا واحدًا. يقال: هذا نظير هذا في كذا وإن خالفه في سائر جهاته[58].

لا شك في أن كتب الأشباه والنظائر تثير

جوانب ذات صلة ب "انتقال المفاهيم"؛ ذلك أن هذا النوع من الكتب كانت تُعنى -في منحاها العام- بجمع أشتات المسائل، ذات الشبه والتقارب، في مجال معرفي معين، ويتحقق ذلك من خلال عمليات رد الفروع إلى الأصول، وربط الفروق بالقواعد، وجمع المختلف مع المؤتلف.

الأشباه والنظائر في القرآن الكريم:

ظهر استعمال مصطلح الأشباه والنظائر -في البداية- في الدراسات المتصلة بالقرآن الكريم، وقد اختلفَ العلماءُ في بيانِ معنى "الأشباه والنظائر"، وبما أن هناك صعوبة في تحرير هذا الاختلاف، فإنه يمكن الوقوف عند أول من قام بالتأليف تحت هذا العنوان، وهو الإمام مقاتل بن سليمان البلخي"(ت١٥٠هـ) في كتابه "**الأشباه والنظائر في تفسير القرآن الكريم**"، وذلك قبل أن يتوسع استعمال المصطلح المذكور في الفقه، وفي النحو، وفي الآدب.

وقد حاول **الدكتور مساعد الطيار** استقراء معنى "الأشباه والنظائر" في الكتاب المذكور، وانتهى إلى ما يأتي:

الوجوهُ: المعاني المختلفةُ لِلَّفظةِ القرآنيةِ في مواضعِها من القرآن الكريم. والنَّظائرُ: المواضعُ القرآنيةُ المتعدِّدَةُ للوجهِ الواحدِ التي اتفقَ فيها معنى اللَّفظِ ، فيكون معنى اللَّفظ في هذه الآية نظيرَ (أي: شبيه ومثيل) معنى اللَّفظِ في الآيةِ الأخرى. فعلى هذا تكون "الوجوه" من باب المشترك اللفظي غالباً، وأما "النظائر" فليست إلا مجرد أمثلة أخرى للوجه الواحد، ولكن في مواضع أخرى، ولا تعد حينئذٍ من المشترك ولا من المترادف[59].

للمزيد من التفاصيل يمكن تقديم هذا المثال الذي أورده الدكتور مساعد الطيار، وقد استقاه من كتاب "الأشباه والنظائر" لمقاتل بن سليمان البلخي:

ورد لفظ ﴿ الْحُسْنَىٰ ﴾ في القرآن على ثلاثةِ أوجهٍ:

- **الوجه الأول**: الحسنى؛ بمعنى: الجنَّة، فذلك قولُه في سورة يونسَ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ ﴾[60] معناه: "الذين وَحَّدُوا لهم الحسنى"؛ يعني: الجنَّة، ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾؛ يعني: النَّظرَ إلى وجهِ اللهِ.

ونظيرُها في النَّجم؛ حيث يقولُ ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ كَلَّا ﴾ النجم: ٣١؛ يعني : بالجنَّةِ، وكقوله في الرحمنِ : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] يقول : هلْ جزاءُ أهلِ التَّوحيدِ إلا الجنَّةُ .

-**الوجه الثاني**: الحسنى؛ أي: البنون، في قوله تعالى في سورة النَّحْلِ: ﴿ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ ﴾[61]؛ أي: البنون.

- **الوجه الثالث**: الحسنى؛ يعني: الخير، في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ﴾[62] ومعناه: ما أردنا ببناءِ المسجدِ إلاَّ الخيرَ. ونظيرها في سورة النساءِ: ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾[63]؛ ومعناه: الخير .

وقد استخلص **الدكتور مساعد مطيار** من المثال السابق الخلاصات الآتية:

١- إنَّ مقاتلَ بنَ سليمان جعلَ لفظَ الحسنى في القرآن على ثلاثةِ وجوه: (الجنَّة، والبنون، والخير)، وهذه الوجوهُ معانٍ مختلفةٌ لهذه اللَّفظةِ .

٢- وإنه يكفي في الوجوه اتفاقها في المادة، وإن لم

تتفق في صورةِ اللفظِ ؛ كالحسنى والإحسانِ .

٣- وانه في الوجه الأولِ فَسَّرَ الحسنى في آيةِ يونسَ بأنها الجنّة، ثمَّ جعل الحسنى في آيةَ سورةِ النّجم نظيرةً لآيةِ سورةِ يونس، وفسَّرَ الحسنى في آيةِ سورة براءة بأنها الخير ، ثُمَّ جعلَ الحسنى في آية سورة النّساء نظيرةً لها، فهما موضعان مختلفان من القرآن، لكنهما اتفقا في مدلولِ اللّفظةِ، وهذا يعني أنَّ تماثلَ المدلولِ في الآيتينِ هو النظائرُ.

٤- وانه لم يذكر في الوجه الثاني نظيرًا للآيةِ، وهذا يعني أنّه لا يلزمُ أن يكونَ في كلِّ وجهٍ من الوجوهِ نظائرٌ من الآيات[٦٤].

ستظهر - فيما بعد - كتب تتبع الاستعمالات المختلفة للفظ الواحد، الذي يأتي بمعان متعددة، **في القرآن الكريم**؛ أي أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر. هكذا يكون لفظ كل كلمة ذكرت في موضع من القرآن "نظيرًا" للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، لكن "وجوه" التفسير تختلف؛ بمعنى أن كل كلمة لها معنى آخر مخالف لمعنى الكلمة الأخرى؛ لذلك فإن "النظائر" اسم للألفاظ، و"الوجوه" اسم للمعاني. ومن العلماء الذين أفردوا هذا الموضوع بكتب خاصة، غير مقاتل بن سليمان البلخي، الذي تحدثنا عنه سابقًا، نشير إلى: **هارون بن موسى، أبو عبد الله الأزدي** (١٧٠هـ)، وكتابه "الوجوه والنظائر في القرآن الكريم"[٦٥]، **والحسين بن محمد الدامغاني** في كتابه "أصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم"[٦٦]، **وابن الجوزي** (٥٩٧) في كتابه "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم"[٦٧]...

وإذا كان **علماء الحديث لم يفردوا هذا الموضوع بمؤلفات خاصة**، فإنهم قد تطرقوا إلى الموضوع ضمن بعض مباحث **علوم الحديث** مثل "غريب الحديث"، و "المؤتلف والمختلف"؛ حيث أشاروا إلى الكلمة الواحدة، التي تأتي على معان متعددة، في مواضع مختلفة من الأحاديث النبوية.

الأشباه والنظائر في الفقه:

ظهرت أيضًا -في القرن السابع الهجري وما بعده- كتب تعنى بتتبع "**الأشباه والنظائر**" في الفقه. يقصد بالأشباه والنظائر هنا المسائل المختلفة الموزعة، بين أبواب مختلفة من الفقه، يكون بينها شبه ما يجمعها؛ ذلك أن معنى كلمة "الشبه" في اصطلاح الأصوليين: هي الصفة الجامعة التي إذا اشترك فيها الأصل والفرع، وجب اشتراكهما في الحكم[٦٨].

لذلك فإن علاقة "الأشباه والنظائر" بـ"انتقال المفاهيم" مؤكدة من خلال تركيز العلماء على المسائل والفروع الفقهيّة المتشابهة، من حيث اندراجها تحت أصل واحد يجمع بينها في الحكم: من خلال عملية القياس؛ فالشبه هي الصفة الجامعة التي إذا اشترك فيها الأصل والفرع وجب اشتراكهما في الحكم.

يظهر -من هذا المنظور- أن استعمال المصطلح له صلة **بعلم القواعد الفقهية**؛ على عد أن الفروع المخرجة عن كل قاعدة تشترك مع أصل القاعدة في الحكم المذكور؛ لذلك يمكن أن يطلق على الفروع: كلمة "الأشباه"؛ لأنها تشابهت فيما بينها في الصفة الجامعة المذكورة في نص القاعدة الفقهية؛ ولهذا جمعت في مكان واحد تحت

المفاهيم الرحالة: المداخل إلى موضوع انتقال المفاهيم في كتب التراث العربي

تلك القاعدة دون أخرى[٦٩].

ومن الكتب التي ألفت في الموضوع، نشير إلى "الأشباه والنظائر" **لابن نجيم الحنفي**[٧٠] (٩٦٩هـ)، وكتاب "الأشباه والنظائر"، **لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي**[٧١] (٧٢٧هـ).

الأشباه والنظائر في النحو:

وقد ألف السيوطي كتابًا في النحو، وذكر في مقدمته أنه أراد أن يسلك "بالعربية سبيل الفقه فيما وصفه المتأخرون فيه وألفوه من كتب الأشباه والنظائر"[٧٢].

لذلك كانت منهجيته فيه قائمة **على جمع الأشتات والقضايا النحوية المختلفة، وذلك من خلال عملية رد الفروع إلى الأصول، والمختلف إلى المؤتلف، والجزئيات إلى الكليات النحوية**. يقول:

"وهذا الكتاب بحمد الله مشتمل على سبعة فنون: الأول: فن القواعد **والأصول التي ترد إليها الجزئيات والفروع**، وهو مرتب على حرف المعجم(....)، **وقد اعتنيت فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق** وأشبعت القول فيه، وأوردت في ضمن كل **قاعدة ما لأئمة العربية من مقال وتحرير وتنكيت وتهذيب واعتراض وانتقاد، وجواب وإيراد**، وطرزتها بما فيه المشكلات من إعراب الآيات القرآنية، والأحاديث الشعرية، وتراكيب العلماء في تصانيفهم المروية، وحشوتها بالفوائد، ونظمت في سلكها من القلائد. الثاني: **فن الضوابط والاستثناءات والتقسيمات**، وهو مرتب على الأبواب لاختصاص كل ضابط ببابه، **وهذا أحد الفروق بين الضابط والقاعدة؛ لأن القاعدة تجمع فروعًا من أبواب شتى، والضابط يجمع فروع باب واحد**(.....). الثالث: **فن بناء المسائل بعضها على بعض**(...). الرابع: **فن الجمع والفرق**. الخامس: فن الألغاز والأحاجي والمطارحات والممتحنات(...). السادس: فن المناظرات والمجالسات والمذاكرات والمراجعات والمحاورات والفتاوى والواقعات والمراسلات والمكاتبات. السابع: فن الافراد والغرائب"[٧٣]. (التشديد من عندنا)

أقول في الأخير إن موضوع "انتقال المفاهيم" من خلال ما قدمناه سابقًا لم يستنفد (وأنى لنا ذلك!) فهو بحث في الأنوية والأصول، وتكشيف للظواهر العربية التاريخة والعلمية، واستعادة لأسئلة البداية التي لازمت الظواهر الثقافية.. لذلك كان التنصيص في العنوان على مصطلح "المداخل"، التي كانت بمثابة نماذج، لموضوع واسع جدًا، خاصة في ثقافة مثل الثقافة العربية التي هي أوسع من المحيط!

الحواشي

١- ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص: ١٣٢.

٢- انظر على سبيل المثال لا الحصر:

Jean Piaget, Introduction l'épistémologie des régulations, in Textes d'introductions au 2e volume des Séminaires interdisciplinaires du Collège de France éd A. Lichnerowiche, F. Perroux , G. Gadoffre, Paris, 1977.

3- Isabelle Stengers, D'une science à l'autre: Les concepts nomades, Paris, Seuils, 1987

4- ouvrage collectif, Le passage de frontières, Galilée, 1992.

5- Ibid.

٦- للاطلاع على هذه النظرية يمكن الرجوع إلى: د. مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

١٩٩٠م، ص: ٢٠.

٧- المرجع نفسه، ص: ٢١.

٨- إدوارد سعيد، عندما تسافر النظرية، مقال ضمنه كتابه: العالم النص الكاتب، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م، ص: ١٣٩- ١٤٠.

٩- د. محمد مفتاح، التلقي والتأويل، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٤م، ص: ١٠١

١٠- أحمد بوحسن، التقليد وتاريخ الأدب العربي، مقال ضمن كتاب: التحقيب (التقليد- القصيدة- السيرورة) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات و مناظرات، رقم: ٨١، ص: ٧٢، ص: ٧٠

١١- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص: ١٩.

١٢- المصدر نفسه، ص: ١٤.

١٣- المصدر نفسه.

١٤- المصدر نفسه.

١٥- المصدر نفسه.

١٦- المصدر نفسه.

١٧- المصدر نفسه.

١٨- المصدر نفسه.

١٩- المصدر نفسه.

٢٠- المصدر نفسه.

٢١- المصدر نفسه، ص: ١٦.

٢٢- المصدر نفسه، ص: ١٦.

٢٣- المصدر نفسه، ص: ١٦.

٢٤- المصدر نفسه، ص: ١٨.

٢٥- يمكن تتبع هذا الموضوع أيضًا في كتاب: الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف بمصر، (ب-ت)، ص: ٢٣ وما بعدها.

٢٦- ابن النديم، الفهرست، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٧- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٥٦هـ، دار الفكر ١٩٧٥م.

٢٨- ابن حزم، رسالة في مراتب العلوم ضمن رسائل ابن حزم: نشر إحسان عباس، المجموعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر، المثنى ببغداد، (د-ت)، ص: ٥٧-٩٠.

٢٩- ابن النديم، الفهرست، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٠- أبو نصر الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، دار الفكر العربي بمصر، ١٩٧٤م، ص:٧٥.

٣١- المرجع نفسه، ص: ٥٢-٥٤.

٣٢- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: ٨٢.

٣٣- حاجي خليفة، كشف الظنون، ص: ٨.

٣٤- المرجع نفسه، ص: ٥٨.

٣٥- أحمد بوحسن، التقليد وتاريخ الأدب العربي، ص: ٧٠

٣٦- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت ط١: ١٩٧٨م، ص:٣-٤.

٣٧- المصدر نفسه، ص: ٤٣٥.

٣٨- المصدر نفسه، ص: ٤٤٥.

٣٩- المصدر نفسه، ص: ٤٥٢.

٤٠- المصدر نفسه، ص: ٤٧٨.

٤١- المصدر نفسه، ص: ٤٨٣.

٤٢- المصدر نفسه، ص: ٥٤٥.

٤٣- المصدر نفسه، ص: ٥٥٣.

٤٤- المصدر نفسه، ص: ٥٤٧.

٤٥- المصدر نفسه، ص: ٥٥٠.

٤٦- نعتمد هنا على الطبعة الآتية: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط١: ١٤٧٤م.

٤٧- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، (ب-ت)، ص: ٥٥٤.

٤٨- يقول في نسب الشاعر ابن قطيفة:

"وقال آخرون من النسابين ممن أخذ - فيما يزعم - عن دغفل وغيره: معد بن عدنان بن أدد بن شاجيب بن نبت بن ثعلبة بن عنز بن سريج بن ملحم بن العوام بن المحتل بن رائمة ابن العقيان بن علة بن شحدود بن الضرب بن عيفر بن إبراهيم ابن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح ابن عنود ابن دعدع بن محمود بن الرائد بن بن بدوان بن أمامة بن دوس ابن حصين بن النزا بن الغمير بن محشر بن معذر بن صيفي بن نبت بن قيدار بن إسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله صلى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلم تسليما، ثم أجمعوا أن إبراهيم بن آزر وهو اسمه بالعربية كما ذكره تعالى في كتابه، وهو

المفاهيم الرحالة: المداخل إلى موضوع انتقال المفاهيم في كتب التراث العربي

في التوراة بالعبرانية تارح بن ناحور، وقيل: الناحر بن الشارع وهو شارع بن أرغو وهو الرامح بن فالغ – وهو قاسم الأرض الي قسمها بين أهلها – ابن عابر بن شالخ بن أرفخشد، وهو الراقد بن سام بن نوح صلى الله عليه وسلم ابن مالك وهو في لغة العرب ملكان بن المتوشلخ وهو المنوف بن أخنخ وهو إدريس نبي الله عليه السلام بن مهلايل بن آدم أبي البشر صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبينا محمد خاصة وسلم تسليما. وهذا الذي في أيدي الناس من النسب على اختلافهم فيه". انظر: الأغاني، ج:١ – ص:١٤-١٥.

٤٩- المصدر نفسه، ص:٤.

٥٠- أحمد بوحسن، العرب وتاريخ الأدب، دار توبقال للنشر، البيضاء، ٢٠٠٣م، ص: ١٠٧.

٥١- المرجع نفسه، ص: ١٥٤.

٥٢- لانسون، منهج البحث في تاريخ الآداب، ضمن كتاب محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة (ب.ت)،ص: ٤٢٠.

٥٣- أحمد بوحسن، التقليد وتاريخ الأدب العربي، ضمن كتاب: (التحقيب – القطيعة- السيرورة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات، رقم: ٨١.

٥٤- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج: ١، ترجمة: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط٥-١٩٨٣م، ج١، ص: ٢

٥٥- المصدر نفسه، ص: ٤.

٥٦- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ٢٠٠٣م، ج: ١٥، ص: ٢١٥.

٥٧- المصدر نفسه، ج: ١٤، ص: ٢٩٢.

٥٨- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الحاوي للفتاوى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٢هـ، ج: ٢، ص: ٤٦٦.

٥٩- مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ، ص: ٩١-٩٤.

٦٠- سورة يونس: ٢٦.

٦١- سورة النحل: ٦٢.

٦٢- سورة التوبة: ١٠٧.

٦٣- سورة النساء: ٦٢.

٦٤- مساعد الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ص: ٩٤.

٦٥- أبو عبد الله الأزدي، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: حاتم الضامن، دار البشير، ١٤٢٧هـ.

٦٦- الحسين بن محمد الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.

٦٧- ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.

٦٨- علي أحمد الندوي، القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، ١٤١٨هـ، ص: ٧٦.

٦٩- المرجع نفسه، ص: ٩-١٠.

٧٠- ابن نجيم الحنفي، الأشباه والنظائر، تحقيق: د. محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥م.

٧١- الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

٧٢- الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمن السيوطي جلال الدين، تحقيق: عبد الإله نبهان، غازي مختار طليمات، إبراهيم محمد عبد الله، أحمد مختار طليمات، ١٤٠٧م، مجلد١، ص:٢.

٧٣- المرجع نفسه، ج:١، ص: ٩.

لائحة المصادر والمراجع

- الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارة، مصطفى حجازي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
- إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي، تحقيق: عثمان أمين، دار الفكر العربي بمصر، ١٩٧٤م.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٥٦هـ، دار الفكر ١٩٧٥م.
- الأشباه والنظائر، ابن نجيم الحنفي، تحقيق: د. محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥م.
- الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.
- إعجاز القرآن، الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف بمصر، (ب-ت).

- الأغـانـي، أبـو الفرج الأصـفـهـاني، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط١: ١٤٧٤م.
- الإكليل في استنباط التنزيل، جـلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الـديـن عبد الـقـادر الـكـاتـب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
- تاريخ الأدب العربي، كـارل بروكلمان، ج : ١، ترجمة: د. عـبـد الـحـلـيـم الـنـجـار، دار الـمـعـارف، الـقـاهـرة، ط٥-١٩٨٣م.
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- التقليد وتاريخ الأدب العربي، مجموعة من المؤلفين، ضمن كـتـاب : (الـتـحـقـيـب - الـقـطـيـعـة- الـسـيـرورة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: ندوات ومناظرات ، رقم: ٨١.
- التلقي والتأويل، محمد مفتاح، مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٤م.
- الـحـاوي للفتاوى، جـلال الـديـن السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٠٢هـ.
- حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
- رسالة في مراتب العلوم ضمن رسائل ابن حزم ابن حزم، نشر إحسان عباس، المجموعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر ، المثنى ببغداد، (د-ت).
- العرب وتاريخ الأدب، أحمد بو حسن، دار توبقال للنشر، البيضاء، ٢٠٠٣م.
- عندما تسافر النظرية، إدوارد سعيد، مقال ضمنه كتابه: العالم النص الكاتب، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.
- الفهرست، ابن النديم، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- القواعد الفقهية، علي أحمد الندوي، دار القلم، دمشق، ١٤١٨ هـ.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، ٢٠٠٣م.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى، الشهير بطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت (ب-ت).
- مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت ط١: ١٩٧٨م.
- منهج البحث في تاريخ الآداب، لانسون، ضمن كتاب محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة (ب.ت).
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، ابن الجوزي، مؤسسة الرسالة ١٩٨٧م.
- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، أبو عبد الله الأزدي، تحقيق: حاتم الضامن، دار البشير، ١٤٢٧هـ.



آليات صناعة المصطلح اللساني الحديث

د. هشام خالدي
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان- (الجزائر)

تقديم:

إن قضية المصطلح من القضايا الهامة التي أولى لها علم اللغة الحديث في هذا القرن اهتماما بالغًا؛ وذلك للاعتماد عليها في تيسير العلوم وتوضيح مبادئها وتحديد أفكارها من جهة، وإيجاد التقارب بين العلماء والباحثين من جهة أخرى، وأهمية المصطلح العلمي ترجع إلى أنه أساس الدراسة والبحث والتأليف، وهو عامة لغة العلماء، وقد بُذلت في دراسته جهود كثيرة منذ فجر القرن العشرين واختلفت الأساليب المتبعة من أجله، فمن إحياء المصطلحات القديمة إلى استحداث مصطلحات جديدة عن طريق الاشتقاق أو التعريب أو نقل المصطلح بعينه، وصدرت معاجم متخصصة، إلا أن التقدم الإنساني، وسرعة العصر، كانا أسرع وأكثر بكثير من كل جهد مبذول، وممّا زاد في تعقيد المسألة اختلاف المصطلح العلمي من دولة عربية إلى دولة أخرى(1).

لقد أضحت قضية المصطلح عتبة الإشكال المعرفي، فالمصطلح ليس إلا جزءًا من بناء نظري في اللغة، ولغة المصطلحات لا يستغني عنها عالم في تخصصه، ولا مفكر في منهجه، وهي ربما تكون وسيلة في بعض الأحيان؛ لاختصار كثير من المعاني في قليل من الكلمات وإن عُزل المصطلح فهمًا وتقييمًا عن الهيكل النظري الذي ينتمي إليه يحول بين الدارس وبين النظرة العلمية للأمور، ويقف حجر عثرة بينه وبين دلالة المصطلح الذي تنم عليه النظرية، وبعبارة أخرى محيط المعطيات المعرفية الذي ينتمي إليه، وعليه فإن تداخل مفاهيم المصطلحات واختلافها يعود أساسا إلى هذا الأمر.

مقاييس وضع المصطلح:

ونظرًا لأهمية التوليد المصطلحي استخلص العرب المحدثون عدّة مبادئ اعتبروها مقياسًا لوضع المصطلح العربي الحديث، وهي صنفان:

١. مبادئ عامة: تمثل "اختيارات مبدئية" موجهة لمواقف مترجم المصطلحات الأعجمية أكثر مما هي موجهة لعمله التوليدي المصطلحي، ويمكن استخلاص خمسة مبادئ أساسية هي:

أ. الأخذ بالقياس في اللغة.

ب. قبول السماع من المحدثين، وخاصة ما شاع من ألفاظ قد ولدوها في كتاباتهم غير المصطلحية أو في حرفهم وصناعاتهم التي يمارسونها.

ج. الاقتباس من التراث باستخراج المصطلحات من التراث العربي القديم وإحياء ما هو جدير بالإحياء تمثلاً بمبدأ آخر مندرج تحت هذا هو" تفضيل المصطلح العربي القديم على الجديد".

د. تفضيل العربي على المعرب.

هـ. إكساب المصطلح العربي الدقة والخصوصية[٢].

وأهم هذه المبادئ الأول والخامس لصلتهما بمنهج التوليد، فإن مبدأ الأخذ بالقياس ذو قيمة كبيرة في التوليد الصرفي خاصة؛ لأنه يسمح بقياسية صيغ صرفية كثيرة كانت تعد سماعية، والمبدأ الخامس له أهمية في التوليد الدلالي؛ لأن فيه دعوة إلى تجنيب المصطلح المولّد الغموض والغرابة والتعميم والاشتراك، فإن هذه من سمات الوحدة المعجمية العامة القابلة لاكتساب الدلالة الإيحائية والوظيفة الأدبية، أما الوحدة المعجمية المخصصة أي المصطلح، وخاصة إذا كان علميًا، فإن من أهم سماتها ذاتية الدلالة وأحاديتها وخصوصيّتها.

وأما المبادئ الثلاثة الباقية فتهم عمل المترجم بوصفه مترجمًا وليس بوصفه واضعًا للمصطلح؛ لأن مقالات المحدثين ونصوص التراث تقدم للمترجم مادة مصطلحية جاهزة صالحة لمقابلة الخصوصيات المعجمية في اللغة المصدر، على أن تلك المقالات والنصوص قد تكون ذات دخل في التوليد الدلالي إذا عمد المترجم إلى بعض مادتها، وهذا التجوّز كثير الحدوث، وهو مدعاة إلى مخالفة المبدأ الخامس؛ لأنه يؤدي إلى إفقاد المصطلح العربي الدقة والخصوصية وإيقاعه في الأدبية والتعميم[٣].

٢. **مبادئ خاصة**: ممْنهجة لتطبيق قواعد التوليد؛ أي لكيفية توليد المصطلح الجديد، فهي إذًا مبادئ تتحكم في منهجية التوليد من حيث صورة المولد أو صيغته، ومن حيث دلالته، وقد صنفت تلك المبادئ بحسب انتمائها إلى الخصائص الضرورية التمييزية في الوحدة المعجمية، وهي عدّة: الانتماء المقولي، والتأليف الصوتي، والبنية الصرفية والدلالة على أن المبادئ قد أهملت كليًا هذا الانتماء، فلم تهتم بمقولية المصطلح من حيث هو اسم أو فعل أو صفة أو ظرف، وعلى هذا الأساس: "فإن الاصطلاح يحصل من الانتقال باللفظ من التعميم إلى التخصيص، والأسماء من بين أنواع المقولات المعجمية أقبل لذلك الانتقال، وهي على اكتساب المفاهيم أقدَر"[٤].

على أن هذا لم يمنع وجود الأفعال والصفات بكثرة في المعاجم المختصة العربية الحديثة، على الرغم من ضعف الأفعال في الاصطلاح لانتمائها إلى اللغة العامة، وقابليتها للترجمة بمعانيها، وبناء على هذا فقد اقتُرحت أربعة أنواع من المبادئ الخاصة، وهي:

التأليف الصوتي: وقد قلّ الاهتمام به، فخص بثلاثة مبادئ، دعا الأول إلى تجنّب تنافر الحروف في المصطلح تسهيلاً للنطق به، ودعا الثاني إلى تفضيل اللفظ ذي المخارج الليّنة، الذي تكثر فيه حروف الذلاقة، ودعا الثالث إلى تفضيل الصيغة القليلة الحركات على الصيغة ذات الحركات المتوالية، ففي الثلاثي مثلاً يُفضّل ساكن العين على متحركها، فهذه المبادئ الثلاثة تؤدي إلى نوع

آليات صناعة المصطلح اللساني الحديث

من "الجمالية البلاغية" التي يُستحسن توفرها في الوحدة المعجمية العامة القابلة للانتظام في نص أدبي.

البنية الصرفية: اهتمت المجموعات الأربع بمسألتين متصلتين ببنية المصطلح المولد: **الأولى:** هي بساطة البنية، فقد اتفقت كلها إلى تفضيل الوحدة المعجمية البسيطة والمتكونة من عنصر واحد على الوحدة ذات البنية المركبة (المتكونة من عنصرين)، والوحدة ذات البنية المعقدة (المتكونة من أكثر من عنصرين)، والحجة المقدمة هي أن الوحدة البسيطة تساعد على تسهيل الاشتقاق والتصريف، ولا يخفى ما في هذا المبدأ من الضعف والوهن؛ لأنه ينفي قاعدة التركيب في التوليد ويكاد ينفي قاعدة النحت، وتكفي نظرة سريعة لأي معجم عربي مختصّ لتبين استحالة تطبيق هذا المبدأ تطبيقًا عامًا، فإن المصطلحات المركبة والمعقدة في معاجمنا المختصة كثيرة جدًا.

والمسألة الثانية: هي السوابق واللواحق، وعلى هذا الأساس فإن الاتجاه العام هو الميل إلى ترجمة هذه الزوائد التي تعد مخالفة لطبيعة البنية في الكلمة العربية، ولكن المتفحّص لمعاجمنا المختصة يبين الفوضى الغالبة في ترجمتها ويُظهر التذبذب بين ترجمتها وتعريبها، وقد أعطى إبراهيم بن مراد مثالاً لترجمة لاحقة "Oide" منقولة إلى سبع عشرة طريقة، إذًا فإن هذه المسألة ما زالت[٥] في حاجة إلى التدقيق والضبط، وخاصة من حيث صلتها بالنحت وقابلية البنية الصرفية العربية للخاصية التسلسلية المقيدة.

٢. الدلالة:

وقد اهتمت المجموعات الأربع بثلاث مسائل: **أولاها** نسميها "أحادية التسمية" وذلك بأن يُخَصَّص مصطلح واحد للمعنى الواحد، فلا يشترك في المفهوم الواحد اسمان أو أكثر فيُتَجَنَّب بذلك الترادف، **والمسألة الثانية**، هي "أحادية الدلالة"؛ أي أن يكون المصطلح المولد ذا دلالة واحدة في الحقل الذي ينتمي إليه، فلا تتنوع بذلك دلالاته فيكون من المشترك، فالمبادئ الخاصة بهذه المسألة إذًا تدعو إلى تجنب الاشتراك الدلالي، وأما **ثالثة المسائل** فليس للعلم فيها دخل، بل هي تربوية أخلاقية محضة، وهي "تجنب النافر والمحظور من الألفاظ".

الاقتراض المعجمي:

وجلّ المبادئ في المجموعات الأربع تؤكد أمرًا واحدًا، هو تفضيل المعرب على الدخيل، وذلك في مستوى التأليف الصوتي، وفي مستوى البناء الصرفي، أما في الأول فقد دُعي إلى أن ينطق بالمعرّب كما عرفته العرب، وإلى أن يُرجح من المقترضات ما يُسهل نطقه، وهي طريقة تعريب الأصوات الأعجمية التي لا مقابل لها في العربية، لم يُعتن بها العناية الكافية، وأما في مستوى البنية الصرفية فقد فُضّل إلى التغيير في شكل اللفظ الأجنبي حتى يصبح موافقًا للصيغة العربية، وذلك بأن يتناول بالحذف أو بالزيادة حتى يلحق ببنية صرفية عربية فيخضع لمقاييس العربية ويصبح معرّبًا تامًا.

ويظهر من هذا القسم الثالث الأخير إذًا أن المبادئ التي وُضعت لترجمة العمل في توليد المصطلح العلمي العربي الحديث، سواء أكانت عامة أم كانت خاصة، مبادئ لم تُستخلص في الغالب من واقع اللغة وحقيقة استعمالاتها، ولم تُراع فيها طاقات اللغة الحقيقية على التطور والتجدد.

وبناء على هذا قد بين لنا هذا البحث أن المحدثين من العرب قد اعتمدوا في توليد المصطلح قواعد ومبادئ، لكن القواعد لم ترق إلى مستوى القواعد النظرية القائمة على جهاز نظري وجهاز مفهومي قويين، فلم ينته بها إلى توليد مصطلح عربي تام متطور مواكب لتطوّر المفاهيم والأشياء، جاءت قواعد منتقاة لم تراع في اعتمادها قدرات اللغة الحقيقة على التطور، فكانت قليلة العدد، مضطربة التطبيق، وأما المبادئ فلم تخرج عما فُرض على القواعد من القيود، فكانت في الغالب نتيجة تصور اللغة على ما يُراد لها أن تكون عليه، وليس نتيجة الواقع الذي هي عليه بالفعل؛ ولذلك لم تؤكد على إكساب المصطلح المولّد الدّقة والخصوصية فلاشك أن ما يطبق من القواعد ومن المبادئ في حاجة إلى أن يوضع في منهجية عامة في التوليد المصطلحي تكون ذات أسس نظرية واضحة متكاملة تراعي خصوصيات تولّد الوحدة المعجمية المخصّصة، وطاقات اللغة فيما يخص التطور والتوليد.

على أن تلك المنهجية لا تكون متينة دقيقة وافية بالغرض منها إلا إذا نظر إلى قضية التوليد المصطلحي ضمن إطار أعمّ هو التوليد المعجمي، وذلك بالربط بين المصطلحية وعلم المعجم والربط بين التوليد المصطلحي والنظرية العامة في الإبداعية المعجمية، على أن التوليد المصطلحي في اللغة العربية اليوم ذي صلة بمبحث نظرية الترجمة، فإن المصطلح العربي المولد مازال يعتمد المصطلح الأعجمي مرجعًا أساسًا يحدد خصيصته الدلالية، بل يتحكم في بنيته الصرفية في أحيان كثيرة؛ ولذلك فإن النظر في التوليد المصطلحي مخرج إلى النظر في نظرية الترجمة أيضًا.

أثر المصطلح العربي الحديث في علوم اللغة:

١. يتضح من تاريخ تكون المصطلحات اللغوية المعاصرة أنها بدأت بداية متواضعة عند الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٢)، وذلك عندما حاول أن يُبين عدد اللغات الأوروبية القديمة والحديثة، وهنا نجد مصطلحي: اللغة واللسان، ذكر: اللسان الفرنساوي، واللغة الفرنسية، كما كتب عن اللغة العربية، واللغة اللاتينية وغيرها، وقد أفاد الطهطاوي كذلك من كلمة يونانية معربة منذ العصر العباسي، ومن كلمة فرنسية وقال بأن المصطلح " فن تركيب الكلام، فكأنه يقول فن النحو"[٦].

وهنا نجد الاقتراض المعجمي يتوازى مع بيان المحتوى بكلمات عربية شارحة.

٢. بدأت كلمات جديدة تأخذ دلالات اصطلاحية عند العلماء، وأصبح عدد كبير منها من الرصيد الأساس للمصطلحات اللغوية، منها كلمة: قاموس تحولت من اسم على أحد المعجمات فأصبحت كلمة عامة دالة على كل أفراد هذا النوع من المؤلفات اللغوية، فكلمة قاموس مثال واضح لبداية استخدام كلمة موروثة بمعنى اصطلاحي جديد أخذ يستقر في بداية النهضة الحديثة في مصر، وعليه فإننا نجد بداية استقرار كلمة قاموس للدلالة على ذلك النوع من المراجع اللغوية التي تعود إلى الفترة ١٨٢٢-١٨٣٢.

٣. ومن المفيد أيضًا أن تجمع المصطلحات التي وردت في كتب رواد النهضة، وفي مقدمة الطهطاوي والشدياق، والمصطلحات التي وردت في عدة دوريات ومجلات حديثة، كانت من طرف جرجي زيدان، وإبراهيم اليازجي، وأنستاس ماري الكرملي، فهذه المطبوعات المتخصصة وغير

آليات صناعة المصطلح اللساني الحديث

المتخصصة أسهمت بشكل واضح في تكوين مصطلحات استعرت اليوم بدلالات محددة مستحدثة، منها المصطلحات: قاموس، معجم، مجمع، اللغات السامية، التراكيب المعجمية، وذلك إلى جانب المصطلحات المستخدمة في الكتب الثقافية والتعليمية لتعرف الجديد من المصطلح اللغوي.

٤. دخل المصطلح العربي مرحلة جديدة بعد سنة ١٩٠٨م، إن التحول الجديد وثيق الصلة باتجاهات البحث اللغوي الإيطالي: جويدي "مختصر علم اللغة العربية الجنوبية" سنة ١٩٢٩، أما برجشتراسر فكان يفيد من المصطلح نفسه، وقد ألف "التطور النحوي للغة العربية"، ونجد فيه مصطلح علم اللغة التاريخي، كما أضيفت مصطلحات علم الأصوات العمومي، والتغيرات الصوتية المطلقة، والمقيدة، وكلها مصطلحات جديدة في تركيبها ودلالاتها الحديثة.

٥. لقد أدرك برجشتراسر الفروق بين المصطلحات التراثية والمصطلحات الحديثة، ولم يكن يفيد من المصطلحات التراثية والمصطلحات الحديثة، ولم يكن يفيد من المصطلح التراثي إلا عند يقينه من مطابقة المفهوم الجديد للمفهوم التراثي؛ ولهذا وجد من الضروري عند التعبير عن مصطلح Assimilation أن يضع مصطلح التشابه أو التماثل وأن يوضح الفرق بين مفهوم التماثل في علم اللغة الحديث ومفهوم الإدغام عند النحاة العرب: كما نجده لا يشير إلى مصطلحات تراثية منها الهمس والجهر؛ وذلك لأن دلالة المصطلحين الأوروبيين كان موضع نظر وخلاف. وهنا نجد الإفادة المباشرة من المصطلحات الأوروبية في وضع المقابل العربي، وبين برجستراسر موقفه، بقوله: "مصطلحات غير اصطلاحاتنا، أصل بعضها غامض، ولكن معناها واضح، وهي: مجهور بمعنى صوتي ومهموس بمعنى غير صوتي"، وعليه فقد ميز برجستراسر الأصوات إلى صوامت وصوائت وحركات ممدودة وغيرها من المصطلحات.

٦. استقرت اتجاهات البحث اللغوي الحديث في اتجاهين أساسين، فقد ظلت المدرسة السامية المقارنة - التي يمثلها خليل يحيى نامي ومراد كامل وإبراهيم السامرائي، والسيد يعقوب بكر - تتعامل برصيد المصطلحات التي كانت قد استقرت منذ عرفت المنطقة العربية الدراسات السامية المقارنة، أما المدرسة اللغوية التي ارتبطت بإبراهيم أنيس ومن درسوا علم اللغة العام مع اهتمام خاص بعلم الأصوات، فكانت تمثل تيارًا موازيًا فتكونت أكثر المصطلحات المتداولة بجهود هؤلاء اللغويين[٧] كما عبرت هذه المصطلحات عن المفاهيم الأساسية للتحليل اللغوي، وتحدّدت في إطارها أسماء مُقنّنة للغات السامية ولهجاتها وللغات الأفريقية. وهكذا تجاوزت هذه المصطلحات في أكثر الاستخدام الفردي وأصبحت رصيدًا أساسًا في علم اللغة، وعلى إثر هذا وُضعت مصطلحات مُتعدّدة، منها علم اللغة التقابلي، وعلم اللغة التطبيقي، والبنيوية، والبنية السطحية والبنية العميقة، والنحو التوليدي التحويلي، وقد أصبحت هذه المصطلحات من الرصيد المشترك للّغويين العرب.

٧. كما تكونت عند عدد من اللغويين اللبنانيين مصطلحات تتفق إلى حد بعيد مع أشقائهم في مصر والعراق، وإن احتفظت في حالات محدودة بطابعها الخاص، فقد ذكر ريمون طحان في كتابيه عن "الألسنية"[٨] هذه التسمية وتسميتين أخريين هما: الدراسات اللغوية والعلوم الألسنية، وقد أفاد كثيرا من الاقتراض المعجمي في كل مصطلحات

الفونيتيكا Phoretique والفونولوجيا Phonologie والفونيم Phoneime. أما المصطلحات التراثية فقد استقرت على نحو ما عند أكثر اللغويين. وهكذا نجد مصطلحات المخرج والحنك والجهر والهمس والترقيق والإطباق والقلب المكاني، وقد استمر بناء المصطلحات اللغوية على نحو يتسم بالاطراد والخلاف المحدود.

٨. أما في المغرب العربي، فقد ظهرت جهود تمثلت في كتب رشاد الحمزاوي الذي أعدّ معجمًا تسجيليًا للمصطلحات الحديثة في اللغة العربية، ومنهم من اقتصر على الترجمة، وتعد الترجمة التي أعدها صالح القرمادي سنة ١٩٦٦ لكتاب "دروس في علم أصوات العربية" لجان كانتينو مهمة في التعريف بمشكلة المصطلحات اللغوية، وقد عرف القدماء هذا التخصص باسم علم اللغات linguistique أو علم اللغات العام، ولكن القرمادي أفاد من مصطلح مشرقي، نادر، وهو الألسنية وجعل تسمية علم اللهجات بـ Dialectologie، وعبر عن المُتَخَصِّص في اللهجات بأنه عالم في الألسنة Dialectologie، وتتسم محاولات القرمادي بقلة الاقتراض المعجمي، حاول أن يميز المفاهيم بكلمات عربية، فقد ميز علم الأصوات أو الصوتيات Phonetique عن علم وظائف الأصوات Phonologie، ولكن مشكلة المصطلحين تظهر عند النسبة إليهما، فالنسبة إلى الأول صوتي وإلى الثاني وظائفي، والكلمة الأخيرة غير دالة.

أما مصطلح Phonème فقد حاول نقله إلى العربية تارة بكلمة صوت وتارة بكلمة صوتم، ومن جانب آخر فقد بالغ القرمادي في الإفادة من المصطلحات التراثية على نحو جعل القارئ يخلط بين مفهومين مختلفين، كلمة "حرف" دالة في التراث على الرمز المكتوب والصوت المنطوق، فجعلها القرمادي ترجمة لكلمة Consonne في مقابل الحركة Voyelle.

٩. لقد كان مصطلح علم اللغة آخذًا في الاستقرار عند المتخصصين في المشرق وتونس، فإذا بنا نواجه بمصطلح اللسانيات في إطار زاعم أن الشّروط الضرورية لعالم اللغة مجتمعة عند عدد من الباحثين في المغرب. وبهذا بدأت الدعوة إلى تعديل المصطلحات القائمة، وقد شغل بعض اللغويين بالدفاع عن المصطلحات القليلة التي وضعوها.

١٠. إن قضية المصطلح اللغوي لا يمكن أن تؤخذ برؤية فردية ولا يمكن أن تبحث بطريقة النظر في المصطلح المفرد ثم الخلاف حوله والتشكيك فيه وإعادة النظر فيه، لقد ظهرت في السنوات الماضية مجموعة طيبة من المعجمات الثنائية اللغة بالمصطلحات اللغوية، أعدها أعلام تجمعهم الرغبة في مواجهة هذه المشكلة، وتفاوتت مناهجهم بين التقليد والاختيار الواعي وإكمال النقص باختراع مصطلحات فردية، ولن ننظر هنا في المصطلحات الواردة في هذه المعجمات بهدف مقارنتها بشكل جزئي، ولكننا نود أن نخرج من النظر في هذه المعجمات، وفي الكتب اللغوية المترجمة والمؤلفة بالعربية بسلسلة العامة لعلم المصطلح.

مصادر المصطلح:

إن من يضع مصطلحًا إنما يرتوي من مخزون اللغة وقاموسها الجمعي لفظًا يُشير إلى ما يفكر فيه، ويسمي ما يراه في هذه اللفظة التي تغدو علمًا يعرف موضوعه ومصطلحًا يميز مادته، تتوسط بين ذات واضعها بما تحمله من طابع ثقافي ونفسي واجتماعي، وما يحركها من أصابع التاريخ وفضاء الجغرافيا، وبين موضوع دلالتها بما يحمله من

ثبات المادة، ورسوخ العنصر، وشموله....، ومن ثم يحمل المصطلح في مضمونه دلالات ذاتية ذات نسق تاريخي وثقافي ودلالات موضوعية ذات خلوص منهجي وإرادة معرفية، بقدر إصابته في تمييز ما يثبت، وتجاوزه نحو ما يستقر، فعناصر الذات وطوابعها تجسد في المصطلح حكمًا منحازًا بالضرورة لجماع مكونات التراث في لحظتها الفردية والحضارية، وصفات الموضوع وطوابعه تحمله حقيقة الوجود، وتلبسه معنى الـ (ما صدق)، وبين هذه وتلك تغدو المصطلحات مادة الدراسة الاجتماعية، والعلامتية، والحضرية المعرفية، والبيئية والتاريخية، والبنائية، والتفكيكية،...مثلما هي مجال طريق للتملي في حركة الفكر والمفاهيم، والتفكير حول ما يصنع تفكيرنا ويوجهه.

وإذا نظرنا إلى تلك المصطلحات التي تحملها المادة الطبيعية والرياضية بسياجها الحسي والصوري الصارم على النحو الذي يتلاشى فيه دور الإنسان، ويخفت جهد الذات وطابعها في سك المصطلح، وإبداع التسمية كما هو حال العلوم الطبيعية والرياضية، فإن للمصطلحات الاجتماعية والفلسفية والأدبية واللغوية نصيبًا وافرًا من الصفة الإبداعية التي تشع بالفعل الإنساني، وتضيء بالذات كمحمول تنطوي عليه اللغة، وتكشف ما بداخله وما يختبئ في سريرته، وهنا يقف الفكر حاسمًا بين مصطلح تبدعه الذات لتسمي به فكرتها أو همها، وآخر تنقله أو تقلده عن غيرها للغرض نفسه، ففي إبداع المصطلح واختراع التسمية معاناة وصدق وحيوية إدراك ووعي بالسياق وتجادل مع زخم أضداده ومعايشة عميقة ونافذة لمعطياته، وهو ما يربط المصطلح بالتاريخ وكثير به بالواقع الاجتماعي والحضاري والخلفية المعرفية والإيديولوجية وطريقة التفكير وأُسسه المنهجية.

فقد تكاد الوسائل لتكوين المصطلحات اللغوية لا تخرج عن المسائل العامة لتكوين المصطلحات وألفاظ الحضارة في العربية الفصحى في العصر الحديث، إلى جانب المصطلحات التراثية الموروثة عن علماء النحو واللغويين العرب، وتعبر عن استمرار البحث اللغوي في العربية عبر القرون، فإنّ المصادر الأساسية لتكوين المصطلح تتمثل فيما يأتي[٩]:

المصطلحات التراثية:

أ. بدأ البحث في الأصوات العربية على أساس الإفادة من جهود النحويين واللغويين في إطار المناهج الحديثة، ومنذ أواخر القرن الماضي بدأ اهتمام المستشرقين الأوروبيين بما كتبه العرب في تصنيف أصوات العربية واهتموا بطبيعة الحال بمصطلحات التصنيف.

واستمر هذا الاهتمام على مدى المائة عام الماضية، وقد كان المستشرق الألماني شاده قد كتب رسالة عن علم الأصوات عند سيبويه (١٩١١م)، وكان برجشتراسر مدركًا لمشكلات مصطلحات البحث الصوتي في التراث العربي، وهو يُحاضر عن العربية في ضوء اللغات السامية، أما المنشورات العربية في هذا المجال، من أقدمها كتب إبراهيم أنيس ومحمود السعران وكمال بشر وتمام حسان، فقد كتبها مؤلفون وثيقو الصلة بالمصطلحات التراثية في البحث الصوتي؛ ولهذا كله فقد استقرت أكثر المصطلحات الحديثة في البحث الصوتي المأخوذة عن جهود النحاة واللغويين العرب، ولا خلاف يذكر بين المتخصصين في استخدامهم لمصطلحات: حلقي أو حنكي أو خيشومي أو شفوي أو أسناني أو مهموس أو مجهور، أما المصطلحات التي تعبر عن مفاهيم

علمية التي لم تكنّ للعرب معلومة عنها فهي موضع اجتهاد، وإن كان الاتفاق قد أقر الكثير منها مثل مصطلحي النبر والمقطع[١٠].

ب.بعض المصطلحات التي تضمها المعجمات المتخصصة خالفت لسبب أو آخر عرفه التراث اللغوي العربي من مصطلحات، وعليه فقد كان النحويين قد قسموا الأسماء المعربة إلى منصرفة وممنوعة من الصرف، النوع الأول، تتضح فيه ثلاث علامات إعرابية والنوع الثاني تظهر فيه علامتان إعرابيتان، وقد وضع المستشرقون للاسم المنصرف مصطلح Triptote ولا مبرر لإعادة ترجمته إلى العربية بمصطلح ثلاثي إعرابي، كما وضعوا للممنوع من الصرف مصطلح Diptote، ولا داعي لإعادة ترجمته بمصطلح ثنائي الصرف، والصواب triptote: منصرف Diptotes ممنوع من الصرف.

إن تقسيم المفردات يعد مرحلة أساسية في التحليل النحوي، وعندما صنف سيبويه الكلمات إلى اسم وفعل وحرف استعمل مصطلح الكلم، وحدد فرقًا أساسيًا بين دلالة مصطلح الكلم (وواحدة كلمة) من جانب ودلالة مصطلح الكلام من الجانب الآخر.

ج. ثبت أنه من الضروري الاهتمام بقضية المصطلحات المستخدمة في التراث اللغوي العربي. وهنا نجد حصرًا دقيقًا للمصطلحات التي أفاد منها النحاة في هذا الموضوع، ولن يمضي وقت طويل حتى نجد المصطلحات العربية في علوم اللغة قد جمعت على نحو يجعل الإفادة منها أمرًا يسيرًا ويجعل الخلاف حولها غير ذي موضوع.

الاشتقاق:

أ. أفاد البحث اللغوي الحديث من عدة أبنية لتكوين كلمات جديدة تعبر عن مفاهيم مستحدثة، وفي مقدمها أبنية المصادر، والمصدر الصناعي ومشكلة المصدر الصناعي ليست في بنيته، فهي بنية تنتهي بلاحقة (ية) وما أسهل أن يقال الخيشومية أو التركيبية أو المعجمية أو الألسنية أو السلوكية، ولكن المشكلة تكمن في دلالة هذه الصيغة فهي تدل على المذاهب والاتجاهات مثل السلوكية والبنيوية والتحويلية، وهذه الصيغة تقابل الكلمات الأوروبية المنتهية بـ ISM، المشكلة كامنة في دلالة هذا الصيغة أيضًا على العلوم ومجالاتها وذلك مثل استخدام كلمة "الألسنية"؛ أي علم اللغة و"الاجتماعية"؛ أي علم الاجتماع، وكذلك "الصوتمية"، و"الصرفية" و"التركيبية" و"المعجمية"، بدلاً من علم الأصوات، علم الصرف، علم التراكيب، علم المعجم، ويرفض كثير من اللغويين استخدام هذه اللاحقة الواحدة لدلالتين مختلفتين ويرون أنّ تحديد دلالة المصدر الصناعي للتعبير عن المذاهب و الاتجاهات.

ب. هناك ثلاثة أوزان مصدرية تكونت بها مصطلحات جديدة في علوم اللغة.

- وزن تفاعل، مثل تعامل، تعالق، تقابل، تماثل، تناوب

- وزن انفعال: مثل: انجهاز، انحباس

- وزن تفعيل: مثل تصويت، تحنيك

وهذه الصيغ المصدرية وما يصل بها من أفعال تفيد كثيرًا في وضع المصطلحات ولا خلاف عليها من حيث البنية، ولكن الاتفاق على دلالة كل كلمة من هذه الكلمة المشتقة ضروري لكي تصبح هذه الكلمات مصطلحات دالة[١١].

الاقتراض المعجمي:

أ. يتضح الاقتراض المعجمي في مجموعة من المصطلحات الدالة على علوم جديدة؛ ولذا

نجد بعض اللغويين أفادوا من مصطلحات مثل: فنولوجيا، فيلولوجيا، واستعملوا الصيغ المنسوبة فنولوجي و فيلولوجي، وفي حالات كثيرة يُرفق إلى جانب المصطلح المقترض شرحٌ باللغة العربية يكشف عن دلالة المصطلح في أحسن الأحوال، ويصل إلى درجة من الغموض في أحوال أخرى، مثل شرح مصطلح فيلولوجيا بأنه فقه اللغة أو علم اللغة مع أن لكل مصطلح منهما تاريخهُ المستقل الذي يجعله مختلفًا عن الآخر.

ب. تستخدم المصطلحات المقترضة في تسمية الأجهزة التي يفيد منها الباحثون في دراسة الأصوات، ومنها الكيموجراف، وفي التعبير عن الطرق المرتبة بآلة معينة، ومنها البلاتوجرافيا؛ أي طريقة الأحناك الصناعية.

ج. هناك مصطلحات مستقرة حاول بعض العلماء تجنبها بأخذ المصطلح الدخيل وتفضيله على المصطلح العربي، مثل ذلك مصطلح التأصيل فقد ذكر تارة بكلمة إيتيمولوجيا على الرغم من أن المصطلح العربي متداول.

د. تكونت عدة مصطلحات عن طريق الترجمة المباشرة لمكونات المصطلح الأوروبي المركب، وهذه الطريقة تُعين على الضبط الدولي للمصطلحات ولا تعد مشكلة حقيقة، من ذلك ترجمة مصطلح Harmonie Vocalique بمصطلح الانسجام الحركي، ومصطلح Nasal Resonance رنين خيشومي، ومصطلح substratum طبقة لغوية سفلى. مشكلة هذا النوع تكمن أحيانًا في وجود مصطلح تراثي أبسط من حيث التركيب من المصطلح الأوروبي وأوضح في الدلالة من ذلك مصطلح المخرج، ويقابله Point of articulation؛ أي موضع النطق، وقد ثبت المصطلح العربي الموروث على ترجمة المصطلح الأوروبي المركب[١٢].

هـ. بعض المصطلحات مركب على نحو يحذف حرفان من حروف الكلمة الأولى ويكوّن من الكلمتين تركيبًا يشبه النحت، ومصير الكلمات المكونة على هذا النحو ليس أفضل من مصير باقي الكلمات المكونة بطرق النحت في العربية؛ ولذلك فإن ترجمة المصطلحات الأوروبية المركبة المبدوءة بالسابقة Inter قد اقترح له أن يترجم بكلمة (بين) مع حذف هذه النون النهائية، فيقال بينصوصية Intertextualité للدلالة على علاقة النص بنصوص لغوية أخرى، وهذه المصطلحات على الرغم من طرافة الفكرة غريبة عن النمط اللغوي العربي في تكوين المصطلحات ولم يشفع لها القبول عند علماء اللغة.

ماهية التقييس المصطلحي:

التقييس في المجال المصطلحي هو إخضاع التوليد المصطلحي لمواصفات ومقاييس منهجية دقيقة يتقيد بها عند الوضع كما يتقيد الصناعي بمواصفات معينة في إنجاز صناعته والتقيد بمواصفات ومقاييس، وهو يُؤدّي إلى ما يسمى بالتوحيد المصطلحي الذي كان غاية كثيرين من واضعي المصطلحات المحدثين، وعناوين بعض المعاجم دالة على ذلك فيما أنجزوا من أعمال لكن الاضطراب المنهجي في معالجة القضايا المطروحة كان كبيرًا؛ ولذلك الاضطراب أسباب خارجة عن اللغة أحيانًا مثل التعصب للمذهب أو للغة الأعجمية المصدر أو للثقافة أو للقطر ولم تخل أعمال المحدثين في الغالب من وجه من وجوه ذلك التعصب، ولاشك أن العمل المصطلحي في الأقطار العربية، بمجامعها وجامعاتها ومؤسسات المصطلح فيها- سيبقى على ما هو عليه من اضطراب منهجي و"فُرقة" اصطلاحية ما لم توضع مناهج دقيقة واضحة يتفق عليها ويُتقيّد بها

كصفات قياسية في العمل المصطلحي.

وقد صدرت هنا وهناك في عدّة أقطار عربية محاولات في التقييس المصطلحي عُنيت بالتّقييس الصناعي خاصة، ونريد أن نذكر من تلك المحاولات اثنتين:

أولاهما كانت من طرف علماء من تونس وعلى رأسهم إبراهيم بن مراد، وهي "منهجية تعريب الأصوات الأعجمية"(١٣)، وقد أولت العناية بتعريب الأصوات الصوامت، ووُضعت لها مبادئ عامة من أهمها الأول والثالث والخامس، و ينُصُّ الأول على أن " يحافظ في تعريب الصوت الأعجمي على خصائص الناظم الصوتي العربي فلا تضاف إليه أصوات جديدة ليست منه تقيدًا في ذلك بالشفرة العربية الموحدة"(١٤)، وينص المبدأ الثالث على أن: " يتخذ لكل صوت أعجمي صوت عربي واحد فلا يشترك صوتان عربيان أو أكثر في تعريب الصوت الأعجمي الواحد"(١٥)، وأما المبدأ الخامس فينص على إجازة أن " يشترك الصوت العربي الواحد في تعريب صوتين أعجميين للتقيد بما جاء في المبدأ الأول، على أنه لا يجوز إشراكه في تعريب صوتين لهما في العربية حرفان أصليان يؤديانهما"(١٦)، ثم اقترحت بعد ذلك عشرين قاعدة في تعريب الصوامت المفردة ثم خمس قواعد في تعريب الصوامت المركبة.

وأما **المحاولة الثانية**: فهي: "المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنظيمها" للأستاذ محمد رشاد الحمزاوي(١٧). تقوم هذه المنهجية على شرطين أساسيين وأربعة مبادئ كيفية وأربعة مقاييس كمّية(١٨)؛ أما الشرطان فأولهما اعتماد التوثيق بالاتفاق اتفاقًا واضحًا على مصادر ومراجع مضبوطة تعتمد في الاستقراء، وثاني الشرطين هو اعتماد عناصر كيفية تحدد القواعد الاختيار وعناصر كمية تضبط العناصر الكيفية بالأرقام، وأما المبادئ الكيفية فأربعة، وهي اطراد المصطلح وشيوعه، ويسر تداوله، وملاءمة المصطلح المترجم للمصطلح الأعجمي، ثم حوافز اختيار المصطلحات مثل بساطة صيغته وإمكان الاشتقاق منه ووضوح بناء الصرفي.

وأما مقاييس الكم فهي تطبيق مبادئ الكيف باعتماد الإحصاء والتواتر، فيكون الاطراد بحسب شيوع المصطلح أكثر من غيره في المصادر المعتمدة، ويكون يسر التداول على أساس عدد الحروف الأصول التي يتركب منها المصطلح، وتكون الملاءمة بضبط الميادين التي يستعمل فيها المصطلح، فكلما قلت مجالاته كان أصلح للاختيار، وأما الحواجز فتضبط بحسب إمكانات الاشتقاق من المصطلح الموضوع.

على أن هذه المنهجية، والمنهجية السابقة لا يكون لهما صدى وأثر طيب إلا إذا اعتمدتا، ولا يكون اعتمادهما مفيدًا إلا إذا نالتا موافقة عربية واسعة، لكن ذلك ليس من اليسير في هذا الوقت؛ لأن مسائل التقييس والتوحيد عامة مازالت لم تنل حظها من العناية والاهتمام بين العرب؛ إذ يبدو أن الحاجة إليها مازالت لم تمسهم المساس كله.

المصطلح في الوقت الحاضر وآفاق المستقبل:

لا تزال المصطلحات تشق طريقها، وهي دائمًا في تطور ونماء لحل مشكلات اللغة؛ لأن اللغة تعبر عن الإنسان وحاجاته، والإنسان لا يعرف الاستقرار والثبات، فلابد من الحفاظ على اللغة؛ لأن بها تحفظ الصلة بين واقع الأمة وماضيها، وهو ما يؤدي إلى الحفاظ على المستقبل، وما دمنا قد قلنا إن اللغة كائن حي يولد وينمو ويموت، إن الفصل لا يقف، فالذين كانوا قبل عشرة آلاف سنة لا يزال نَسْلهم يتوالى إلى اليوم، ولكن وجودهم في أمة

راهنة مُتعلق ببقاء لغتهم وحضارتهم، بهذا يُفهم بقاء الأمم وانقراضها[١٩].

إن التطور السريع للعلوم والتكنولوجيا بالدرجة الأولى وللعلوم الإنسانية بالدرجة الثانية أصبح يستدعي الدقة في استعمال الألفاظ والمصطلحات، وهذا ما يجب أن تقوم به الهيئات والأفراد حتى نصل إلى التعريب، لننمي لغتنا بألفاظ العلوم التي تتكاثر يومًا بعد يوم، ويميل العلماء فيها إلى التعبير الفني الدقيق[٢٠].

فالتعبير الدقيق يُفرّق بين الألفاظ وإن تشابهت، وهذا ما تفطن إليه الجاحظ منذ وقت مبكر حين أدرك أن العامة من الناس لا يحسنون استعمال الكلمات، فمن ذلك أنهم يستخفون ألفاظ فيقتصرون على استعمالها، من ذلك أنهم يستعملون الجوع مكان السّغب، مع أن كلمة جوع لم ترد في القرآن الكريم إلا مع العقاب، وكذلك يفضلون كلمة مطر على كلمة غيث، مع أن "الغيث" للنعمة والرّحمة" و" المطر" للعذاب والإهلاك[٢١].

ونورد مثالاً على الدقة قول الشعبي في تقسيم الجلوس: جلس الإنسان برك البعير، ربضت الشاة، أقعى السبع، جثم الطائر، حضنت الحمامة على بيضها[٢٢].

إن الدقة في شرح الكلمات وتتبع أصولها له نتائج جيدة في البحوث العلمية، وهو ما قام به المؤرخ الفرنسي المشهور Fustel de coulange عندما تتبع تاريخ "الميروفنجيين" فتعمق في دراسة نحو مائة كلمة من الكلمات المطورة في الوثائق التاريخية، وتَوصَّل إلى حقائق هامة جدًا، غيرت ما كان يُعرف عن تاريخ فرنسا في عهد هذه الأسرة تغييرًا كبيرًا[٢٣].

فاللغة العظيمة هي التي تتعامل مع غيرها أخذًا وعطاء، ومقدرة اللغة على تمثل الكلام الأجنبي يعدّ ميزة وخصيصة لها إذا هي صاغته على أوزانها، وأنزلته على أحكامها، وجعلته جزءًا لا يتجزأ من عناصر التعبير فيها[٢٤].

وبهذا الأخذ والعطاء يصل الأدب إلى العالمية، وهو الخروج من الحدود القومية، طلبًا لكل ما هو جديد مفيد تهضمه اللغة وتتغذى به واستجابة لضرورة التعاون الفكري والفني بعضها مع بعض، لها أسسها العامة التي تحدد سيرها[٢٥].

والعربية حينما تأخذ المصطلحات- لا يعني هذا أنها ضعيفة أو عاجزة، وهذا ما يعتمد عليه الممتنعون عن استخدام اللغة العربية، وهذا الاعتماد فاسد أصلاً؛ لأنه يخلط بين المصطلح الذي هو دعاء، واللغة التي هي أداة التفاهم.

إن تطور الدلالة ظاهرة شائعة في كل اللغات يلمسها كل دارس لمراحل نمو اللغة وأطوارها التاريخية، وقد يعده المتشائم بمثابة الداء الذي ينذر أن تضر أو تنجو منه الألفاظ، في حين أن من يؤمن بحياة اللغة ومسايرتها للزمن ينظر إلى هذا التطور على أنه ظاهرة طبيعية دعت إليها الضرورة الملحة[٢٦].

واللساني مطالب قبل غيره بمواكبة تطور اللغة، فهو أدرى من غيره بها، يَتَصدّر مركز المسؤولية في التخطيط والتطويع والمواكبة المتعلقة بالاصطلاح، فهو لا ينال من مصطلح ميدانه وحسب، ولا عن اصطلاح الميادين المجاورة، بل يقاسم مسؤولية أي إخصائي في وضع المولد الجديد في حقله، وضبط وسائل توليد اللغة (Néologie) [٢٧].

وعلى هذا الأساس يستوجب النهوض بعلم اللغة في المنطقة العربية مقومات كثيرة نذكر ما يتصل منها بالمصطلحات:

أ. ثبت أن المصطلحات التراثية تشكل رصيدًا مشتركًا لابد من الإفادة منه على نحو واضح في إيجاد المصطلحات اللغوية الحديثة.

لقد تجاوز البحث تلك الرؤية العامة للمصطلحات في إطار بحث المدارس النحوية؛ وأصبح الاتجاه الحالي يتجه إلى عمل بحوث متخصصة تقوم على جرد مصطلحات البحث الصوتي من مظانها في كتب النحاة واللغويين، وتبحث أيضًا في ما يتصل بالأداء النطقي في كتب البلاغيين إلى جانب المصطلحات الواردة في كتب التجويد، أما المصطلحات الصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية فلها مصادرها الكثيرة التي يعتمد عليها في العمل المعجمي المختص.

ب. اتضح أن الجهود التي بذلت في العصر الحديث اقتصرت على المصطلحات الأساسية ولم تتجاوزها إلى مصطلحات أكثر عمقًا وتخصصًا فما أكثر المصطلحات التي لم توضع لها مقابلات على الإطلاق، فأكثر الباحثين يبدأ من الصفر وينتهي قريبًا منه، واكتفى من كان يريد الترجمة باقتباس الأفكار البسيطة في الكتب المترجمة وتجنّب التفصيلات التي لم توضع للتعبير عنها مصطلحات مناسبة.

ج. لم يعد من المفيد النظر الجزئي في المصطلح المفرد بهدف إيجاد المقابل العربي له، فإن الكلمة الواحدة قد تختار عند النظر في مصطلح ما ثم تختار مرة أخرى عند بحث مصطلح آخر، وبذلك تكون لمفهومين مختلفين أو أكثر؛ ولهذا فمن الضروري الإفادة من الفكرة الأساسية في علم المصطلح العام، والتي تقول بضرورة حصر مصطلحات التخصص الدقيق الواحد ووضع مصطلح لها على النحو الذي يحقق التحالف المنتمية إلى مجال واحد أو إلى مستوى واحد من مستويات التحليل[٢٨].

د. تعددت التخصصات الدقيقة في إطار علم اللغة العام، وفي إطار علم اللغة التطبيقي، وفي المجالات التي تربط علم اللغة بالعلوم الأخرى وما أكثر هذه الفروع؛ ولهذا فقد يكون من الضروري في هذه المرحلة التخطيط لحصر المصطلحات في داخل كل تخصص دقيق وإيجاد المقابل العربي لكل منها.

هـ. تعدّ المعجمات التي تخلو من التعريفات غير مفيدة للقارئ، فالمعجمات المتخصصة التي تكتفي بالكلمة ومقابلها تجعل القارئ يحمل في حالات كثيرة دلالة كلمة في لغة ما على كلمة أخرى في لغة ثانية؛ ولهذا فإن بعض المعجمات الأوروبية المتخصصة في علوم اللغة تورد المصطلح بأكثر من لغة مع بيان دقيق للمحتوى، وهي في الواقع معجمات موسوعية متخصصة، ولم يصدر بالعربية معجم متخصص من هذا النوع لمصطلحات العلوم اللغوية.

و. من الضروري وضع المصطلحات المعيارية موضع التنفيذ في إطار خطة متكاملة لترجمة المؤلفات الأساسية في علم اللغة العربية، إلى جانب الكتب الأساسية في المجالات المتصلة به، وفي مقدمتها، علم اللغة التطبيقي، وعلم الأسلوب، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وعلم المصطلح. المصطلح إذن - غني بالمعرفة المنهجية؛ لأنه جزء أساس من آلية الخطاب العلمي، وعلميته هذه متأتية من موضوعيته التي تعيد فعل الدلالة والصياغة فيه إلى درجة الشفافية والمطابقة، وهي أعلى مستويات الكفاءة التواصلية في فعل اللغة.

مقالات

الخاتمة:

يكفي اللغة العربية شرفًا أنها عاشت لغة الحضارة الإسلامية والتراث العربي الإسلامي، وأنها ثرية كل الثراء بألفاظها وأساليبها وبلاغتها، وبما تشتمل عليه من أصول لغوية نادرة على النمو والتجدد والحياة.

وفي عصر الحضارة الحديثة، ونحن مقبلون على الدخول على قرن جديد وأمام سيل المصطلحات العلمية الوافدة إلينا، والتي تصلبّها نموا الحضارة والمخترعات الجديدة، كان لابد للعقل العربي أن يقف أمام هذه المصطلحات دارسًا ومخططًا ومحاولاً اتخاذ موقف لغوي منها، وكان لابد لنا كذلك من التعرف إلى موقف أسلافنا من الحضارات التي كانت محيطة بهم، ومن المفردات اللغوية الدخيلة التي وفدت إليهم وحاولت التسلل إلى لغتهم بتأثير الاختلاط والجوار والتجارة والتقارب الإنساني واللغوي.

ونحن اليوم في أشد الحاجة في استعمالاتنا وكتابتنا إلى ألفاظ لا حصر لها من المصطلحات العلمية للمسميات التي تعايشنا في كل جوانب حياتنا العامة والخاصة على السواء.

وأهمية المصطلح العلمي ترجع إلى أنه أساس الدراسة والبحث والتأليف وهو عامة لغة العلماء، وقد بذلت فيه، جهود كبيرة منذ فجر القرن العشرين، واختلفت الأساليب المتبعة من أجله، فمن إحياء للمصطلحات القديمة إلى استحداث مصطلحات جديدة عن طريق الاشتقاق والتعريب أو نقل المصطلح بعينه وصدرت معاجم متخصصة، وفي علم اللغة العربية أصبحنا نقرأ في الحداثة، وفي البنيوية، وفي النقد والبلاغة عمومًا مصطلحات جديدة لا حصر لها، مع اختلاف البلدان العربية في استعمال هذه المصطلحات أيضًا، فنقرأ وكأننا نقرأ لغة غير مفهومة إلا أننا في حاجة إلى توحيد المصطلح ونشره في كل مكان، ومن الضروري استقراء وإحياء التراث اللغوي العربي والوقوف على ما استعمل منه وما استقر منه من مصطلحات عربية صالحة للاستعمال اليوم.

الحواشي

١- الحضارة الإسلامية (مجلة) المعهد الوطني التعليم العالي العدد٢ نوفمبر ٩٨ وهران. "المصطلح العلمي في اللغة العربية، عبد المنعم خفاجي، الأزهر، ص ١٠٢.

٢- الحضارة الإسلامية (مجلة) العدد ٠٢ نوفمبر ١٩٩٧م المصطلحات العلمية في الفقه وأصوله" إسماعيل يحيى رضوان قسنطينة" الجزائر" ص ٢٦.

٣- مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، ص٧٠.

٤- المرجع نفسه، ص ٧١.

٥- مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، ص ٧٢.

٦- من قضايا المنهج في نقل المصطلح ووضع وتقييسه في اللغة العربية، إبراهيم بن مراد المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٢م-ص ١٠٧.

٧- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمد فهمي حجازي، ص ٢١٧.

٨- المرجع نفسه، ص. ٢٢٠.

٩- العربية، ريمون طحان، بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢م. (سلسلة الألسنية ١،٢) ميشال زكريا والألسنية وعلم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ميشال زكرياء، ط٢، بيروت المؤسسة الجامعية، مدارسات، ١٩٨٣م، وله أيضًا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية والجملة البسيطة، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والفكر ١٩٨٣م.

١٠- الأسس اللغوية، لعلم المصطلح، محمود حجازي ص ٢٢٤.

١١- المرجع نفسه، ص ٢٢٤.

١٢- المرجع نفسه، ص ٢٢٨.

١٣- المرجع نفسه، ص ٢٢٧.

١٤- مسائل في المعجم إبراهيم بن مراد، ص ١٢٢.

١٥ - المرجع نفسه، ص ١٢٣.

١٦ - المرجع نفسه، ص ١٢٣.

١٧ - المرجع نفسه، ص ١٢٤.

١٨ - المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها (الميدان العربي) محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م، ص ١٢٠.

١٩ - المرجع نفسه، ص ٦٣-٦٦.

٢٠ - تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين بيروت ط٥، ١٩٨٤م، ج٢ ٢٧١.

٢١ - دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ١٠-١٩٨٣م، ص٤ ٣٢١.

٢٢ - البيان والتبين، الجاحظ، ج١/ ٢٠.

٢٣ - فقه اللغة وأسرار العربية الثعالبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص ١٩٣.

٢٤ - المصطلحات في عالم التدوين، أحمد الأطراش السنوسي، مجلة الحضارة الإسلامية، ص ١٦٣.

٢٥ - دراسات في فقه اللغة، صبحي صالح، ص ٢١٤.

٢٦ - الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، دار العودة، ط٥ص ١٠٥

٢٧ - دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط٢، ١٩٧٢م، ص ١٢٢.

٢٨ - اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات بيروت باريس ١٩٨٥م، ص ٣٩٢.

٢٩ - الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، ص ٣٢٤.

موارد البحث ومصادره

١ - الأدب المقارن، محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، دار العودة، ط٥.

٢ - الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمد فهمي حجازي،، مكتبة غريب، مصر، (د.ت).

٣ - الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية والجملة البسيطة، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والفكر ١٩٨٣م.

٤ - البيان والتبين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٤٨م.

٥ - تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين بيروت ط٥، ١٩٨٤م.

٦ - الحضارة الإسلامية (مجلة) العدد ٠٢ نوفمبر ١٩٩٧م المصطلحات العلمية في الفقه وأصوله" إسماعيل يحيى رضوان قسنطينة" الجزائر".

٧ - الحضارة الإسلامية (مجلة) المعهد الوطني التعليم العالي العدد٢ نوفمبر ٩٨وهران."المصطلح العلمي في اللغة العربية، عبد المنعم خفاجي، الأزهر.

٨ - دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط ١٠-١٩٨٣م.

٩ - دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، ط٢، ١٩٧٢.

١٠ - العربية، ريمون طحان، بيروت دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢م، (سلسلة الألسنية ١،٢) ميشال زكريا الألسنية وعلم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، ط٢، بيروت المؤسسة الجامعية، مدارسات، ١٩٨٣م.

١١ - فقه اللغة وأسرار العربية الثعالبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م.

١٢ - اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات بيروت باريس ١٩٨٥م.

١٣ - مسائل في المعجم، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامية،بيروت، ط١ (١٩٩٧ م).

١٤ - من قضايا المنهج في نقل المصطلح ووضعه وتقييسه في اللغة العربية، إبراهيم بن مراد المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٢م.

١٥ - المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها (الميدان العربي) محمد رشاد الحمزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٦م.

دور تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ترسيخ الهوية العربية رؤية استشرافية

د. هاني إسماعيل محمد
جمهورية مصر العربية

مقدمة:

باسم الله الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على من نزل على قلبه تنزيل رب العالمين بلسان عربي مبين ليكون من المنذرين.

أما بعد:

فعلى الرغم من الإهمال الشديد والتقصير البين من أصحاب اللسان العربي إلا أن الإقبال على اللغة العربية يزداد يومًا بعد يوم بشكل مطرد ومتسارع، وإن تعددت الأسباب والأغراض لهذا الإقبال المتزايد، فالشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية تقبل على تعلم اللغة العربية لفهم العلوم الإسلامية وممارسة الشعائر والطقوس الدينية، بينما نجد غير المسلمين يهتمون بدراسة اللغة العربية لتحليل الثقافة السائدة، ولإدراك المفاهيم التي تشكل العقلية العربية المعاصرة وتؤثر في توجهاتها، ولمعرفة الأنماط السلوكية للشعوب العربية، مما يسهم بشكل بارز في اتخاذ القرار الملاءم عند صناع القرار في الدوائر الغربية، وقد لعب الاستشراق - ولا زال - هذا الدور الذي يخدم الأطماع الاستعمارية وعلى رأسها محو هوية الأمة.

ولكن هل يمكن من خلال تعليم اللغة العربية ترسيخ الهوية العربية الإسلامية عند الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية واكتساب أرضًا جديدة للعربية؟

وهل بالإمكان توجيه الدراسات الاستشراقية إلى عيون الحضارة العربية والإسلامية، وتحويل الدفة من دراسات معادية إلى دراسات منصفة ومحايدة تنظر إلى الحضارة العربية في مسارها الطبيعي ضمن الحضارات الإنسانية؟

في هذه الورقة نحاول الإجابة عن هذين السؤالين علنا نخرج بإجابة تسهم في رسم خارطة مستقبل للغة العربية الوعاء الرباني للهوية العربية والإسلامية، وقد جاء تقسيم البحث كالآتي:

تمهيد: جدلية اللغة والهوية.

المبحث الأول: إسهامات غير العرب في الحفاظ على اللغة العربية قديمًا وحديثًا.

المبحث الثاني: إسهامات المنصفين من المستشرقين في إحياء الثقافة العربية.

المبحث الثالث: مقترح برنامج لتوظيف تعليم اللغة العربية في ترسيخ الهوية.

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد: جدلية اللغة والهوية :

تُعد اللغة من أهم المقومات الأساسية للهوية؛ إذ في بوتقتها ينصهر الاعتداد بالذات الحاضرة مع الاعتزاز بالانتماء إلى روح الماضي، ومن خلالها تجري محاولات تشكيل المستقبل، فاللغة هي الخط الزمني الذي تلتقي فيه الأجيال بكل آمالها وآلامها، وهي النابضة بمشاعرهم ووجدانهم قبل أفكارهم ووعيهم، ومن ثم يرى هيردر (١٨٠٢م) "أن قلب الشعب إنما ينبض في لغة الشعب، وروح الشعب تكمن في لغة أسلافه، وهي الوعاء الذي استودعته الشعب كل ما أنجزه من نفائس الفكر، وذخائر الأعراف والفلسفات والعقائد"[١].

وإن كانت اللغة تميز الجنس البشري عن غيره من الكائنات الحية بأنه (حيوان ناطق)؛ فإنها - أيضًا - تميزه بأنه كائن ذو تاريخ ينقل تجاربه وخبراته من جيل إلى جيل؛ حيث "إنها تحتفظ على تتابع العصور وتنوع الحضارات بقيمتها ومكانتها، فهي المظهر المادي للوجود الحقيقي للإنسان، فحين يفنى الأفراد وتندثر الجماعات لا يبقى منها ذو قيمة إلا ما حفظته اللغة، وهي القوة الخفية التي تحرك الأفراد وتوجه المجتمعات، وتعي الحضارات"[٢].

ومن هنا كانت اللغة من أقدم تجليات الهوية لدى الجماعة البشرية، فاللغة في أساسها ظاهرة جماعية واجتماعية يدور في فلكها الأفراد، وهي التي تسهم بشكل بارز في صياغة خصائصهم المشتركة، "فاللغة هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها، وجودًا متميزًا قائمًا بخصائصه، تتحد بها الأمة في صور التفكير وأساليب أخذ المعنى من المادة"[٣]. وإلى هذا أشار فخته (ت ١٨١٤) بقوله: "إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كيانًا واحدًا متكاملاً ربطته الطبيعة بوشائج متينة، وإن تكن غير مرئية"[٤].

بذلك تتجاوز اللغة النظرة القاصرة التي تحصرها في كونها مجرد أداة للتواصل بين أفراد جماعة من البشر للتعبير عن حاجات الإنسان ومتطلباته الفطرية من مأكل وملبس أو مجرد وسيلة لتعبير عن مشاعره من فرح وحزن وخوف وأمن؛ فالإنسان يستطيع أن يتواصل ويتفاهم بدون اللغة المنطوقة أو حتى المكتوبة، فالأخرس - مثلاً - يتواصل مع الآخرين ويتفاهم معهم عبر الإشارة.

بل إن غاية التواصل والتعبير عن الحاجة تتحقق لأي كائن حي، وليست للجنس البشري فحسب، فلا شك في أن الكائنات الحية على مختلف أجناسها وتباين أنواعها يمكنها التعبير عن متطلباتها الفطرية، كما لديها القدرة على التواصل فيما بين أفرادها، فضلاً عن التواصل مع البشر "فالحيوان ينقل حاجته إلى الطعام أو الري أو الإشباع، وينقل مشاعره خوفًا وتهديدًا وترحيبا من خلال تنوع في درجات الصوت، وحركات الوجه، وتقلص الأعضاء أو تهللها، وهز الذيل أو سكونه، وغير ذلك من الوسائل التي ندركها وقد تعارفنا على فك شفرتها"[٥].

قد أدرك علماؤنا - قديمًا - هذه المسألة وأكدوا على أن اللغة المنطوقة والمكتوبة ليست هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن مكنونات النفس وحقائق الحاجات، بل هناك وسائل أخرى، مثل: اللفظ، والخطّ، والإشارة، والعقد؛ وإلى هذا أشار الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨م) في "الحيوان"[٦] وعليه عرف البيان في "البيان والتبين" فقال:

"البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك البيان في ذلك الموضوع"[٧].

بيد إن كان بمقدور الكائنات الحية (غير الناطقة) التعبير عن الحاجات والمشاعر العاجلة؛ لكنها لا تستطيع التحدث عن الماضي والحاضر أو التعبير عن الأفكار المجردة، فمثلاً قرد الشمبانزي - وهو من أذكى الحيوانات - "لم يستطع حتى الآن أن يخرج من إحدى التجارب النفسية؛ ليقول للقرد الذي يليه في الدور: هناك عالم مجنون سوف يعطيك موزة إذا استطعت انتقاء العنصر الغريب، بتعبير آخر لا يستطيع القرد ترجمة أية عمليات يستخدمها للاستحضار الداخلي لمشكلة ما في صورة يمكن أن يوصلها خارجيًا"[٨].

ومن ثم فإن اللغة تتجاوز هذا الإطار المحدود الذي يختزلها في وظيفة أداتية إلى عالم أوسع وأرحب يجعل منها - حقيقة لا مجازًا - أسًا ترتكز عليه الهوية، ولبنة يتشكل منها العالم، فمن خلال اللغة تستطيع تشكيل العالم وإعادة بنائه، فاللغوي "همبولد" (ت ١٨٢٥م) يرى أن اللغة لا تيسر فهمنا للعالم فقط وإنما هي أداة لتغيير العالم وإعادة بنائه[٩]، وعلى حد تعبير "جاك دريدا" (ت ٢٠٠٤م) فإن اللغة تحمل العالم في جوفها، وهي الهواء الذي نتنفسه[١٠]، وهو ما أشار إليه - أيضًا - وورف (ت ١٩٤١م) بقوله: بأن اللغة التي يتحدثها المرء تقود الفرد لإدراك العالم بطرق مختلفة[١١]، وهو ما يؤكده أهل النسبية اللغوية، حينما يقولون: "لغتي هي عالمي وحدود لغتي هي حدود عالمي"[١٢].

تكمن هنا خطورة اللغة على تشكيل هوية الفرد وصياغتها، وما يمكن أن يمثله هذا من خطر محدق على مصير الأمة، فاللغة هي الذات الفردية وهي الهوية القومية في آن، ومن ثمّ قدرتها في إدارة الصراع الإيديولوجي، والسيطرة على مصير الأمم ومقدراتها عن طريق السيطرة والتحكم في عقول أبنائها، وتوجيه رؤاهم الفكرية وميولهم النفسية، "فإذا أردت السيطرة على قوم فعليك أن تفهم لغتهم لتهيمن عليهم"[١٣]؛ لأنه حسب نظرية النسبية اللغوية السيطرة على لغة الإنسان تعني السيطرة على أسلوب تفكيره؛ لأن الإنسان يعيش عالمًا لغويًا لا عالمًا ماديًا ولا عالمًا فكريًا.

وهو ما يفسر لنا اهتمام القوى الاستعمارية بالغزو الثقافي والحرب الإيديولوجية، وهو ما اصطلح عليه حديثًا بالإمبريالية الثقافية، يقول جالوب (ت ١٩٨٤م) مؤسس منظمة جالوب الأمريكية لاستطلاع الرأي، والتي تلعب دورًا بارزًا في توجيه متخذي القرار في الإدارة الأمريكية: "إن انفاق خمسة بلايين دولار في الوقت الحاضر من أجل إنتاج كمية من الدبابات والمدافع والبوارج

لن تكفل لنا درجة من التفوق التي تؤدي للنصر النهائي على الشيوعية التي يكفيها إنفاق المبلغ نفسه على الحرب الإيديولوجية"(١٤).

وهو ذات التوصية التي تبناه من قبل المستعمر الفرنسي عندما اتجه لاحتلال الجزائر، فمما أوصى به الحاكم الفرنسي وقتئذ جيشه المحتل قوله: "علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة"، وهي ذات الوصية التي أوصى بها نابليون بونابرت من قبل جيوشه المتجه لاحتلال مصر حين قال لهم: "علموا الفرنسية ففي ذلك خدمة حقيقية للوطن"(١٥).

وفيما يبدو أن العقلية الاستعمارية عقلية واحدة منذ بدء الاستعمار فأرسطو يقول لتلميذه الإسكندر الأكبر: "إذا خرجت للحرب وفتحت مدينة فاذهب وابحث عن كاتب أغانيها فهو حاكمها"(١٦).

فكانت – ولا زالت – اللغة هي المحور الرئيس لصراع الوجود وصراع الهويات، فبقاء اللغة حياة للأمة وهويتها واندثار اللغة اندثار للأمة هوية وحضارة، فصراع اللغة هو صراع البقاء والفناء "فما من صراع بشري، إلا ويُبطن في جوفه صراعًا لغويًا، حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية"(١٧).

لهذا أدركت الأمم الحديثة أهمية الصراع اللغوي في الحفاظ على وجودها وترسيخ هويتها فعملت جاهده على إحياء لغة موات رغبة في تكوين شخصية قومية وهوية وطنية، وليس بعيدًا عنا تجربة الكيان الصهيوني في إحياء العبرية بعد اندثارها واقتصارها على مجرد طقوس وشعائر دينية في المعابد والمحافل الدينية، استطاع الكيان الصهيوني أن يجعل من اللغة العبرية المندثرة لغة حياة يومية ولغة دراسة من الحضانة إلى الجامعة، "إذًا ليس من باب المبالغة القول بأن إحياء العبرية ساهم بشكل مباشر في قيام دولة المغتصب في فلسطين، فبدون مقولة إليعازر بن يهودا لا حياة لأمة دون لغة ما كان للكيان المغتصب أو ما يسمى بدولة إسرائيل، أن يقوم على شعب ذاب في ثقافات مختلفة شرقية وغربية، وتمزق كل ممزق، وتشرب من عادات وتقاليد الحضارات المتباينة، وتقطع أوصاله في الأمم؛ إلا بإحياء اللغة، التي صنعت لهم حضارة من دون حضارة، وهوية بلا هوية"(١٨).

وبمفهوم المخالفة إن الأمة التي تفتقد لغتها تفتقد وجودها، وتهدم كيانها، وتطمس تراثها، وتصبح أثرًا بعد عين، وهذا ما يميط اللثام عن الجهود الحثيثة التي بذلها المحتل في الوطن العربي لتهميش اللغة العربية في مقابل لغته الوافدة، وهو ما تنبه له الرافعي عندما تعالت الصيحات ضد اللغة العربية، فقال:

"لا جرم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته؛ إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر، حتى إن أبناء الأب الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشيء على لغة، ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغة ثالثة؛ لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء"(١٩).

وبناء عليه، فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير والتخاطب بين الأفراد، بل هي حضارة الأمة

وحاضرها، تمثل ثقافته وهويته، والاعتزاز باللغة هو اعتزاز بالأرض والوطن، فاللغة انعكاس مباشر لجذور المرء عبر ذاكرة التاريخ بما فيه من آلام وآمال، انتصارات وانكسارات، ومنها وبها تستمد الشعوب حياة القلوب والعقول، "وما ذلّت لغة شعب إلا ذل ولا انحطّت إلا كان أمرها في ذهاب وإدبار، ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضًا على الأمة التي يستعمرها، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيته، فعليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد، أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبدًا، وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا، وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها فأمرهم لأمره تبع"(٢).

وهذا ما يحتم على أبناء الأمة بأسرها، وعلى مختلف الأصعدة، بذل ما في وسعهم للحفاظ على لغتهم، ومواجهة كل التحديات والمعوقات التي تقف حجر عثرة أمام النهوض بها والارتقاء بها نحو العالمية، "وقد قال غوستان لوبون (١٩٣١م) إذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها"(٢١)، ويتطلب هذا أن يعمل كل في مجاله على نشر اللسان العربي سواء أكان بالتعريب للعلوم ومستجدات العصر أم بتيسير تعليمها وتدريسها على مستوى الناطقين بها وغير الناطقين بها في آن.

المبحث الأول:

إسهامات المسلمين غير العرب في الحفاظ على اللغة العربية:

خصّ الله تعالى اللغة العربية دون غيرها من لغات العالم بنزول القرآن الكريم، قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢] وقال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، فرفع قدرها وكرم شأنها، وجعل منه لغة إنسانية لا تختص بجنس دون آخر أو بمكان دون غيره، "ومن استجمعها من الزنوج فهو عربي أصيل لا يعيبه لون ولا يؤخره جنس، وقد قامت الأمة الإسلامية منذ العصور الأولى على جعل الاستعراب موردًا لا يغيض في إمدادها بالحياة والنماء؛ لا في دينها فحسب، بل في أدبها من شعر ونثر، فنبغ في علوم الدين وفنون الأدب جم غفير من الأعاجم، وتولى مناصب الفتوى والقضاء والإدارة والحكم رجال منهم كثير"(٢٢).

وقد صرح بذلك ابن تيمية من قبل فقال: "ما ذكرناه من حكم اللسان العربي وأخلاق العرب يثبت لمن كان كذلك، وإن كان أصله فارسيًا، وينتفي عمن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشميًا"(٢٣)، كما روى ابن تيمية أثرًا عن النبي صلى الله عليه وسلم يعضد هذا الرأي، فروى أنه جاء قيس بن حطاطة إلى حلقة فيها صهيب الرومي وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي، فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل فما بال هؤلاء؟ فقام معاذ بن جبل فأخذ بتلابيبه، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بمقالته، فقام النبي صلى الله عليه وسلم مغضبًا يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نودي: أن الصلاة جامعة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد: أيها الناس، فإن الرب رب واحد، والأب أب واحد، والدين دين واحد، وإن العربية ليست لأحدكم بأب

ولا أم، إنما هي لسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي"، فقام معاذ بن جبل فقال: بم تأمرنا في هذا المنافق؟ فقال: " دعه إلى النار، فكان قيس ممن ارتد فقتل في الردة[٢٤].

وتجدر الإشارة إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر في أي من الكتب السماوية التي أنزلها اللسان الذي نزل به ما عدا القرآن الكريم، ولعل الحكمة في ذلك أن القرآن هو ذاته معجزة الإسلام التي تحدى الله بها العرب والعجم ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن الخصائص التي تفرد بها القرآن الكريم عن الكتب السماوية السابقة الجمع بين معجزة التحدي والمنهج التشريعي، "حيث نزل جامعًا بين أمرين: أنه منهج سماوي يُنظِّم حركة الحياة، وهو في الوقت نفسه معجزة مصاحبة للمنهج لا تنفكّ عنه إلى قيام الساعة، أما الكتب السابقة فكانت تأتي بمنهج فقط، أما المعجزة فشيء آخر منفصل عن الكتاب، فمعجزة موسى العصا واليد وكتابه التوراة، ومعجزة عيسى إبراء الأكمة والأبرص، وكتابه الإنجيل، أما محمد ﷺ فقد انفرد بأن تكون معجزته هي منهجه"[٢٥].

وهكذا أصبحت اللغة العربية لغة المنهج والمعجزة في آن، مما كفل لها البقاء والخلود، وضمن لها حصانة ربانية مستمدة من قداسة القرآن كتاب الله المعجز الخالد، والذي تكفل الله تعالى من فوق سبع سموات بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، "ومن هنا أصبح القرآن الكريم ولسانه حقيقة واحدة لا ينفك أحدهما عن الآخر، ويعتدى على أحدهما من حيث يطعن الآخر، ويستبين لنا ما في الكتاب من ذخائر العلم والمعرفة ما دامت صلتنا وثيقة بلسانه"[٢٦].

ولا يفوتني أن أذكر بأن هذا الارتباط المقدس لا يدعو إلى التقاعس والتواكل بزعم أن حفظ اللغة من حفظ القرآن، وأن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظهما، بل يدعو هذا الارتباط المقدس إلى النفير لزود عن حياض الدين والأمة، كما يتطلب مزيدًا من العمل الدءوب والجهد المتواصل؛ حتى لا نقع في المحظور ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٩] "ولا ريب أن المسلمين والعرب يعلمون جيدًا هدف الغزو، وغرض الحملة، ويثقون تمامًا بأن زوال اللغة العربية لا يبقي للعربي أو المسلم قوامًا يميزه عن سائر الأقوام ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان"[٢٧].

والحقيقة التي لا مراء فيها أن القرآن الكريم هو الذي مد اللغة العربية بتلك الطاقة الهائلة التي مكنتها من اجتياز هذه المسيرة الطويلة بدون توقف، على الرغم من العقبات التي واجهتها، والحروب التي خاضتها، "ولا ريب أن القرآن هو مصدر تلك الظاهرة الخطيرة الغريبة، وهي أننا نفهم الآن لغة امرئ القيس وقد مضى عليها خمسة عشر قرنًا، بينما لا تستطيع أية لغة أن تبقى على إهابها أكثر من ثلاثة أو أربعة قرون ثم تتقمص صورة جديدة، أما لغتنا في وحدها اللغة الخالدة"[٢٨].

وقد فطن العدو لهذه الحقيقة وأيقن بها، وعلم أنها السر في تماسك المسلمين وتمسكهم بعقيدتهم؛ فبروكلمان صاحب تاريخ الأدب العربي

ينسب الفضل للقرآن الكريم والإسلام، ويشير إلى أن المسلمين جميعًا مؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أُحل لهم أن يستعملوه في صلواتهم، وبهذا اكتسبت العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا الأخرى.

أما الدكتور ستنجاس فيجيب عن تساؤل: ماذا كان مصير هذه اللغة العربية لو لم يكن محمد ولو لم يكن القرآن؟ بأنه لولا القرآن لذهب العرب وذهب معهم لسانهم وشعرهم المليء بالغزل والحرب ولما جاء القرآن أبقى بطبيعته على هذا التراث وأوجد من مختلف اللهجات العربية لغة موحدة مكتوبة، هي لغة الأدب العربي إلى اليوم[٢٩]، "من أجل هذا كانت الصليبية أكثر دهاء حين عدلت عن حرب الإسلام مباشرة واستبدلت بها حرب اللسان؛ لتصيب الهدفين بسهم واحد"[٣٠]، وغرضهم في كل هذا هو عزل المسلمين عن دينهم وموروثهم الحضاري من خلال الاستلاب اللغوي والثقافي، ومن ثم ضياع هويتهم وشخصيتهم، مما يضمن تبعيتهم الاقتصادية والسياسية والفكرية، ويرسخ الهيمنة الغربية على مقدرات الأمة وثرواتها.

فإن الفضل كل الفضل يرجع إلى القرآن الكريم والإسلام في اتساع رقعة اللغة العربية وانتشارها في الأقطار الإسلامية؛ لما تمثله اللغة العربية من أهمية في الإسلام، حتى صارت جزءًا من عقيدة كل مسلم ودينه مهما تباين لسانه أو اختلف جنسه أو تنوع وطنه، يقول ابن تيمية مؤكدًا هذا المعنى: "إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[٣١].

استشهد ابن تيمية بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى موسى الأشعري الذي جاء فيه: "أما بعد: فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن، فإنه عربي".

وفي حديث آخر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم"، وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله"[٣٢].

لا نريد أن نستطرد في هذه النقطة، وهي مدى ارتباط اللغة العربية بالقرآن والإسلام، ولكن ما نبغي الإشارة إليه هو أن هذا الارتباط ضمن الحفاظ على اللغة واستمراريتها حتى اليوم، كما كفل لها الانتشار والاتساع بين العباد والبلاد على مر العصور وتباين الأجيال، "وأن ارتباط اللغة العربية بالقرآن وأثره فيها هو التحدي الخطير الذي واجه الاستشراق والتغريب و الغزو الثقافي والتبشير والاستعمار في العصر الحديث، فقد كانت الخطة - ولا تزال - موضوعة على أساس فصم هذه العلاقة وقطع هذه الصلة وعزل القرآن عن اللغة العربية ودفع اللغة العربية إلى الطريق الذي سارت فيه اللغات من قبل أن تتطور وتتغير ويجرفها تيار العصر ودعوات الهدم حتى ينتهي أمرها إلى مجموعة من اللهجات؛ فالخطر كله من لغة القرآن والهدف كله هو الفصل بين اللغة والقرآن حتى تفقد اللغة ذلك المستوى المرتبط بالقرآن وبيانه، فقد وضح من دراسة تاريخ اللغة كيف كان القرآن هو الحافظ لها من الضياع حتى في أشد عصور انحطاط اللغة التي بدأت باكتساح

المغول والتتار وامتدت إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري"[٢٣].

سنعرض في هذا المبحث لمحة عن بعض جهود العلماء المسلمين الذين أسهموا بشكل بارز في اللغة العربية وعلومها، وكانت لهم بصمة واضحة على الرغم من أنهم لم يكونوا من العرب نسبًا، بل كانوا منهم لسانًا، وهم جم غفير أكثر مما أن يحصوا، وقد صار بعضهم من أئمة العربية المبرزين، وهم في ذلك كله لا يحركهم إلا الواعز الديني ومظلة الإسلام الحنيف، وقد عبر الثعالبي في مقدمة كتابه فقه اللغة وسرُّ العربية عن هذا الواعز، وذلك الحافز فقال:

"إنّ مَن أحَبّ الله أحبّ رسولهُ، ومن أحبّ النّبي أحَبّ العَرب، ومَن أحبّ العربَ أحبّ اللُّغة العربيّةَ التي بها نـزلَ أفضلَ الكُتبِ على أفضلَ العجمِ والعربِ، ومَن أحبّ العربيّةَ عُنيَ بها وثابرَ عليها، وصرفَ هِمّتهُ إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدًا ﷺ خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة لبتي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلاً يَحْسُنُ فيهما أثره ويطيب في الدارين ثمره"[٢٤].

جهود سيبويه في اللغة العربية نموذجا:

من هؤلاء الذين تعلموا العربية وعلموها حتى صاروا من أئمتها المبرزين العالم النحوي سيبويه صاحب أشهر كتاب في النحو العربي: (الكتاب) أو (كتاب سيبويه) ويجدر بنا هنا أن نعرض ترجمة الزركلي لسيبويه في الأعـلام كاملة، فهي على إيجازها وافية:

سِيبَوَيْه: ١٨٠ - ١٤٨هـ = ٧٦٥ - ٧٩٦ م:

عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه، وصنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه – ط" في النحو؛ لم يصنع قبله ولا بعده مثله، ورحل إلى بغداد، فناظر الكسائي، وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم، وعاد إلى الأهواز فتوفي بها، وقيل: وفاته وقبره بشيراز، وكانت في لسانه حُبسة. و" سيبويه " بالفارسية رائحة التفاح، وكان أنيقًا جميلاً، توفي شابًا. وفي مكان وفاته والسنة التي مات بها خلاف، ولأحمد أحمد بدوي " سيبويه حياته وكتابه – ط " ولعلي النجدي ناصف "سيبويه إمام النحاة – ط"[٢٥].

تجلت ملامح الهوية الإسلامية في شخصية سيبويه على الرغم من أنه كان يعتز بأصله الفارسي[٢٦]، حتى إنه كان يختلف إلى مجالس العلم وله ذؤابتان، وهي سمة من سمات أبناء الفرس، فقد قال أبو زيد الأنصاري "كان سيبويه غلامًا يأتي مجلسي وله ذؤابتان"[٢٧]، كما أن لقب سيبويه هو لقب فارسي غلب على اسمه العربي عمرو، بيد أن رغبته الجامحة لفهم الإسلام والتفقه في شرائعه والاقتداء بسنة النبي ﷺ

دور تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ترسيخ الهوية العربية رؤية استشرافية

واتباع نهجه جعلته يتجه إلى الجلوس بين الفقهاء والمحدثين، فقد ذكر الفيروزآبادي عن محمد بن جعفر التميمي أن سيبويه كان أولاً يصطحب الفقهاء وأهل الحديث، وكان يستملي على حماد بن سلمة[38] "وسمع الحديث وكان شديد الأخذ، وكان يستملي على حماد بن سلمة"[39].

وتروي لنا المصادر التاريخية سبب تعريجه إلى أهل اللغة وانصرافه عن أهل الحديث أنه لما قدم البصرة ليكتب الحديث لزم حلقة حماد بن سلمة "فبينما هو يستملي على حماد قول النبي ﷺ: "ليس من أصحابي إلا من لو شئتُ لأخذتُ عليه ليس أبا الدرداء" فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء وظنه اسم ليس، فقال حماد: لحنت يا سيبويه؛ ليس هذا حيث ذهبت، وإنما (ليس) ها هنا استثناء، فقال: سأطلب علمًا لا تُلَحِّنُني فيه؛ فلزم الخليل فبرع"[40].

وفي رواية أخرى عن حماد نفسه قال: "جاء سيبويه مع قوم يكتبون شيئًا من الحديث، فكان فيما أمليت ذكر الصفا عن رسول الله ﷺ، فقلت: "صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا"، وهو الذي كان يستمل، فقال: "صعد النبي ﷺ الصفاء" فقلت: يا فارسي لا تقل الصفاء؛ لأن الصفا مقصور، فلما فرغ من مجلسه كسر القلم، قال: لا أكتب شيئًا حتى أُحكم العربية"[41].

ويُستدل من هاتين الروايتين حرص سيبويه ومعاصروه على تعلم اللغة العربية، وتقديمهم لها على سائر العلوم بما فيها العلوم الشرعية، بل إن شيخه حماد بن سلمه نفسه كان يفضل تعلُّم العربية عن الدروس الشرعية، فقد روى الفيروزبادي أنه "كان يمر بالحسن البصري في المسجد فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية ليتعلم منهم"[42].

وقد اقتفى سيبويه أثره شيخه، ووفى بعهده الذي قطعه على نفسه، وتعلم العربية حتى بلغ مرتبة مرموقة بين أئمة العربية على مر العصور، ولا يزال إلى وقتنا الحاضر علمًا من أعلام الدرس النحوي واللغوي الأفذاذ الذين شهد لهم القاصي والداني من علماء اللغة العربية في جميع الأمصار، "قال أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج: إذا تأملت الأمثلة في كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة"[43]، وبلغت منزلة سيبويه أن كان يُكتفى شيوخه بتزكيتهم، وعلو منزلتهم بأخذه منهم وروايته عنهم، يقول صاحب "مراتب النحويين" في ترجمة أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري: "وقد أخذ عن أبي زيد اللغة أكابر الناس، منهم سيبويه، وحسبك"[44].

احتل كتاب سيبويه الصدارة بين كتب النحو العربي، فهو الأول زمنًا ورُتبة؛ لم يسبقه إليه أحد في التصنيف المنهجي لقواعد اللغة وبسطها، فالنحو قبل سيبويه لم يكن علمًا مستقلاً بذاته؛ له أبواب وفصول ومباحث، وإنما كان مجرد مسائل متناثرة ومتفرقة بين كتب الأدب واللغة فضلاً عن كتب الفقه والسنة "فاستطاع سيبويه أن يجمع فيها كل مسألة إلى نظائرها فأعدَّ بذلك كتابه أول كتاب في تاريخ النحو العربي، وهو ما جعلهم يطلقون عليه معجزة النحو؛ لكونه لم يستطع أحد أن يأتي بمثله"[45]. وبذلك أمسى كل كتاب في النحو من بعده عالة عليه، "وكان المديني يقول: من أراد أن يعمل كتابًا كبيرًا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"[46].

وأنشد في ذات المعني الزمخشري أبيات:

ألا صلّى الإله صلاة صدقٍ

على عمرو بن عثمان بن قنبرْ

فإن كتابه لم يُغنِ عنه

بنو قَلَمٍ ولا أبناء مِنبرْ[٤٧].

ولم يجد الجاحظ شيئًا أشرف من كتاب سيبويه يهديه إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فقد روى المروزي عن الجاحظ أنه قال: "أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات ففكرت في شيء أهديه إليه فلم أجد شيئًا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهدي إليك شيئًا ففكرت فإذا كل شيء عندك دونه، فلم أر أشرف من كتاب سيبويه، وهذا كتاب سيبويه اشتريته من ميراث الفراء، فقال: والله ما أهديت إلي شيئًا أحب إلي منه"[٤٨].

وكان محمد بن يزيد المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر؛ تعظيمًا له واستصعابًا لما فيه شيئًا[٤٩]، وقد طفقت شهرة كتاب سيبويه في النحو الآفاق، حتى لقبه بقرآن النحو[٥٠]، فكان يقال بالبصرة قرأ فلان الكتاب فيُعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب فلا يشك أن كتاب سيبويه، "كأن كتاب سيبويه في النحو كان هو وحده الحقيق في رأيهم أن يسمى بالكتاب، أما غيره فلا ينبغي أن يسمى به، إلا على ضرب من التجوز أو المجاملة"[٥١].

ويستحق كتاب سيبويه هذه المكانة عن جدارة فهو عمدة في بابه، وهو أقدم المراجع في النحو العربي التي وصلت إلينا، وهو بمثابة "موسوعة نحوية فريدة جمعت حصيلة جهود النحاة خلال قرن من الزمن من أبي الأسود الدؤلي إلى الخليل"[٥٢]، مما أهله إلى أن يبلغ شأنًا بعيدًا وشأنًا عظيمًا، فلم يحظ كتابًا باهتمام العلماء والدارسين قديمًا وحديثًا كما حظي كتاب سيبويه، وقد تبارى العلماء في شرحه وبسطه أو اختصاره واستخراج شواهده أو كتاب الحواشي والتعليقات له.

اتخذ سيبويه من قنطرة اللغة العربية معبرًا للهوية العربية الإسلامية، فعاش بها ولها حتى استولت على كيانه ووجدانه، وخير شاهد ما ترويه المصادر بأنه وافاته المنية كمدًا جراء مسألة من مسائل اللغة التي ناظر فيها، فعزّ عليه أن تُبخس حقها أو يُبخس هو حقه، وهي المعروفة بالمسألة الزنبورية، وهي أي التركيبين أصح وأفصح:

كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي أو فإذا هو إياها؟

وقد انتهت المسألة بإخفاق سيبويه أمام الكسائي كما يذكر الرواة، "ومبلغ الظن أن الكوفيين افتعلوه؛ إذ لم يكن إخفاقًا علميًا، وإنما هو إخفاق مظاهرة علمية ليس لها وجه من الحق أو لها وجه من الحق كوفي يخالف وجه الحق البصري"[٥٣]، ومما يعزز هذا الرأي أن الوزير خالد البرمكي أجاز سيبويه بعشرة آلاف درهم، سواء أكان من تلقاء نفسه أم بإيعاز من الكسائي.

كما يذكر الرواة أن سيبويه مات غمًا وهمًا بعد هذه المناظرة العلمية والمنافسة اللغوية، "وربما كان الذي طوع ذلك لهم أنه في المشهور من أخباره لم يعمر بعد المناظرة طويلاً، على أنه لا يبعد أن يكون الهم علة وفاته، فالهم - لا شك - داء خطير، وفتكه بالأصحاء معلوم، وقد أصاب سيبويه منه كثير"[٥٤].

هكذا قضى سيبويه الفارسي نحبه بعد أن

قدم أجل الخدمات للسان العربي وأهله، وكان من أبنائها المخلصين الذين تشربوا بها حبًا وإجلالاً لدين الله، وهكذا قيض الله تعالى - بفضل الإسلام - فرسان للعربية لم يكونوا من جنس العرب نسبًا ودمًا، وإن كانوا من جنس العربية لسانًا وعملاً، حتى صار منهم علماء رواد وأعلام أفذاذ، أمثال: سيبويه الفارسي الأصل، وعثمان بن جني الرومي الأصل صاحب الخصائص من أعظم كتب فقه اللغة، الفيروزآبادي هندي الأصل صاحب القاموس المحيط من أفضل المعاجم اللغوية في العربية، وغيرهم كُثر لا يحصَون عددًا.

فقد انصهر الجميع في الهوية العربية الإسلامية يشمرون السواعد لخدمة دين الله تعالى، ولغة قرآنه الكريم، هجروا العصبية القبلية وتقنعوا الحمية الدينية، وجمعتهم عقيدة واحدة ولسانًا واحدًا، فكان رباطًا وثيقًا، وهوية قوية، وفكر واع، ما أحوجنا إليه اليوم؛ لجمع الشمل وتوحيد الصف ورأب الصدع تحت راية اللغة والعقيدة.

إسهامات المنصفين من المستشرقين في خدمة اللغة العربية:

منذ نشأ الاستشراق وهو يلعب دورًا خطيرًا في الثقافة العربية والإسلامية؛ نظرًا لما قدمه - ويقدمه - من جهود بحثية ودراسات علمية، وسواء أتفقنا أم اختلفنا مع الاستشراق وأغراضه الذي إلا إنه لا يمكن إنكار هذا الدور خطير الشأن الذي يمارسه الاستشراق في توجيه الدراسات العربية والإسلامية على مختلف الأصعدة وشتى المجالات، سواء أكان هذا التوجيه إيجابيًا أم سلبيًا، فالاستشراق في مفهومه الاصطلاحي "يعني الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام"(٥٥) أو هو "اهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم"(٥٦).

وقبل الحديث عن الجانب المشرق من الاستشراق، والإشارة إلى إسهامات بعض المنصفين منهم، والذي جاء حتمًا بعد إتقانهم اللغة العربية وتعلمها، يجدر بنا أن نؤكد على أمرين في غاية الأهمية:

أولهما: أن أهداف الاستشراق وأغراضه في الأصل تخدم الحضارة الغربية والمنتسبين إليها، فاهتمام الغرب باستكشاف الشرق والعالم العربي ودراسة علومهما لم يكن إلا لتحقيق مصالحه الشخصية، والتي تنوعت أشكالها وصورها بين مطامع استعمارية، وحملات تبشيرية، ومصالح اقتصادية، وقلما كانت الأغراض العلمية البحتة دافعًا للدراسات الاستشراقية، "وإن مواقف الاعتدال والإنصاف التي التزم بها بعض المستشرقين؛ لا تنفي عن الاستشراق مهمته الكبرى في طمس الهوية الإسلامية، وفي التقليل من أهمية تراثنا وحضارتنا"(٥٧).

ثانيهما: أن من باب الإنصاف الذي أمرنا به الله تعالى أن نعطي كل ذي حق حقه، ونقول لمن أحسن أحسنت، وإن اختلفنا معه فكرًا ومنهجًا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

فليس من الإنصاف أن نجحف ما قدمه الاستشراق من خدمات جليلة للغة العربية وأبنائها

لما يحمله في صدره من أغراض غير شريفة أو أهداف غير نبيلة للعالم العربي والشعوب الإسلامية.

كما أنه - من باب أولى - أن نشجع المنصفين منهم وأصحاب التوجيهات العلمية الموضوعية الذين أسهموا في تفنيد آراء المتعصبين من المستشرقين من أبناء جلدتهم، "فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة إلى المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته"(٥٨).

وهذه أسمى ثمرة وأجل غاية يمكن أن يحققها تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من غير المسلمين، وهي الهداية إلى الإسلام، وصراط الله المستقيم، فقد اعتنق كثير من المستشرقين المنصفين الإسلام بعدما اطلعوا على مصادره الأصيلة، دون تحريف أو تصحيف.

ومن هؤلاء الذين حذقوا اللغة العربية وآدابها واطلعوا على العلوم الإسلامية وأسلموا المستشرق الفرنسي إتين دينيه Étienne Dinet (٥٩)، وهو من كبار الرسامين والفنانين؛ له لوحات فنية محفوظة في المتاحف الفرنسية وغيرها، كان يمضي نصف العام سنويًا في بلدة بوسعادة بالجزائر، أعلن سنة ١٩٢٧م اعتناقه الإسلام، وأشهد جمهورًا من علماء الجزائر بحضور مفتيها ووزير العدل في المملكة التونسية أنه اختار الإسلام دينًا قبل عشرات السنين، ولم يجهر به إلا في ذلك اليوم، وسمى نفسه ناصر الدين، وقام بتجهز قبرًا لنفسه في بوسعاد وأوصى أن يدفن فيه.

وقد أحدث إسلامه ضجة في الأوساط الفنية في فرنسا واتهم بالخيانة، إلا أنه صمد أمام هذه الاتهامات بقوة وجلد، وألف عدة كتب بالفرنسية، منها: كتاب محمد Mohamet ساعده في تأليفه الفاضل الجزائري سليمان بن إبراهيم، وطبع بالفرنسية والإنجليزية، محلى بصورة ملونة بديعة من ريشة ناصر الدين، ومن كتبه بالفرنسية حياة العرب، وحياة الصحراء، وأشعة من نور الإسلام، والشرق في نظر الغرب، توفي في باريس في ١٩٢٩م، ونقل جثمانه إلى بوسعادة بالجزائر بناء على وصيته.

هذا مجرد مثال من أمثلة لا تعد ولا تحصى ممن اهتدوا إلى الإسلام بعدما اطلعوا على تعاليمه السامية ورسالته العالمية، والذين ترسخت عندهم الهوية العربية الإسلامية بعدما ذاقوا حلاوة الإيمان، ويستلزم هذا منا بذل مزيدًا من الجهود لتعليم اللغة العربية لغير المسلمين لأداء الرسالة إليهم، وإقامة الحجة عليهم، ولإعذار أنفسنا.

كما أن إهمال تعليم غير المسلمين اللغة العربية يجعلهم يتعاملون مع المصادر التي وضعها المستشرقون وما فيه من تحريفات مغرضة على أنها أصول علمية موثوق فيها، "فلا يجد طلاب الدراسات الإسلامية أمامهم مراجع لدراستهم التي يتناولون بها الدكتوراه غير تلك المراجع المسمومة، وهم لا يعرفون اللغة العربية، فتتقرر عندهم أن تلك الدسائس حقائق مأخوذة من كتب الفقهاء والعلماء المسلمين أنفسهم"(٦٠).

وهناك نماذج طيبة لهؤلاء المستشرقين المنصفين الذين تعلموا اللغة العربية ودرسوا الحضارة الإسلامية فأنصفوا العربية وحضارتها، وإن لم يعتنقوا الإسلام، إلا اتصافهم بالأمانة والنزاهة العلمية وتجردهم من الأهواء الشخصية،

والعصبية الدينية جعلهم يقرون بما انتهوا إليه بأنفسهم في دراساتهم وأبحاثهم من خلال البحث العلمي الموضوعي من نتائج وحقائق علمية تشيد بفضل الإسلام وحضارة العرب في التاريخ الإنساني، من هؤلاء السير توماس آرنولد Thomas Walker Arnold الذي "كان معجبًا بالإسلام متضلعًا من علومه، منصفًا له في أبحاثه عنه، فلم تعد عليه هفوة واحدة على ما كتبه عنه في دائرة المعارف الإسلامية، وحقق من المصنفات فيه، وهو مقترح وضع مصنفٍ في تراثه ومرس أسسه، فعد مرجعًا في الدراسات الإسلامية"(٦١).

وتوماس أرنولد مستشرق بريطاني شهير، ولد في إنجلترا عام ١٨٦٤م وتوفي في ١٩٣٠م، التحق بكلية المجدلية في جامعة كمبردج عام ١٨٨٢م، وحاز اهتمامه الدراسات الشرقية، كما كرس السنة الرابعة في كمبردج لدراسة تاريخ الإسلام؛ "ونظرًا لاهتمامه بالدراسات الإسلامية فقد اختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية في المقاطعات المتحدة بشمالي الهند، وأمضى في كلية عليكرة عشر سنوات (١٨٨٨ - ١٨٩٨م)، وهي فترة كانت ذات تأثير بالغ في تشكيل نظرات توماس آرنولد للإسلام"(٦٢).

فقد كانت كلية عليكرة تهدف إلى الإصلاح والتجديد، فقد أسسها سيد أحمد خان بهدف إصلاح مناهج التعليم الإسلامية عن طريق الجمع بين الثقافة الإسلامية والفكر العلمي المنهجي في أوروبا، والتوفيق من الأصالة والحداثة، وقد شارك آرنولد بحماسة شديدة في هذه التجربة الإصلاحية، والتجديد المنهجي للتوفيق بين الإسلام والعلوم الحديثة، وأسس لهذا الغرض جمعية الواجب داخل الحرم الجامعي لعليكرة، وراح يكون تلاميذ من الإنجليز والهنود مشبعين بهذا الاتجاه، وعين في سنة ١٨٩٨م عين أستاذًا للفلسفة في الكلية الحكومية في مدينة لاهور، "وكان من أبرز من تتلمذوا عليه في هذه الكلية الشاعر العظيم محمد إقبال اللاهور صاحب فكرة إنشاء دولة مستقلة للمسلمين الهنود باسم باكستان"(٦٣).

ولما تأسست مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن في ١٩١٧م دعي للتدريس فيها، وكان أول من شغل كرسي الأستاذية في قسم الدراسات العربية، وما لبث أن اختير عميدًا لمدرسة اللغات الشرقية، وفي أواخر حياته دعي لتدريس التاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية.

ومن أشهر أعماله كتاب الدعوة إلى الإسلام الذي لقي إقبالاً ورواجًا عظيمًا فترجم إلى عدة لغات، ومن كتبه أيضًا الإنجليزية: "تعاليم الإسلام، والمعتزلة، والخلافة، وقد تُرجم الأخير إلى العربية وطبع، وله كتب بالإنجليزية أيضًا في الفن والرسم الإسلاميين، ساعده فيها لوي بنيون من رسامي الفنون الشرقية. قال آربري: كان آرنولد مرجعًا في الشؤون الإسلامية"(٦٤).

هذا واحد من عدد - غير قليل - من المستشرقين المنصفين الذين تناولوا الحضارة العربية الإسلامية بوصفها حلقة من حلقات الحضارة الإنسانية، وتستحق كتاباتهم الموضوعية الإشادة والثناء؛ لأنهم لم ينجرفوا وراء غواية التعصب الديني الذميم، التي تدفع معظم المستشرقين للنيل من الحضارة العربية ومكوناتها، التي تجعلهم يعملون على لي الحقائق وتحريف المصادر والرويات للنيل من الإسلام؛ لذا "أكثر ما نجد إنصاف الإسلام ورسوله عند العلماء

والأدباء الغربيين الذين تحللوا من سلطة دياناتهم، ونضرب لذلك مثلاً بكتاب حضارة العرب لمؤلفه جوستاف لوبون فإنه أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الإسلام وحضارته"[٦٥].

لهذ فإن الدور المنوط بنا أن نعمل على استثمار الجانب الإيجابي من الاستشراق وتنميته، وفي ذات الوقت نعمل على محاصرة الجانب السلبي وفضحه بكل السبل، فيتم مد جسور التعاون مع المنصفين من المستشرقين للرد على غلاتهم بنفس منهجهم وبذات أدواتهم، وقد كان هناك دور عظيم للمخلصين من الباحثين العرب والمسلمين الذين درسوا في الغرب، وعلى أيدي المستشرقين أنفسهم في الرد عليهم، وتصدى لهم بنفس منهجهم العلمي وأسلوبهم الفكري، كاشفًا النقاب عما أخفوه من أغراض مشبوهة، وما أثاروه من شبهات، مما دفع عدد من المستشرقين المعاصرين إلى الاعتراف" بخطأ المنهج الاستشراقي الأول في عرض آراءه ووضوح تعصبه، وأدان ذلك المنهج وأوضح أخطاءه"[٦٦].

ويمكنا أن نبرز أهم الآثار الإيجابية التي قام بها المستشرقون تجاه اللغة العربية والهوية الإسلامية حتى نتمكن من العمل على الاستفادة منها وتوظيفها على الوجه الأمثل، مع تحفظنا الكامل عن دوافعهم وأغراضهم المشبوهة، وأهم هذه الآثار الإيجابية هي:

١. الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي وتحقيق المخطوطات وأمهات الكتب.

٢. إصدار المعاجم والموسوعات المتخصصة في العلوم الإسلامية والعربية.

٣. تشجيع حركة البحث العلمي والنقد الموضوعي، وتطوير المناهج في الدرسات العربية والإسلامية.

٤. تعريف العالم الغربي بالحضارة العربية والثقافة الإسلامية، وترجمة الكثير من الأعمال الأدبية والفكرية والعلمية، التي كان لها أثر بارز في الحضارة الغربية المعاصرة، والثقافة العالمية.

مقترح برنامج لتوظيف تعليم اللغة العربية في ترسيخ الهوية :

بعدما استعرضنا دور المسلمين من غير أبناء الجنس العربي، وكذلك دور المنصفين من المستشرقين، فإنه من باب الواجب على كل غيور على هوية الأمة وما تواجهه من تحديات، ومخاطر تحدق بها أن يستنفر كل طاقته، وأن يبذل ما في وسعه من جهد لنشر هذه اللغة القرآنية تعليمًا وتعلمًا، ونقترح لهذا برنامجًا عمليًا يكون من المحاور الآتية:

المحور الأول: المناهج التعليمية :

وهو ضرورة الاهتمام بوضع مناهج علمية وتربوية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، فإن كانت هناك جهود طيبة ومناهج متميزة قد صدرت مثل: منهج العربية بين يديك، والكتاب الأساسي الصادر عن المنظمة العربية للعلوم والتربية والثقافة، إلا إنها تظل جهودًا محدودة مقابل المساحة الشاسعة لغير الناطقين والإقبال المنقطع النظير من الجنسيات المختلفة والشرائح المتنوعة، مما يحتم وضع مناهج تتسق مع خصوصية كل جنسية وكل شريحة عمرية.

وحبذا لو قامت كل جامعة في العالم بوضع منهج علمي وتربوي خاص بها، حتى يتحقق التنوع

المرجو، ويضمن توفر كمًا من المناهج العلمية، ويكفل – أيضًا – التميز كيفًا.

كما أن في هذا المحور لا بد من مواكبة تكنولوجيا العصر، وإعداد وسائل تعليمية حديثة، مثل برامج الحاسوب، ومواقع الإنترنت، فهذه الوسائل فاعلة في الإقبال على تعلم اللغة العربية، ومجدية في تعليمها.

ومن المؤسف حقًا أن نجد كمًا لا يعد ولا يحصى من مواقع تعليم اللغات الأجنبية المجانية وغير المجانية على الشبكة العنكبوتية، ولا نجد إلا بعض المواقع التي تعلم اللغة العربية على استحياء، كما لا نجد – أيضًا – الإسطوانات التعليمية للغة العربية لغير الناطقين إلا فيما قل أو ندر، وهذا ما يدعونا إلى الاهتمام بهذه الجانب وتدشين مواقع بلغات عالمية لتعليم اللغة العربية، وإصدار مواد تعليمية حديثة بهذه اللغات.

المحور الثاني: إعداد المعلمين الأكفاء:

في ظل الإقبال المتزايد على اللغة العربية لا بد من سد فجوة المعلمين المؤهلين لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين؛ لذا نقترح إنشاء أقسام وتخصصات في كليات التربية والآداب لإعداد معلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها وتأهيلهم باستخدم طرق التدريس المناسبة التي تساعد في إكساب مهارات اللغة العربية لدارسيها من الأجانب.

كما لابد من التوسع في الدراسات العليا وإنشاء دبلوم لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لتأهيل الحاصلين بالفعل على مؤهلات دراسية في تخصص اللغة العربية العربية من الكليات والأقسام المختلفة، بذلك نضمن توفير الكادر العلمي المؤهل الذي يقوم بأداء رسالته على الوجه الأكمل.

المحور الثالث: الدارسين:

وهو الجانب المستهدف من هذه العملية كلها؛ لذا لابد من استقطاب النوابغ منهم، وتقديم منح دراسية لهم في الجامعات العربية والإسلامية، وتشجيعهم على دراسة اللغة العربية لكي يتشبعوا من ثقافتنا الإسلامية، ويتعرفوا على الحضارة العربية وشعوبها عن كسب.

وفي ذات السياق لابد من إنشاء المراكز التي تهتم بتدريس اللغة العربية وعلومها في بلادهم الأصلية لمن لا يستطيع السفر والاغتراب، وإفاد المؤهلين من المعلمين والمتخصصين.

هذه أهم المحاور التي يجب أن نسعى إلى استهدافها وتحقيقها حتى نستطيع أن نرسخ الهوية العربية من خلال تعليمها، فإن الإنسان بطبعه ينتمي إلى ما يتقن ويحسن وقد قال الإمام علي قيمة المرء ما يحسن، وهو ما وجدناه من دفاع المنصفين من المستشرقين عن العربية، مع أنهم غير مسلمين إلا إنهم ينتمون فكرًا للثقافة العربية والحضارة الإسلامية.

الخاتمة:

من أهم ما توصلنا إليه من نتائج هو العلاقة الوثيقة بين اللغة والهوية، فهما بمثابة الوجهين للعملة الواحدة، وإن للغة دورًا محوريًا في توجيه بوصلة التفكير وتكوين الشخصية عند الإنسان، ومن ثم نجد كثيرًا من أصحاب الفطرة السليمة، والذين تحلوا بالنزاهة العلمية وتخلوا عن العصبية والأهواء الشخصية إما اعتنقوا الإسلام، وإما دافعوا عنه وأنصفوه حقه.

وإن دل فيدل على ضرورة الاهتمام بتعليم اللغة العربية؛ لذا جاء المقترح السالف الذكر، والذي نوصي بالآتي حتى يتم إنجازه وما كان على شاكلته في أسرع وقت وعلى أكمل وجه:

1. تشجيع الاستثمار في تعليم اللغة العربية ودعوة المهتمين بالتعليم الخاص بإنشاء معاهد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ودعوة دور النشر الالكتروني والورقي إلى إصدار المطبوعات ووسائل التعليم الحديثة، وتسويقها في دول العالم المختلفة.
2. إنشاء جمعيات ومؤسسات غير ربحية تتخصص في إعداد المناهج العلمية والوسائل التعليمية وإنشاء المواقع الالكترونية، وتقديم المنح الدراسية والجوائز العلمية للدارسين والباحثين ودعم المعاهد التعليمية المتخصصة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
3. تدشين هيئة عالمية لاعتماد المناهج العلمية والمعاهد التعليمية لضبط مسار تعليم اللغة العربية، ووضع معايير دولية لمستويات تعليم وتعلم اللغة العربية، ومتابعة المراكز والمعاهد الخاصة واعتمادها، مما يكفل تحقيق الجودة.

ولقد اكتفيت بهذه التوصيات التي لم تتناول الدور المنوط بالحكومات أو المؤسسات الرسمية غير الأكاديمية والتعليمية؛ لإمكانية إنجازها وتحقيقها على أرض الواقع بعيدًا عن التعنت في القرار السياسي، والتجاهل غير المبرر من المؤسسات الرسمية، فلو توحدت جهود المخلصين من الغيورين على اللغة العربية لسدوا ثغرة من ثغور الأمة، ولأدوا فريضة واجبة على كل مسلم، ولكانوا حائط سد لكل عمليات طمس الهوية العربية ومسخ الشخصية الإسلامية.

الحواشي

(١) اللغة الهوية: إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقة: د. فيصل الحفيان، مقال بمجلة التسامح العمانية، شتاء ٢٠٠٤، ع ٥، ص ٥٢.

(٢) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مادة لغة، الموقع الالكتروني للموسوعة:

http://elazhar.com/mafaheemux/24/4.asp

(٣) وحي القلم: مقال: اللغة والدين والعادات باعتبارها من مقومات الاستقلال، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية، بيروت، ج٣ص ٢٨.

(٤) اللغة الهوية: إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقة: مرجع سابق، ص ٥٢.

(٥) إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية تطوير اللغة العربية: د. أحمد درويش، نهضة مصر ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، ص ١٤.

(٦) الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م، ١ / ٤٥.

(٧) البيان والتبين: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م، ١ / ٧٦ .

(٨) التفكير واللغة : جوديث جرين، ترجمة د. عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ١١٣.

(٩) انظر: واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في الهوية، د. مها حسن يوسف القصراوي، بحث مقدم لكلية التربية والتعليم العام، جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، الإمارات العربية، ص٥.

(١٠) انظر: الثقافة العربية وعصر المعلومات، د. نبيل علي، عالم المعرفة، ع ٢٦٥ يناير ٢٠٠١م، الكويت، ص٢٢١.

(١١) التفكير واللغة: مرجع سابق، ص ١١٦.

(١٢) انظر: الثقافة العربية وعصر المعلومات، مرجع سابق ص٢٢٢.

(١٣) انظر: واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في

دور تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ترسيخ الهوية العربية رؤية استشرافية

الهوية، مرجع سابق، ص٥.

(١٤) انظر: د. عباس الخفاجي، بحث الأبعاد الاقتصادية للعولمة – الإسلام في عصر العولمة – المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم بالقاهرة، مايو ١٩٩٩ م، ص ٢.

(١٥) انظر: واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في الهوية: مرجع سابق، ص ١٤.

(١٦) السابق: ص ١.

(١٧) الثقافة العربية وعصر المعلومات: ص٢٣٢.

(١٨) اللغة حياة أمة: د. هاني إسماعيل، مقال بجريدة الحرية والعدالة، ع ٥٥٠ بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠١٢م.

(١٩) وحي القلم: ٢ / ٢٩.

(٢٠) الصفحة نفسها.

(٢١) الفصحى لغة القرآن : أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص ٢٥٥.

(٢٢) ظلام الغرب: محمد الغزالي، نهضة مصر، الطبعة الأولى، ص٥٦ .

(٢٣) اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم: تقي الدين ابن تيمية، تحقيق ناصر عبد الكريم عقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص٤٥٦ .

(٢٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ص٤٦٠.

(٢٥) تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي، مطابع دار الأخبار، ج ١٤ ص ٨٧٢٨.

(٢٦) اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة: د. السيد رزق الطويل، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد ٦٠، ربيع الأول ١٤٠٧هـ، نوفمبر ١٩٨٦ م ص١٦.

(٢٧) الفصحى لغة القرآن : مرجع سابق، ص٤١

(٢٨) السابق: ص ٢٤.

(٢٩) السابق: ص٢٩ وما بعدها .

(٣٠) اللسان العربي والإسلام: مرجع سابق، ص ١٦.

(٣١) اقتضاء الصراط المستقيم: مرجع سابق، ص ٥٢٧.

(٣٢) نفس الصفحة .

(٣٣) الفصحى لغة القرآن: مرجع سابق، ص٤١.

(٣٤) فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، ص ١٥.

(٣٥) الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م، ٥/ ٨١، والمقصود بـ (ط) أنه مطبوع.

(٣٦) انظر : سيبويه إمام النحاة على النجدي ناصف، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ص ٧٠.

(٣٧) مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ، ص٤٢.

(٣٨) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: الفيروزآبادي، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ص٢٢٢.

(٣٩) إنباه الرواة بأنباء النحاة: جمال الدين القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٦ م، ٢/ ٣٤٩.

(٤٠) طبقات النحويين واللغويين: أبو بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص ٦٦.

(٤١) مجالس العلماء: أبو القاسم الزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ص١١٨.

(٤٢) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: الفيروزبادي، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ص١٢٦.

(٤٣) إنباه الرواة بأنباء النحاة: مرجع سابق، ٢/ ٣٥٨.

(٤٤) مراتب النحويين: أبو الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ، ص٤٢.

(٤٥) مقال سيبويه والكتاب: د. الشريف ولد أحمد محمود، مجلة منار الإسلام الإماراتية، ع٤٦٢، يونيو٢٠١٢، ص٧٢.

(٤٦) إنباه الرواة بأنباء النحاة: مرجع سابق، ٢/ ٣٥٠.

(٤٧) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، ٢/ ٢٣٠.

(٤٨) إنباه الرواة: مرجع سابق، ٢/ ٣٥١.

(٤٩) أخبار النحويين البصريين: السيرافي، تحقيق: محمد طه، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الحلبي، ط ١٣٧٣هـ – ١٩٦٦م، ص ٤٠.

(٥٠) طبقات النحويين: مرجع سابق، ص٦٥.

(٥١) سيبويه إمام النحاة: مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٥٢) مقال سيبويه والكتاب: د. الشريف ولد أحمد محمود، مجلة منار الإسلام الإماراتية، ع٤٦٢، يونيو٢٠١٢م، ص٧٣.

(٥٣) مقدمة كتاب سيبويه: مرجع سابق، ص١٨.

(٥٤) سيبويه إمام النحاة: مرجع سابق، ص ١١٨.

(٥٥) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف بمصر، ص ١٨.

(٥٦) الاستشراق : تعريفه، مدارسه، آثاره: محمد فاروق النبهان، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ص١٢.

(٥٧) الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره: مرجع سابق، ص٦٨.

(٥٨) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: د. مصطفى السباعي، دار الوراق للنشر، الرياض، ص٢٥.

(٥٩) الأعلام للزركلي: مرجع سابق ١ / ٧٧.

(٦٠) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: مرجع سابق، ص٢٥.

(٦١) المستشرقون: نجيب العقيقي، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، ٢ / ٨٤.

(٦٢) موسوعة المستشرقين: د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م، ص ٩.

(٦٣) المرجع نفسه و الصفحة.

(٦٤) الأعلام للزركلي: مرجع سابق، ٢ / ٩٤.

(٦٥) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم: مرجع سابق، ص٧٩.

(٦٦) الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، مرجع سابق، ص٦٧.

المصادر والمراجع

١. أبو الطيب اللغوي (عبد الواحد بن علي): مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، (بدون ط، ت).

٢. أبو القاسم الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق): مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

٣. أبو بكر الزبيدي (محمد بن الحسن): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.

٤. أبو منصور الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل): فقه اللغة وسر العربية: تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٥. أحمد درويش: إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية تطوير اللغة العربية، نهضة مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ م.

٦. أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م.

٧. تقي الدين ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق ناصر عبد الكريم عقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٨. الجاحظ (عمرو بن بحر): البيان والتبين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٩٨م.

٩. –: الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٥ م.

١٠. جلال الدين السيوطي (عبد الرحمن بن الكمال): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.

١١. جمال الدين القفطي (علي بن يوسف): إنباه الرواة بأنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٦م.

١٢. جوديث جرين: التفكير واللغة، ترجمة د. عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢ م.

١٣. خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

١٤. السيد رزق الطويل: اللسان العربي والإسلام معا في معركة المواجهة: سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد ٦٠، ربيع الأول ١٤٠٧ هـ، نوفمبر ١٩٨٦ م.

١٥. السيرافي (الحسن بن عبد الله): أخبار النحويين البصريين، تحقيق: محمد طه، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مطبعة الحلبي، ١٣٧٣هـ – ١٩٦٦م.

١٦. الشريف ولد أحمد محمود: مجلة منار الإسلام الإماراتية، ع٤٦٢، يونيو٢٠١٢ م، مقال سيبويه والكتاب.

١٧. عباس الخفاجي: بحث الأبعاد الاقتصادية للعولمة – الإسلام في عصر العولمة – المؤتمر الدولي الرابع للفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، القاهرة، مايو ١٩٩٩ م.

١٨. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣ م.

١٩. على النجدي ناصف: سيبويه إمام النحاة، عالم الكتب، الطبعة الثانية.

٢٠. الفيروزبادي (محمد بن يعقوب): البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.

٢١. فيصل الحفيان: مجلة التسامح العمانية، شتاء ٢٠٠٤، ع ٥، اللغة الهوية: إشكاليات المفاهيم وجدلية العلاقة.

٢٢. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مادة لغة، الموقع الالكتروني للموسوعة:

http://elazhar.com/mafaheemux/24/4.asp

٢٣. محمد الغزالي: ظلام الغرب، نهضة مصر، الطبعة الأولى، ص٥٦ .

٢٤. محمد فاروق النبهان: الاستشراق: تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسسكو ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م.

٢٥. محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، مطابع دار الأخبار، عشرون جزء، (بدون ط، ت)

٢٦. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف بمصر، (بدون ط، ت).

٢٧. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع – المكتب الإسلامي، الرياض، (بدون ط، ت)

٢٨. مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة ٢٠٠٢م.

٢٩. مها حسن يوسف القصراوي: واقع اللغة العربية بين التفكير والتعبير وأثره في الهوية، بحث مقدم لكلية التربية والتعليم العام، جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، الإمارات العربية، ٢٠١٢ م.

٣٠. نبيل علي: الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع ٢٦٥ يناير ٢٠٠١ م.

٣١. نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.

٣٢. هاني إسماعيل: مقال اللغة حياة أمة، جريدة الحرية والعدالة، ع ٥٥٠ بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠١٣ م.



شاعرية المدينة المنورة

أ.د. عبد الرزاق حسين
جامعة البحرين - البحرين

هذا البحث يجيب عن سؤال وهو: هل المدينة من المدن الشاعرة ؟ أم أنَّ حظَّها كان مُقِلًّا ؟.

المتتبع للمدينة المنورة في عصورها المختلفة يجد بيئة شعرية خصبة، ودواعي وبواعث الشعر في هذه البيئة عديدة، وأستطيع ذكر أهمها، وهي: كونها بيئة زراعية مستقرة، وتنوعها السكاني، وكثرة الحروب، والحرب باعثة الكلام، والشعر من أدواتها وأسلحتها، ثم المكانة الدينية.

وهذا السبب يعدُّ السبب الرئيس، وكون شاعرية المدينة قد ظهرت قبل الإسلام، فكانت أمًّا ولودًا للشعراء، وإذا اقتصرت على أبنائها قبل الإسلام، فقد غدت بعد الإسلام أمًّا لكل شاعرٍ مسلم.

ومع هذه الأسباب فقد خرج من المدينة المنورة شعراءُ كبار من أمثال حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وقيس بن الخطيم، وقد شهد لها كبار العلماء بذلك كابن سلام والجاحظ وغيرهما وقد كان كبار الشعراء يقدمون إليها فتصحح أشعارهم، كما حصل للنابغة الذبياني، والفرزدق، وجرير، وفي كل عصور الشعر تألقت المدينة المنورة بشعرائها الكبار، وحصلت على أوسمة وألقاب من كبار النقاد، ففي العصر الجاهلي استأثرت بلقب صاحبة المذهبات، وفي العصر الإسلامي يقف شعراؤها مدافعين عن الدين، كما يزدهر الشعر فيها على مر العصور وتبقى المدينة المنورة على الزمان نبع الشعر الفياض، وملهمة الشعراء، والأترجة التي تنضح بعبير الشعر.

شاعرية المدينة المنورة:

هل المدينة من المدن الشاعرة ؟ أم أنَّ حظَّها كان مُقِلًّا كمكة التي لم تظفر بشعراء مفلقين في العصر الجاهلي؟ حيث لم نجد منهم أصحاب معلقات أو مذهبات أو مسمطات أو غير ذلك من الألقاب التي أُطلقت على القصائد التي شُهِرَتْ في العصر الجاهلي، بل لم نجد من شعرائها من كان له شهرة كغيره من: شعراء الطائف، والمدينة، وهجر، والبوادي.

المتتبع للمدينة المنورة في عصورها المختلفة يجد بيئة شعرية خصبة، ودواعي وبواعث الشعر في هذه البيئة عديدة، وأستطيع ذكر أهمها، وهي:

أوّلًا: كونها بيئة زراعية مستقرة:

والاستقرار يبعث على ألفة المكان والارتباط به، ممّا يولّد علاقة عاطفية تظهر من خلال البيان، وهذا ما نلحظه في تلك العلاقة بين هذه البيئة وبين الشعراء الذين تعلّقوا بها، وبخاصة أولئك الذي ابتعدوا أو أبعدوا عنها، فكان ذلك الحنين والشوق للعودة للمكان.

ثانيًا: التنوّع السكاني:

على تاريخها الطويل تمتعت المدينة المنورة بهذا التنوع الذي أعطاها ميزة عن غيرها من الحواضر، ففي العصر الجاهلي كان وفود القبائل اليمانية من الأوس والخزرج على سكانها الأصليين من القبائل المعروفة، كذلك وفود اليهود، وفي العصر الإسلامي امتزجت هذه العناصر بعنصر المهاجرين القادمين من مكة، وبعد أن أصبحت حاضرة الإسلام اغتنت بتنوعٍ فريد من العرب وغير العرب.

ثالثًا: الحرب:

والحرب باعثة الكلام، والشعر من أدواتها وأسلحتها، والمدينة من البيئات الشعرية التي كانت الحرب فيها نارًا دائمة الاتّقاد، ففي الجاهلية حروب بين الأوس والخزرج الإخوة الأعداء الذين تنافسوا على الزعامة، وأوقد اليهود هذا العداء، واستمرّت هذه الحرب حتى جاء الإسلام، وفي هذا الشعر وجدنا التحريض على القتال والهجاء والتعيير، والفخر والزهو بالانتصار.

وفي العهد الإسلامي أصبحت المدينة هي التي تقود الدفاع عن الدعوة الإسلامية، فهجوم قريش في بدر وأحد والخندق، وتآمر اليهود والقبائل العربية جعل هذه الحرب متصلة، ثمّ وبعد أن انتصرت على أعدائها، وتمّ فتح مكة قادت الفتوحات على بلاد الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب العربي، وهذا ما كان يثير حماسة الشعراء، ويستثير عواطفهم، ويدفعهم للقول فخرًا واعتزازًا، وشوقًا وحنينًا.

رابعًا: المكانة الدينية:

وهذا السبب يعدُّ السبب الرئيس، وذكرناه آخرًا وحقه التقديم، كون شاعرية المدينة قد ظهرت قبل الإسلام، فكانت أمًّا ولودًا للشعراء، وإذا اقتصرت على أبنائها قبل الإسلام، فقد غدت بعد الإسلام أُمًّا لكل شاعرٍ مسلم.

إنّ ما أحرزته المدينة من مكانة دينية جعلت قلوب الناس تهوي إليها، فهي ثانية المدائن التي تُشَدُّ الرحال إليها، ثمّ هي حاضنة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا وجدنا الشعراء من مختلف أصقاع العالم الإسلامي يهفون إليها، ووجدنا هذا الشعر المتشوق للوصول والزيارة أو ذاك الواصف لأثر هذه الزيارة، ومن هؤلاء الشعراء من استوطن المدينة، وبذلك ظلّت شاعرية المدينة كالنبع إلى وقتنا الحاضر كلّما أخذت منه أفاض بمعينه.

وقد يقول قائل: إنّ هذه الأسباب قد لا تكون باعثة على الشعر، فالشعر هو باعث نفسه.

نقول: ما ذكرناه هو ما اتفق النقاد والأدباء والشعراء على أنه بواعث، ومع ذلك فالمدينة لديها شهادات من كبار نقاد ومؤرخي الأدب على مختلف العصور، فأبو عبيدة، وابن سلام الجمحي، والأصمعي، والجاحظ، وأبو علي القالي، وكثير غيرهم لهم شهادات صدق تؤكّد وتثبت شاعرية المدينة، فهذا أبو عبيدة يقول[1]:

(اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب، ثم عبد القيس (سكان البحرين)، ثم ثقيف والطائف وأن أشعر ثقيف أمية).

(واتّفقت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن أشعر أهل يثرب حسّان)[٢].

وبما أنَّ الشعر يتنقل في الناس وفي القبائل، فقد ذكر الأصمعي في إجابته عن سؤال عن أشعر القبائل؛ إذ سُئِلَ[٣]:

(أي الناس أشعر قبيلة؟ فقيل: النجل العيون في ظلال الفسيل، يعني الأنصار)، وفي هذا السؤال، والإجابة عليه يتبين لنا مكانة المدينة الشعرية بين قبائل العرب، فخُصَّت بأنها أشعر القبائل.

وعدَّ من شعراء المدينة بعض الفحول، والفحل في تعريف الأصمعي: ما له مزية على غيره من الشعراء، وقد سأله أبو حاتم السجزي عن فحول الشعراء وعدَّد منهم ثم قال[٤]: (**قلت**: فحسان بن ثابت؟ قال: فحل قلت: فقيس بن الخطيم؟ قال: فحل وابن هرمة ثبت فصيح. قال: وابن أذينة ثبت في طبقة ابن هرمة).

وفي حديث ابن سلام الجمحي عن شعراء القرى، يقول[٥]: (**شعراء القرى العَرَبيَّة، وهي خمس: المَدِينَة، وَمَكَّة، والطائف، واليمامة، والبحرين، وأشعرهن قَرْيَة المَدِينَة.**

شعراؤها الفحول خَمْسَة: ثَلاثَة من الخَزْرَج، وَاثْنَانِ من الأَوْس، فَمن الخَزْرَج من بني النجار حسان بن ثَابت، وَمن بني سَلمَة كَعْب بن مَالك، وَمن بلحارث بن الخَزْرَج عبد الله بن رَوَاحَة، وَمن الأَوْس قيس بن الخطيم من بني ظفر، وَأَبُو قيس بن الأسلت من بني عَمْرو بن عَوْف، أشعرهم حسان بن ثَابت، وَهُوَ كثير الشّعْر جَيِّدَه).

ويصف الجاحظ فصاحة ألسن أهل المدينة، ويبين عن قدراتهم التعبيرية، فيقول[٦]: (**ولأهل المدينة ألسن ذلقة، وألفاظ حسنة وعبارة جيدة)**.

ويورد أبو زيد القرشي من شعراء المدينة في أصحاب المذهبات[٧]: (**حسان بن ثابت الأنصاري، عبد الله بن رواحة، مالك بن عجلان، قيس بن الخطيم الأوسي، أُحيحة بن الجلاح، أبو قيس بن الأسلت، عمرو بن امرىء القيس)**.

والدليل على شاعرية أهل يثرب ما ورد في أمالي القالي من تلك القصة التي تعطي انطباعًا عن شعرية البديهة، وقوة الشاعرية الدفاقة المنطلقة في وقت الحدث، من ثلاثة شعراء، في ثلاث قصائد رثاء، في رجل واحد، في وقت واحد، بقوة سبك، وجزالة ألفاظ، وجودة تعبير، يقول القالي[٨]:

(لما مات عمرو بن حممة الدوسي، وكان أحد من تتحاكم إليه العرب، مرّ بقبره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام: الهدم بن امرئ القيس ابن هيشة بن أمية بن معاوية ؛ وعتيك بن قيس، وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب، فعقروا رواحلهم على قبره، وقام الهدم فقال:

لقد ضمّت الأثراءُ منك مرزًا
عظيمَ رمادِ النارِ مُشْتَرَكَ القِدْرِ
حليمًا إذا ما الحلمُ كان حَزامةً
وقورًا إذا كان الوقوفُ على الجَمْرِ

شاعرية المدينة المنورة

إذا قُلْتَ لَمْ تَتْرُكْ مقالًا لقائلٍ

وإنْ صُلْتَ كُنْتَ اللَّيثَ يحمي حمى الأجْرِ

فأصبحَ لمّا بِنْتَ يُغْضي على الصَّغْرِ

لِيَبْكِكَ مَنْ كانَتْ حياتُكَ عِزَّهُ

سقى الأرضَ ذاتَ الطولِ والعرضِ مثجمٌ

أحمّ الرّحا واهي العُرى دائمُ القَطْرِ

وما بِيَ سُقيا الأرضِ لكنَّ تُربةً

أضلَّكَ في أحشائِها مُلْحِدُ القَبْرِ

قال أبو علي: الرّحى: وسط الغيم ومعظمه، ووسط الحرب ومعظمها. وقام عتيك بن قيس فقال:

برغم العلى والجودِ والمجدِ والندى

طواك الرَّدى يا خيرَ حافٍ وناعلِ

لقد غالَ صرفُ الدَّهرِ منكَ مُرزَأً

نهوضًا بأعباءِ الأمورِ الأثاقلِ

يضمّ العفاةَ الطارقين فناؤهُ

كما ضمَّ أمّ الرأسِ شعبَ القبائلِ

ويسرو دجى الهيجا مضاءُ عزيمةٍ

كما كشفَ الصبحُ اطّراقَ الغياطلِ

ويستهزم الجيشَ العرمرمَ باسمه

وإن كان جرّارًا كثيرَ الصواهلِ

ويمضي إذا ما الحربُ مدّ رواقَهُ

فيرتدّ قسرًا وهو جمّ الدغاولِ

وينقادُ ذو البأوِ الأبيّ لحكمه

على الروعِ وارفضّت صدورُ العواملِ

فإمّا تصبنا الحادثاتُ بنكبةٍ

رَمَتْكَ بها إحدى الدّواهي الضآبلِ

فلا تبعدَنْ إنّ الحتوفَ مواردٌ

وكلّ فتىً مِنْ صرفِها غيرُ وائلِ

قال أبو علي: الضآبل: الدواهي، واحدها ضئبل. وقام حاطب بن قيس فقال:

سلامٌ على القبرِ الذي ضمّ أعظمًا

تحوم المعالي حوله فتسلّمُ

سلام عليه كلما ذرّ شارقٌ

وما امتدّ قطعٌ من دجى الليل مظلمُ

فيا قبرَ عمرو جادَ أرضًا تعطّفتْ

عليك ملثٌّ دائمُ القطرِ مرزمُ

تضمَّنْتَ جسمًا طابَ حيًّا وميّتًا

فأنت بما ضمّنت في الأرض معلمُ

فلو نطقتْ أرضٌ لقال ترابُها

إلى قبر عمرو الأزد حلّ التكرمُ

إلى مرمسٍ قد حلّ بين ترابه

وأحجاره بدرٌ وأضبطُ ضيغمُ

فلوْ وَأَلَتْ من سطوة الموتِ مهجةٌ

لكُنْتَ ولكنَّ الرَّدى لا يُثَمْثَمُ

فلا يبعدنك الله حيًّا وميتًا

فقد كنتَ نورَ الخطْبِ والخطبُ مظلمُ

وقد كنتَ تمضي الحُكْمَ غيرَ مهلّلٍ

إذا غالَ في القولِ الأبلّ الغَشَمْشَمُ

لعمرُ الذي حطّت إليه على الونا

حدابيرُ عوجٌ نيُّها متهمّمُ

لقد هدّم العلياءَ موتُك جانبًا

وكان قديمًا ركنُها لا يهدّمُ

فانظر إلى هذه البديهة المتألقة، في تضافر المعاني، دون سابق علم، ونحن نعلم مضائق شعر البديهة والارتجال، وما فيه في غالب الأحيان من هلهلة وضعف وركاكة.

والدليل على اهتمام أهل يثرب بالشعر هو أنهم صححوا شعر النابغة من الإقواء، وهذا يبين عن اهتمام نقدي، وخبرة علمية بالشعر، وقد أوردت كتب النقد القديم والحديث، قصة النابغة الذبياني عندما ورد المدينة في الجاهلية، وكان النابغة في وقته شيخ الشعراء، والحاكم على أشعارهم في سوق عكاظ، ويبدو أنه لم ينتبه للإقواء الحاصل في قصيدته الدالية، يذكر أبو الفرج الأصفهاني، قصة تصحيح شعر النابغة من قبل أهل المدينة، فيقول[٩]:

(فأما النابغة فدخل يثرب فهابوه أن يقولوا له لحنت وأكفأت، فدعوا قينة، وأمروها أن تغني في شعره، ففعلت.

فلما سمع الغناء "وغير مزوَّدِ، والغرابُ الأسودُ"، وبان له ذلك في اللحن، فَطِنَ لموضع الخطأ فلم يعد.

كان النابغة يقول: إن في شعري لعاهة ما أقف عليها. فلما قدم المدينة غُنّي في شعره فلما سمع قوله: (واتَّقَتْنا باليد...) و (يكاد من اللَّطافة يُعْقَدُ...)، تبين له لما مدت باليد فصارت الكسرة ياء ومدت يُعْقَدُ فصارت الضمة كالواو ففطن فغيره وجعله:

(عَنَمٌ على أغصانه لم يُعْقَد...)

وكان يقول: وردت يثرب وفي شعري بعض العاهة، فصدرت عنها وأنا أشعر الناس).

وهذا الفرزدق الذي عدّه ابن سلام الجمحي في الطبقة الإسلامية الأولى، ولو ذهب شعره كما قال أبو عمرو بن العلاء لذهب ثلث اللغة، هذا الشاعر الضخم يدلي بشهادته في قضية شاعرية المدينة؛ حيث يتعجب من شاعرين فيها، وعجب الفرزدق شهادة، يقول أبو الفرج الأصفهاني[١٠]:

(قدم الفرزدق المدينة ثم خرج منها فسئل عن شعرائها، فقال: رأيت بها شاعرين، وعجبت لهما، أحدهما أخضر يسكن خارجا من بطحان يريد ابن هرمة، والآخر أحمر كأنه وحرة على برودة في شعره يريد الأحوص)

وتتوالى الشهادات، فجرير الشاعر المقدم، وقريع الفرزدق أيضًا له شهادة معتبرة ورد فيها[١١]:

(حدثنا أبو جعفر قال حدثني ابن الأعرابي قال قدم جرير المدينة فأتاه شباب من أهلها فقالوا أنشدنا يا أبا حرزة فقال أأنشدكم وفيكم الذي يقول:

أنّى سَرَيْتِ وكنتِ غيرَ سَروبِ

وتُقَرِّبُ الأحلامُ غيرَ قريبِ

ما تمنعي يَقْظى فقد تُؤْتينَهُ

في النَّومِ غيرَ مكدَّرٍ محسوبِ

كان المنى بلقائها فَلَقيتُها ف

َلَهَوْتُ مِنْ لهوِ امرئٍ مكذوبِ

- وهو يقصد قيس بن الخطيم، وقيل: إنَّ أبياته هذه أحسن ما قيل في الخيال - والله لا أنشدكم حرفًا حتى أخرج من المدينة.

قال أبو جعفر وكان معاوية إذا قدم عليه وفد المدينة قال انشروا علينا حبرات قيس.

وفي معرض نقد الشعر، واختيار أحسنه، يذكر ابن عبد ربه الأندلسي، فيقول[١٢]:

(فأما أفخر بيت قالته العرب فقوله - يقصد حسان بن ثابت -:

وبيومِ بَدْرٍ إذ يردُّ وجوهَهُمْ

جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمَّدُ

وأما أحكم بيت قالته العرب فقوله:

فإنّ امرأ أمسى وأصبح سالمًا

من الناس إلّا ما جنى لسعيدُ

هذه الشهادات يعضدها التاريخ الشعري للمدينة المنورة في سائر عصور الأدب، فقد أعطت في العصر الجاهلي شعراء كبارًا من أمثال: أحيحة بن الجلاح، وقيس بن الخطيم، وحسان بن ثابت، ومن أجل شاعريتهم كانت هذه الشهادات.

وتحصل المدينة على جائزة سنية في الشعر في العصر الجاهلي؛ إذ تحصد في سباق الشعر سبع جوائز فتصبح حاملة لقب صاحبة المذهبات، يذكر أبو زيد القرشي[١٣]: **(وأما المذهبات: فللأوس والخزرج خاصة، وهن لحسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، ومالك بن العجلان، وقيس بن الخطيم، وأحيحة بن الجلاح، وأبي قيس بن الأسلت، وعمرو بن امرىء القيس).**

ومطالعها على التوالي:

مطلع مذهبة حسان بن ثابت:

لَعَمْرُ أبيكَ الخيرِ حقًّا لَما نَبا

عَلَيَّ لساني في الخُطُوبِ ولا يَدي

ومطلع مذهبة عبد الله بن رواحة:

تَذَكَّرَ بَعْدَما شَطَّتْ نَجُودا،

وَكانَتْ تَيَّمَتْ قَلبي وَليدا

ومطلع مذهبة مالك بن عجلان:

إنّ سَميرًا أرَى عَشيرَتَهُ،

قَدْ حَدِبُوا دُونَهُ، وَقَدْ أنِفُوا

ومطلع مذهبة قيس بن الخطيم الأوسي:

أتَعْرِفُ رَسْمًا، كالطِّرازِ المُذَهَّبِ،

لَعَمْرَةَ وَحْشًا، غَيْرَ مَوْقِفِ راكِبِ

ومطلع مذهبة أحيحة بن الجلاح:

صَحَوْتَ عَنِ الصِّبا، والدّهْرُ غُولُ،

وَنَفْسُ المَرْءِ، آوِنَةً، قَتُولُ

ومطلع مذهبة أبو قيس بن الأسلت:

قالَتْ، وَلَمْ تَقْصِدْ لِقَوْلِ الخَنا

مَهْلًا ! فَقَدْ أبْلَغْتِ أسْماعي

ومطلع مذهبة عمرو بن امرىء القيس:

يا مالُ، والسَّيِّدُ المُعَمَّمُ قَدْ

يُبْطِرُهُ بَعْضُ رَأيِهِ السَّرَفُ

هذا العطاء الشعري للمدينة في العصر الجاهلي يختصره الصحابي مالك بن أنس رضي الله عنه فيقول[١٤]: **" قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما في الأنصار بيت إلاّ وهو يقول الشعر. قيل له: وأنت أبا حمزة ؟ قال: وأنا ".**

ويأتي الإسلام، وتتألق المدينةُ بنجوم الشعر المضيئة سماء شعرنا العربي، بل تلمع وتبرق سيوف الشعر المدافعة عن الدين الجديد، فتقف كتائب الشعر جنبًا إلى جنب مع كتائب

السلاح لخوض معركة حاسمة ثلاثية الأعداء من: الكفر والمنافقين واليهود، وينجح الشعر في تثبيت هذه الراية، وتروي كتب الحديث، والسيرة، والأدب دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم شعراء المدينة لرفع سيوف شعرهم في وجوه الأعداء، وأن الله عز وجل يدعم ويؤيد المدافع والمنافح عن الله ورسوله بشعره " قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ" [١٥] ".

بل نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرّعُ هجاء الكفار " اهجوا قريشًا فإنّهُ أشدُّ عليهم من رشقِ النَّبْلِ [١٦] ".

وهل هناك أدعى لشحذ الشعراء سيوف شعرهم من أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم للدفاع عنه ويدعو لهم، ويؤيدهم في ذلك روح القدس، كما جاء في الحديث الصحيح: "**إنّ روح القدس لا يزال يؤيدكَ ما نافحتَ عن الله ورسوله**[١٧]"، وفي دعائه عليه الصلاة والسلام لحسان بن ثابت: "**اللهم أيِّدْهُ بروح القدس**[١٨]" وبعد أن هجاهم حسان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "**هجاهم حسان فشفى واشتفى**[١٩]".

والأحاديث الدالة على مكانة الشعر في الدعوة، والحض على استغلال هذا السلاح الخطير في المعركة الدائرة بين الإيمان والكفر، ومضاء هذا السلاح وقوة تأثيره في الأعداء نجدها في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، مثل صحيح البخاري ومسلم، وسنن أبي داود والترمذي، ومسند ابن حنبل وغيره.

وهذا الأمر أشعل شاعرية المدينة، وأثار حماسة الشعراء الذين نافحوا بكل قوة عن دينهم ونبيهم، وكانت كوكبة من هؤلاء الشعراء الذين حملوا الراية من المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام، ومنهم: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك.

ونجد العصر الإسلامي أيضًا يضم شعراء لهم مكانتهم؛ حيث يَرِثُ حسّانَ ابنُهُ عبدُ الرحمن، وحفيدُه سعيد بن عبد الرحمن، بل نجد من نسل حسان النساء الشواعر؛ حيث يذكر ابن قتيبة[٢٠]:

قالت امرأة من ولد حسّان بن ثابت:

سل الخير أهل الخير قدما ولا تسل...

فتى ذاق طعم العيش منذ قريب

ومن هؤلاء الشعراء الذين ظهروا في المدينة كذلك نصر بن حجاج، وهو (نصر بن حجاج بن علاط السلمي، ثم البهزي، شاعر من أهل المدينة، كان جميلًا، نفاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البصرة بسبب جماله[٢١]. وورد له قصة طريفة حدثت له مع الخليفة العادل عمر بن الخطاب، ومجملها وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس بنفسه، فسمع امرأة تقول[٢٢]:

ألا سبيلٌ إلى خمرٍ فأشربُها

أمْ هلْ سبيلٌ إلى نصرِ بنِ حجّاجِ

إلى فتى ماجِدِ الأخلاقِ ذي كرمٍ

سهلِ المحيا كريمٍ غيرِ ملْجاجِ

فقال عمر: "أما ما دام عمر إمامًا فلا"، فلما أصبح قال: "عَلَيَّ بنصر بن الحجاج"، فأُتي به، فإذا هو رجل جميل، فقال: اخرج من المدينة.

قال: ولم ؟ وما ذنبي ؟

شاعرية المدينة المنورة

قال: أخرج فو الله ما تساكنني. فخرج حتى أتى البصرة وكتب إلى عمر رضي الله عنه:

لَعَمْري لَئِنْ سيَّرتني وحَرمْتني
ولم آتِ إثمًا إنّ ذا لحرامُ
وما لي ذنبٌ غير ظنٍ ظننتَهُ
وبعضُ تصاديقِ الظنونِ إثامُ
وإنْ غنَّتْ الذلفاءُ يومًا بمنيةٍ
فبعضُ أمانيِّ النساءِ غرامُ
فظنَّ بيَ الظنَّ الذي لو أتيتَهُ
لما كانَ لي في الصالحين مقامُ
ويمنعُها مِمَّا تمنَّتْ حفيظتي
وآباءُ صِدْقٍ سالفونَ كرامُ
ويمنعُها مما تمنَّتْ صلاتُها
وبيتٌ لها في قومِها وصيامُ
فهذانِ حالانا فهلْ أنتَ مُرْجِعي
فقدْ جُبَّ مِنِّي غاربٌ وسَنامُ

قال: فرده عمر بعد ذلك لما وصف من عفته.

ويشتد عود شعر المدينة في العصر الأموي، فنجد شعراء أصحاب مكانة شعرية متميزة، مثل: الأحوص، وأبو قطيفة، وقيس بن ذريح، وابن هرمة، وإسماعيل بن يسار، والحزين الكناني، وعروة بن أذينة. وكل واحد من هؤلاء الشعراء كان من شعراء العصر، فالأحوص بن محمد الأنصاري الشاعر الغزل المشهور، ومن أظهر شعراء العصر الأموي، أثنى على شعره العديد من النقاد، وكان من أوائل الذين سمح لهم عمر بن عبد العزيز بإلقاء شعرهم أمامه، وقد ذكر ابن قتيبة وفود الشعراء على باب عمر، وحجبهم، ثم سماحه لبعضهم، وكان الأحوص ممن سمح لهم، يقول:

(ثم تقدّم الأحوص فاستأذنه في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلا حقًا، فأنشده [٣]:

وما الشّعرُ إلا خطبة من مؤلّفٍ
لمنطق حقّ أو لمنطقِ باطلِ
فلا تقبلنْ إلّا الذي وافق الرّضا
ولا ترجعنّا كالنّساءِ الأراملِ
رأيناك لم تعدل عن الحقّ يمنة
ولا يسرة فعل الظّلوم المخاتل
ولكن أخذت القصد جهدك كلّه
تقدّ مثال الصالحين الأوائل
فقلنا، ولم نكذب، بما قد بدا لنا
ومن ذا يردّ الحقّ من قول قائل

إلى أن يذكره بمكانة الشعر وأهميته، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد سمع الشعر وأثاب عليه

فإن لم يكن للشّعر عندك موضع
وإن كان مثل الدرّ في فتل فاتل
فإنّ لنا قربى ومحض مودّة
وميراث آباء مشوا بالمناصل
وذادوا عدوّ السّلم عن عقر دارهم
وأرسوا عمود الدّين بعد التّمايل
وقبلك ما أعطى هنيدة جلّة
على الشّعر كعبا من سديس وبازل

مقالات

رســـول الإلـــه الـمـسـتـضـاء بـنـوره

عـلـيـه سـلام بـالـضـحـى والأصـائـل

وعلى الرغم من شهرته في ميدان الغزل، فقد جعل صاحب العقد الفريد بيتًا من شعره أفخر بيت قالته العرب، وهو قوله[٢٤]:

مـا مـن مـصـيـبـةِ نـكـبـةٍ أُرمــى بِـهـا

إلا تُـشـرِّفُـنـي وتـرفـعُ شـانـي

وإذا سـألـتَ عـن الـكـرام وجـدتَـنـي

كـالـشـمـسِ لا تـخـفـى بـكـلِّ مـكـانِ

ومن شعراء المدينة المتميزين في هذا العصر المُغَرَّب المشتاق، والمُبعد المحموم بحب المدينة، **أبو قطيفة** وهو عمرو بن الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، واسمه أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو الوليد القرشي الأموي المدني المعروف بأبي قطيفة.

وإنما قيل له أبو قطيفة لكثرة شعر رأسه ولحيته شُبِّهَ بالقطيفة. شاعر محسن سيره ابن الزبير في جملة من سيَّر من بني أمية إلى دمشق. فهو من الذين عاقبهم ابن الزبير بتغريبهم عن موطنهم، وذلك للحرب القائمة بينه وبين الأمويين، فكان ذنب أبي قطيفة كونه أمويًا، وقد أنتج لنا هذا التغريب وهذا البعد شعرًا في الحنين والشوق إلى المدينة عذبًا حزينًا، تظهر فيه اللوعة، وشدة الألم لهذا الإبعاد القسري، ولم تلهه ينابيع بردى وغوطة دمشق عن ملاعب صباه في المدينة مثل: يلبن وبرام، والبقيع، والكآبة والحزن والزفير وقلة النوم التي تجمعت على أبي قطيفة تدلنا على شاعرٍ يدرك أبعاد هذه الفرقة التي قد تكون سببًا في أن يشيب الغلام من حرب قد تشب بين الإخوة من بني قومه، فهو إلى جانب عشقه يبين عن حسٍّ مرهفٍ نحو الأحداث التي ستجر الويلات على قومه، وهذا يدل على رهافة شعوره، ومن تشوقه إلى المدينة قوله[٢٥]:

لـيـتَ شـعـري وأيـــنَ مـنّـي لـيـتُ

أعـلـى الـعـهـدِ يـلـبـنٌ فـبـرامُ

أمْ كـعـهـدي الـبـقـيـعُ أمْ غـيَّـرتْـهُ

بـعـديَ الـمـعـصـراتُ والأيّـامُ

أقـطـعُ الـلـيـلَ كـلَّـهُ بـاكـتـئـابِ

وزفـيـرٍ فـمـا أكـادُ أنـامُ

نـحـو قـومـي إذْ فـرَّقـتْ بـيـنـنـا الـدا

رُ وجـارتْ عـنْ قـصـدِهـا الأحـلامُ

خـشـيـةً أنْ يـصـيـبَـهُـمْ عـنـتُ الـدهـ

رِ وحـربٌ يـشـيـبُ فـيـهـا الـغـلامُ

ولـقـدْ حـانَ أنْ يـكـونَ لـهـذا الـد

هـرِ عـنّـا تـبـاعـدٌ وانـصـرامُ

وبـقـومـي بـدلْـتُ لـخـمًـا وكـلـبًـا

وجـذامًـا وأيـنَ مـنّـي جـذامُ

اقـرَ عـنّـي الـسـلامَ إنْ جـئـتَ قـومـي

وقـلـيـلٌ لـهـم لـديَّ الـسـلامُ

وقيس بن ذريح العاشق المتيم من ساكني المدينة المنورة، أثنى عليه الذهبي وقال[٢٦]: (شاعر محسن... **وَنَظْمُهُ فِي الذُّرْوَةِ العُلْيَا رِقَّةً، وَحَلاوَةً، وَجَزَالَةً**) وترجم له الزركلي فقال[٢٧]: (**شاعر، من العشاق المتيمين. اشتهر بحب "لبنى" بنت الحباب الكعبية. وهو من شعراء العصر الأموي، ومن سكان المدينة. كان رضيعا**

للحسين بن علي بن أبي طالب، أرضعته أم قيس. وأخباره مع لبنى كثيرة جدًا، وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين).

ومن الشعراء المعدودين في هذا العصر عروة ابن يحيى (ولقبه ابن أذينة) بن مالك بن الحارث الليثي: شاعر غزل مقدم. من أهل المدينة.

وهو معدود من الفقهاء والمحدثين أيضًا. ولكن الشعر غلب عليه. وهو القائل: "

لقد علمت وما الإسراف من خلقي

أن الّذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى إليه فيعييني تطلبه

ولو قعدت أتاني لا يعنيني

ومن شعراء الدولتين الأموية والعباسية ابن هرمة و (هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة القرشي، أحد بني قيس بن الحارث بن فهر، ويقال لهم: الخلج. حجازي سكن المدينة، ويكنى أبا إسحاق.

قال الأصمعي: (**ختم الشعر بابن هرمة، فإنه مدح ملوك بني مروان، وبقي إلى آخر أيام المنصور**)، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم.

ومن شعراء المدينة أيضًا في هذا العصر العباسي عبد القدّوس بن عبد الواحد من ولد النعمان بن بشير ومن شعره قوله[٢٨]:

ندى تحكم الآمال فيه، ونجدة

تحكّم في الأعداء بالأسر والقتل

ويبدو أنّ فورة الشعر المدني قد بدأ يخمد أوارها في العصر العباسي، ويتفق كثير من مؤرخي الأدب على هذا الرأي، فمؤلفا وحي الصحراء يريان خمود الشعر في أواسط العصر العباسي الأول يقولان: (**ثم أخذ الأدب الحجازي في التقهقر، وأخذت الروح الأدبية تضعف رويدًا رويدًا**[٢٩])، وينقلان مقولة للأصمعي يقول فيها: (**أقمت بالمدينة زمانًا ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلاّ مصحّفة أو مصنوعة**)، وعلى الرغم من عدم موافقتهما التامة على هذا الرأي، وأنّه حكم شديد قاس، إلاّ أنّ هذا الحكم النقدي أيده عدد غفير من مؤرخي الأدب، فحمد الجاسر يقول[٣٠]: (**ازدهر الشعر الحجازي في صدر الإسلام وفي العهد الأموي، ثمّ أدركه الضعف**)، ومن ذلك قول الدكتور عائض الردادي[٣١] (**ذبلت صورة الحجاز الزاهية من بداية العهد العباسي اقتصاديًا، وثقافيًا، وأدبيًا.. ثمّ ماتت جذورها**).

وينتهي العصر العباسي بسقوط الخلافة، لتعبر الأمة في دهاليز أحداث الحروب الصليبية والمغولية، ولتدخل المدينة كغيرها من مراكز العلم والأدب في فتورٍ شعري لحظه كثير من الأدباء والنقاد ومؤرخي الأدب، يقول الدكتور عبد الباسط بدر مؤكّدًا هذا الفتور الشعري[٣٢]: (فعلى امتداد العهد المملوكي لا نجد في المدينة المنورة الأدباء المرموقين، الذين يهزون الساحة الأدبية.

كان هناك عدد قليل من الشعراء، وعدد كبير من النظامين، وعدد أقل من الكتاب والمؤلفين، ولكن الأدباء المبدعين إبداعًا متميزًا غائبون). والشعراء الذين أوردهم في بحثه يظهر من خلال أسمائهم أنهم من الوافدين على المدينة المنورة، والذين اتخذوها لهم بعد ذلك موطنًا، ودليل

ذلك قول أبي البركات أيمن بن محمد التونسي، هذا الشاعر الوافد الذي ألف الجوار فجاور حتى توفي[٣٣].

حللتُ بدار حلَّها أشرفُ الخلقِ
محمدٌ المحمودُ بالخلقِ والخلقِ
وخلَّفتُ خلفي كلَّ شيءٍ يعوقني
عن القصدِ إلا ما لديَّ من العشقِ
وما بي نهوضٌ غيرَ أنِّيَ طائرٌ
بشوقي وحسنُ العونِ من واهبِ الرزقِ

وممن يعددهم كثير منهم من الوافدين، يقول: (فالذين يذكر المؤرخون والمترجمون أنهم قرضوا الشعر كثيرون.. منهم العلماء، والمحدثون، واللغويون؛ كالشيخ محمد بن علي بن يحيى الغرناطي، وإسماعيل بن محمد المقدسي، ومحمد بن سعيد بن عبد الله المدني، واحمد بن محمد بن بندار الخليلي... وغيرهم كثير، ومنهم من غلب عليه الشعر، فكان أظهر ما يعرف به، مثل: علي بن محمد الخجندي، وأيمن بن محمد التونسي، وعبد السلام بن عبد الوهاب الزرندي، وأحمد بن الحسين، المشهور بابن العُليف)، ويذكر الدكتور إبراهيم الفوزان من شعراء المدينة في أوائل القرن التاسع الهجري الشاعر ظهيرة الدين خطيب المدينة[٣٤]. وعموم الشعر الموجود بين أيدينا في هذه الفترة يغلب عليه النظم، والصنعة المقلدة، وفتور العاطفة.

وفي العصر التركي ظهر مجموعة من الشعراء، ولعل القرن الحادي عشر وما بعده ضخَّ في عروق المدينة عددًا من الشعراء يذكر منهم صاحب نفحة الريحانة الشاعر عبد الله بن إلياس، وأثنى عليه فقال إنَّ له[٣٥]: (**نثرًا ونظمًا تتضاءل له النجوم في أفقها**)، وترجم صاحب سلافة العصر للشاعر قرص الدين محمد الخليلي المدني الأنصاري، وأحمد بن عبد الله بن أبي اللطيف البري المدني، والسيد إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري، وابراهيم بن محمد المدني المتوفى سنة ١٠٥٦هـ، وقد أثنى على كتاب السمهودي وفاء الوفا قائلًا:[٣٦]

من رامَ يستقصي معالم طيبةٍ
ويُشاهدُ المعدومَ كالموجودِ
فعليه باستقصاءِ تاريخِ الوفا
تأليفِ عالمِ طيبةَ السمهودي

وأورد كذلك أسماء مجموعة أخرى، منهم: الأمير أبو بكر بن علي الأحسائي المدني المتوفى سنة١٠٧٦هـ، ومحمد بن عبد الله الشهير بكبريت المولود سنة ١٠١٢هـ، ومنهم الملك العصامي، وعبد الرحمن بن عيسى المرشدي.

ومن شعراء القرن الحادي عشر الهجري أيضًا، الشاعر حسين بن علي بن حسن بن شدقم المدني، ورد ذكره في نفحة الريحانة للمحبي، وأورد له جامع المدائح النبوية قصيدة دالية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، مطلعها[٣٧]:

أقيما على الجرعاءِ في دِمْنَتَيْ سُعْدِ
وقولا لحادي العيسِ عيِّرك لا تَحْدِ

ونجد صاحب نفحة الريحانة، وصاحب سلافة العصر يترجمان لعدد لا بأس به من شعراء المدينة في هذه الفترة، فنجد أسماء مثل[٣٨]: (حسن ابن شدقم، وحسين بن علي شدقم، والخطيب أحمد ابن عبد الله البري، وإبراهيم بن أبي الحسين المدني،

والخطيب محمد بن الخطيب الياس، والشيخ شرف الدين بن يحيى العصامي، وحسين بن عبد الملك العصامي، وأبو حميدة المدني، وغرس الدين بن محمد الخليلي، كما ترد أسماء لشعراء وافدين أصبح انتسابهم للمدينة مثل: فتح الله بن النحاس، والشيخ درويش بن قاسم الطرابلسي، والشيخ محمد مبارك باكراع الحضرمي محتدًا، المدني مولدًا).

وفي كتاب الشعر في المدينة المنورة بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر يورد الدكتور عاصم حمدان لعدد من الشعراء، منهم: جعفر البيتي (١١١٠ - ١١٨٢هـ)، والذي عُدّ من أشهر شعراء العصر[٣٩] وعبد الجليل برادة (١٢٤٠ - ١٣٢٧هـ) وإبراهيم حسن الأسكوبي شاعر يثرب (١٢٤٦ - ١٣٣١هـ) ومحمد أحمد عمر الواسطي (١٢٨٠ - ١٢٦٥ هـ) وعبيد عبد الله مدني (١٣٢٤ - ١٣٦٩هـ) وقد رأى أنّ هؤلاء الشعراء يمثلون تيّارًا سياسيًا.

ومن شعراء القرن الثالث عشر الهجري عمر عبد السلام الداغستاني ١٢٠١هـ/ ١٧٦٨م ومحمد أمين الزللي ١٢٣٧هـ الذي حقق ديوانه الدكتور محمد العيد الخطراوي، وحسن أفندي بوسنوي المدني، الذي ذكر الخطراوي أنه شرع في تحقيق ديوانه، ولا ندري هل أتمّه أم لا ؟ وبين هذين الشاعرين مراسلات ومجاوبات شعرية في ديوان الزللي.

ومن شعراء هذه الفترة السيد جعفر البيتي ومحمد سعيد سفر، والجامي، وغيرهم، ويمكن أن يشار إلى شعراء آخرين في الحقبة ذاتها، من أمثال عمر بري،الذي ارتبط شعره بالمدائح التي استغرقت جلّ شعره ؛ بما فيها من صياغة جافة وتقريرية مباشرة في النصوص الأخرى، وهو أقرب ما يكون إلى النظم بصورة عامة. وقد رصد (عثمان حافظ) في كتابه (المدينة المنورة صور وذكريات) أكثر من ثلاثين شاعرًا في حقبة القرن الثالث عشر الهجري وبدايات القرن الرابع عشر، ضاعت دواوين أكثرهم، فيما يشير إلى (شاعرتين) كانتا من شعراء المدينة في ذلك العهد، وهما: (سلمى القراطيش، وحفصة أركوبي) ويورد للأولى أبيات من بحر الوافر.

ويرى الدكتور إبراهيم الفوزان في شعر هذه الفترة النزوع إلى التقليدية[٤٠]، (وتمثل ذلك في أدب مدرسة البعث التقليدية التي أطلقنا عليها المدرسة الأسكوبية، نسبة إلى الشاعر إبراهيم الأسكوبي الذي يعد من أبرز شعراء تلك الفترة، وقد مثّل تيار البعث الأدبي بالمدينة كل من إبراهيم الأسكوبي، وعبد الجليل برادة... ومن شعراء البعث بالمدينة المنورة الذين يعدون من المدرسة الأسكوبية الشاعر أنور عشقي، والأديب محمد العمري) ومن شعراء القرن الرابع عشر أيضًا أبناء لعبد الجليل برادة، وأشهرهم سعد الدين، وله قصيدة جميلة في الشوق للمدينة، وهو بعيد عنها في دمشق يتأوّه من لوعة البعد، ويظهر جزعه من حرّ الفراق، ومرارة كأس الهجران، يقول[٤١]:

عاثَ الزمانُ بنا رغمًا ففرّقنا
يا للرجالِ لهذا العائثِ الجاني
ما كنتُ أحسبُ أنَّ الدهرَ يصدَعُنا
بالبعدِ حتّى سقانا بكأسِ غيرَ هجرانِ
أوّاهُ أوّاهُ من حرِّ الفراقِ وما
يبقي من الوجدِ في أحشاءِ ولهانِ

لا تنكروا جزعي لم يبق لي جلدٌ
على النوى فجهول الحب يلحاني
ولو رأى عاذلي من قد شغفت به
لباتَ يأمرُ فيما ظلَّ ينهاني

ويذكر الدكتور إبراهيم الفوزان من شعراء القرن الرابع عشر[١٢]: الشيخ محمد الطيب الأنصاري.. وهو من الوافدين على المدينة من المغرب، والشيخ فالح الظاهري، والشاعر محمد شويل، وعبد الحق رفاقت، والطيب الساسي المدني، وحسين برادة المدني.

وتبدأ المدينة المنورة تنفض عنها غبارًا تراكم في نهاية العصر العثماني، لتعود في ما سمّي بعصر البعث أو بداية النهضة لتلبس ثوبها الشعري القشيب، لقد مرَّ زمنٌ جدب، لكنَّ بقاع العقيق تعود لتمرع وتخصب، وتبدأ أصوات الشعراء تصدح في واديها المبارك.

ومن الشعراء في العصر الحديث أمدّت المدينة الشعر العربي بهامات شعراء كبار، فنجد الشاعر عبد الحق نقشبندي من مواليد المدينة عام ١٣٢١هـ"، وعبيد عبد الله مدني المولود بالمدينة سنة ١٣٢٤هـ، الذي يعدُّه عبد القدوس الأنصاري[١٣] (**أول من تعلّقت رغبته في التغيير، تغيير المنهج الأدبي القديم إلى شيءٍ جديد يعبِّر خير تعبير عن مباديء اليقظة والإصلاح، والتنظيم للحياة الاجتماعية والفكرية**) وعبد القدوس الأنصاري عرف شاعرًا، وله قصيدة جميلة يصف العقيق، فيقول[١٤]:

هذا العقيقُ وقد همى متبسِّمًا
طلقَ المحيّا شاديًا بسرورهِ
وتراهُ في لألائه متدفِّقا
ينسابُ بينَ سهولهِ ووعورِهِ
تتكسَّرُ الأمواجُ فوق صخوره
فتئنُ مِنْ تأثيرهِ وعبورِهِ
وتهبُّ من جنباتهِ نسماته
فتفوحُ عطرًا مُنعشًا بعبيرِهِ

ويترجم مؤلفا وحي الصحراء لعدد من شعراء المدينة المنورة، منهم[١٥]: أحمد العربي، وعبد القدوس الأنصاري وعبد الحق نقشبندي، وعلي حافظ، وعزيز ضياء، وعبد الحميد عنبر، والشاعر عبد الغني مأمون بري المولود في المدينة المنورة في حدود الخمسينات من القرن الهجري الماضي كما يذكر جامع ديوانه، والمتوفى في عام ١٣٨٤هـ وديوان الشاعر الذي بين يديَّ تحقيق وإعداد محمد رجب عيد وصادر عن نادي المدينة المنورة، وتظهر من خلاله مجموعة خصائص وسمات لهذا الديوان موضوعية وفنية، فالموضوعية تظهر من مشاركة الشاعر في أحداث وطنه، وأحداث الأمة، والفنية تظهر من خلال التزامه عمود الشعر، وتنوّع التناول الشعري التقليدي ما بين تشطير وتخميس، والتنقل بين أغراض الشعر المختلفة، وبحوره المتنوعة، والذي يهمنا هو شعره الذي يبين فيه عن شغفه وحبه للمدينة المنورة؛ حيث نجد عددًا من القصائد تنفح طيبًا في طيبة، والعنوان دليل، فديوان عنوانه " نفحات دار الهجرة " ليدل عن هذا الانتماء للمكان الذي هو الأم الرؤوم، كما يقول في قصيدة بعنوان " أُمّاه"[١٦]:

يا طيبةَ المختارِ أنتِ حبيبةٌ
أُمٌ رؤومٌ للذي يهواكِ

يـا أمُّ جسمي في الشـآم وإنـمـا

روحي تـرفُّ مع الصَّبا بـريـاكِ

يـا أمُّ هـل مـنْ عـودةٍ أحظى بها

لأمَـرِّغَ الخـدَّيْـنِ فـوقَ ثـراكِ

والشاعر عبد السلام هاشم حافظ، ولد بالمدينة المنورة عام ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٨م وتوفي عام ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. شاعر من الرواد، وقد أفاض معين شعره بعدد وافر من الدواوين الشعرية وصلت إلى خمسة عشر ديوانًا، هي على التوالي: مذبح الأشواق، وراهب الفكر، وصواريخ ضد الظلم والاستعمار، وأضواء ونغم، والفجر الراقص، وأغنيات الدم والسلام، وعودة الفيضان، وعبير الشرق، وسمراء، وترانيم الصباح، وكلمات حب إلى المدينة المنورة، ووحي وقلب وألحان، وأنوار ذهبية، والأربعون، ووقودها الناس والحجارة. ومن قصيدة له يتشوّق فيها للمدينة وهو مغترب عنها في مصر، يقول[١٧]:

داري ويا سرَّ الهوى الباقي وأوْطاني

يا طيبةَ النورِ يا روحي وَوِجْدانِ

الشوقُ! يا ما أمرَّ الشوقَ في كبدي

على مدينتنا والمسكنِ الحاني

عامٌ وأكثرهُ ولّى وزدْتُ جوىً

في مصرَ مغتربًا والشَّوقُ أضناني

والشاعر حسن مصطفى الصيرفي الذي ولد في المدينة المنورة عام ١٩١٨م، ويعد أحد أبرز شعراء المدينة المنورة، ومن أوائل رواد الحركة الشعرية في المملكة العربية السعودية، كما تصفه موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين بأنه من طلائع شعراء المدينة المنورة في العصر الحديث، وكان من مؤسسي أسرة الوادي المبارك إلى جانب عبد العزيز الربيع، ومحمد هاشم رشيد، والدكتور محمد عيد الخطراوي.

وعند تأسيس نادي المدينة الأدبي شغل الصيرفي منصب نائب الرئيس، ومن إنتاجه الشعري ديوان "شبابي"، و"دموع وكبرياء"، و"قلبي".وحسن الصيرفي هو من الشعراء البررة الذين لا يقوون على بعدهم عنها، فإذا حصل هذا البعد عبّدوا طريق عودتهم بزهور الشوق والتوق، يقول وقد مضّه الشوق إلى طيبة[١٨]:

أتـوقُ إلى أيامِ طيبةَ والنَّقا

وأيّامِ أُحدٍ والعقيقِ وقربانِ

وسلعٍ وجماءِ العقيقِ وأعظم

وحاجرِ السَّيحِ المُفضي لبُطحانِ

ومسجد طه والمواجهةِ التي

تُواجهُ منها قبرَ أفضلِ إنسانِ

والصيرفي لا يرى في المدينة المنورة مجرد مكانٍ يؤلف ويحب، بل هي صانعة الأمجاد، ومنبع الحضارة، وكاتبة التاريخ العظيم، وعلى الرغم من تأثُّره بقصيدة حافظ إبراهيم الرائعة ،(مصر تتحدث عن نفسها)، ومطلعها[١٩]:

وقف الخلق ينظرون جميعًا

كيف أبني قواعد المجد وحدي

لكنَّ هذا التأثُّر لم يجعل قصيدة (أمجاد المدينة) للصيرفي مجرد تقليد صرف، فقد اجتمع لها صدق المقول وصدق القائل، يقول الصيرفي:[٢٠]:

وقف النَّاسُ ينظرون مناري

كيف شَعَّ الهدى على كلِّ نجدِ

أنا دارُ الإيمانِ والمثلُ العُلا

يا ورمزُ الخلودِ في كلِّ مَجْدِ

أنا إن بَدَّدَ الزمانُ شُعاعي

لن ترى النورَ هذه الأرضُ بعدي

أنا خيرُ البقاعِ كرَّمني الله

بخيرِ الأنامِ في خيرِ لَحْدِ

أنا لا أملأُ البلادَ ضجيجًا

خادِعًا كالسَّرابِ ليس بمُجْدِ

أنا فيما مضى صنعتُ كثيرًا

وسيبني الجديدَ لا بُدَّ زَنْدي

في رحابي ترعرعَ العلمُ طفلا

ومشى حارسًا جحافلَ أُسْدِ

دَوَّخوا قيصرًا وطاحوا بكسرى

ومَضَوْا يتبعون هِندًا بِسِنْدِ

لم تَرِعهم جيوش (لذريق) لمَّا

جاوزوا البحر في طلائعَ جُرْدِ

ومن الشعراء المبدعين المعاصرين محمد هاشم رشيد المولود في المدينة المنورة، والعضو المؤسس في أسرة الوادي المبارك، وترأس نادي المدينة الأدبي، وله سبعة دواوين شعرية، صدرت عن نادي المدينة المنورة في مجلدين بعنوان "الأعمال الشعرية الكاملة" وفي دواوينه كلها نجد المدينة حاضرة حيث قصيدة "صدى الهجرة" و"هذه طيبة وهذا صداها" وفي بدر، وأصداء العقيق، وجبل أحد، ووادي العقيق، وعل ضفاف العقيق " وغيرها من القصائد المعبرة عن حبه وشوقه لمدينته المدينة المنورة.يقول(٥١):

في شاطئيك عرفتُ سرَّ وجودي

وقبستُ من ألقِ السماءِ نشيدي

يا شاطئَ الأنغامِ والأحلامِ والأفراح

يا سرَّ الهوى بقصيدي

كم قد وقفتُ على ضفافكَ والرُّؤى

في أضلعي مسحورةَ التغريدِ

ووددتُ لو أحيا بِلُجِّكَ موجةً

تنسابُ في الآبادِ دونَ قيودِ

ومن شعراء المدينة المعاصرين، ولد بها سنة ١٣٥٤هـ، وبها توفي هذا العام ١٤٢٢هـ، وعلاقة الشاعر بمدينته " المدينة المنورة " ليست فقط علاقة ارتباط بالمكان الذي نجده عند كثير من الشعراء، وإنَّما هو ارتباط الروح بالروح، وارتباط القلب بالقلب، والعقل بالعقل، فالمدينة تمثل أرواحنا الهائمة بعشقها، كما تمثل عواطفنا المتشوقة للقائها، وعقولنا الواثقة بعظمتها وقداستها.

والناظر في مؤلفات الخطراوي النثرية والشعرية يستبين هذه العلاقة الوثيقة بين العاشق والمعشوقة، تلك العلاقة التي لا تنفصم، ومن هنا ظهر له عدد غير يسير من المصنفات في جوانب التأليف والتحقيق والإبداع، يرتبط غالبها بالمدينة المنورة، كما حقَّق بعض الدواوين الشعرية لشعراء من المدينة، مثل ديوان محمد أمين الزللي، وديوان عمر إبراهيم البري، ودواوينه الشعرية وصلت إلى عشرة دواوين، كانت المدينة حاضرة في عدد من القصائد، بل خص المدينة بديوان تحت عنوان: " على أعتاب المحبوبة" وديوان آخر مرتبط بالمكان

هو ثرثرة على ضفاف العقيق، ومن جميل شعره في المدينة قوله[٥٢]:

وحسبي أن يقولَ رواةُ شعري
مدينيٌّ أتى شعرًا جميلا

تطاولَ قدرُهُ في الناسِ حتى
نفوا عنه المشابهَ والمثيلا

ومن تكن المدينةُ مُبتغاهُ
تفيَّأ ظلَّها وسما قبيلا

لقد أعطيتُها حُبِّي وعشقي
ورحتُ أَجُرُّ في النَّاسِ الذُّيولا

ومن شعراء المدينة الفياضين بالشعر كفيض ماء العقيق أسامة عبد الرحمن المولود في المدينة عام ١٣٦٢هـ الذي بلغت دواوينه زهاء عشرين ديوانًا، منها " واستوت على الجودي، وشمعة ظمأى، وغيض الماء، وغيرها، وكم له من وقفات في عرصات المدينة يتأملها، محبةً وإجلالًا، يقول في إحدى وقفاته على ضفاف العقيق[٥٣]:

قف بالعقيقِ وعرِّجْ في نواحيه
وَجُلْ بطرفكَ في أنحاءِ واديه

واخفضْ جبينَكَ إجلالًا لما حملتْ
مِنْ عاطرِ الذِّكْرِ والذكرى أراضيه

حيِّ العقيقَ فكم حيَّتْهُ أفئدةٌ
تذوقُ حُلْوَ الأماني إذْ تُحيِّيه

سيذكرُ الدهرُ ما أحياهُ مفخرةً
جليلةً وجميلُ الذِّكْرِ يكفيه

ومن الشعراء الذين لا يزال عطاؤهم ثرًّا أذكر خالد النعمان المولود في المدينة المنورة عام ١٣٦٤هـ ذلك الشاعر الذي جعل المدينة دنياه لا يرضى بديلًا عنها، بل هي بالنسبة له نهاية أفق الشمس، له مجموعات شعرية عديدة في طريق الطبع، زوّدني ببعض قصائده التي يفوح عبير الحب من جنباتها، فهو لا يسكن المدينة كما يقول بل هي تسكنه أيضًا ،فانظر كيف يكون الساكن مسكونًا والمسكونُ ساكنًا ؟ وتأمّل شوق الأحضان لا شوق البعد والغياب، هذا الحب العارم يتدفق أشواقًا ملتهبة في قوله من قصيدة (أسكنها وتسكنني)[٥٤]:

في حضنها وتضمُّني بحشاها
والشوقُ يُلهبُ خافقي بهواها

عجبًا لحالي بين حضن حبيبتي
وتلهفي يزداد في لقياها

أرأيتمو صَبًّا على مَرِّ المدى
صبًّا وإن جادتْ عليه لماها؟

هذي الحبيبةُ ما عشقتُ سواها
فاق العبيرَ غبارُها وثراها

إنْ هَبَّتْ النَّسماتُ من أردانها
أو قاعها وحرارها ورُبَاها

فالمسكُ يقصر لا يفوح كفوحها
طيبًا ولا عَرَفَ المثيلَ شذاها

ومن المبدعين الذين أطلقوا لسان المدينة شعرًا، الشاعر المتقن عبد المحسن حليّت، الذي لم يحل بيننا وبين المدينة بوساطة، بل يجعلها تباشرنا التعريف بنفسها؛ حيث تقف معلنةً بلسانها أنّها أستاذة المجد، وسيدة الدنيا، والشافية للأدواء، والمعشوقة التي هام بغرامها الملايين[٥٥]:

أنا (المدينةُ) مَنْ في الكون يجهلُني
ومَـنْ تَـراه درى عنّي وما شُغلا؟!
تتلمذَ المجدُ طفلًا عند مدرستي
حتى تخرّجَ منها عالمًا رَجُلا
فتحتُ قلبي لخير الخلق فاطبةً
فلم يفارقه يومًا منذ أنْ دَخلا
وصرتُ سيّدةَ الدُّنيا به شرفًا
واسمي لكلِّ حدودِ الأرضِ قد وَصَلا
ومسجدي كان.. بل ما زال أُمْنيةً
تحبو إليها قلوبٌ ضلّتِ السُّبُلا
فكلُّ مغتربٍ داويتُ غُربَتَهُ
مسحتُ دمعتَهُ.. حوّلْتُها جَذَلا
وفي هوايَ ملايينٌ تنامُ على
ذكري وتصحو على طيْفي إذا ارتحلا
تنافسوا في غرامي.. أرسلو كُتُبًا
وانفقوا عندها الرُّكبانَ والرُّسُلا
أنا المنورة الفيحاءُ ذا نسبي
إذا البدور رأتني أطرقتْ خَجَلا

ومن الشعراء الشباب الذين يتدفق عطاؤهم الشعري تدفّق ماء شبابهم، حسين العروي الذي يشكو لواعج الطفولة، ويستعيد ذكرياتها في مدينته الحبيبة، والدكتور ماهر الرحيلي الذي يرى سماء المدينة تمطر حبًّا وعشقًا وذكريات، والدكتور محمد الصفراني الهائم في حاراتها ونعناعها ، ويوسف الرحيلي الذي يرتاح إلى ظلّ نخيلها، وأبو الفرج عبد الرحيم عسيلان، وبشير سالم الصاعدي وله قصيدة بعنوان: (قبلات على جبين طيبة) ومروان المزيني، ونور الحق، ومجدي نضر خاشقجي الذي يتشوق في غربته إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، والقائمة تطول، وليعذرني الإخوة الشعراء الذين حاولت اللقاء بهم، وطلبت قصائدهم المرتبطة بموضوعي، وبعضهم لبّى، وبعضهم اعتذر وبعضهم لم أشرف بلقائه.

وتبقى المدينة المنورة على الزمان نبع الشعر الفياض، وملهمة الشعراء، والأترجة التي تنضح بعبير الشعر والشعور.إنّها المدينة آسرة القلوب، وعبق القول، ونشر الحديث. ويبقى فوحها وبوحها حديث الركبان إلى آخر الزمان.

الحواشي

(١) أشعار الشعراء الستة ١/ أبو الحجاج، يوسف ابن سليمان ابن عيسى الشنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم ١٩٠.

(٢) اللآلي في شرح أمالي القالي ١/١٧١ - ١٧٢ أبو علي القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

(٣) فحولة الشعراء ١٩ الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تحقيق المستشرق: ش. توري

قدم لها: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

(٤) فحولة الشعراء ص ١١- ١٢

(٥) طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٥٠ محمد بن سلّام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة.

(٦) البيان والتبيين ١/ ١٤ عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.

(٧) جمهرة أشعار العرب ١/٤٩٢: أبو زيد محمد ابن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي

محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٨) أمالي القالي ج٢ ق١ /١٩٨ - ١٩٩: أبو علي القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

(٩) الأغاني ١١/١٢ - ١٣: أبو الفرج الأصفهاني، طبعة بولاق ١٢٨٥هـ.

(١٠) الأغاني ٤/٢٣٠.

(١١) أمالي اليزيدي ١/٧٩: أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ - ١٩٢٨ م.

(١٢) العقد الفريد ٦/ ١٢٣: ابن عبد ربه الأندلسي دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

(١٣) جمهرة أشعار العرب ١/٩٨

(١٤) العقد الفريد ٦ /١٢٤.

(١٥) صحيح مسلم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه ٤/ ١٩٣٥: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(١٦) المعجم الكبير للطبراني ٤/٣٨: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي

مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

(١٧) المعجم الكبير للطبراني ٤/٣٨

(١٨) صحيح البخاري باب الشعر في المسجد ١/٩٨: محمد ابن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٩) المعجم الكبير للطبراني ٤/٣٨.

(٢٠) عيون الأخبار ٢/١٥٠: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية - بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.

(٢١) الأعلام ٨/٢٢: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

(٢٢) المحاسن والأضداد ١/٢٦٠: عمرو بن بحر أبو عثمان بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.

(٢٣) الشعر والشعراء ١/٤٩٧: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ط٢، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

(٢٤) العقد الفريد ٢/٦٦.

(٢٥) جمهرة أشعار العرب ١/٤٣٧.

(٢٦) سير أعلام النبلاء ٢/٥٢٤: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م.

(٢٧) الأعلام ٥/٢٠٥.

(٢٨) عيون الأخبار ١/٢٨٨.

(٢٩) وحي الصحراء ٤٩ صفحة من الأدب العصري في الحجاز، جمعه: محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله عمر بلخير، نشر مؤسسة تهامة، ط٢،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م جدة، المملكة العربية السعودية، ونص الأصمعي لم يوثقاه، وقد أورده ناصر الدين الأسد في كتابه مصادر الشعر الجاهلي٢٢٧.

(٣٠) مجلة العرب السنة ١١ ج٥،٦ ص ٤٢٤.

(٣١) الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ق١ ص ٤٨: د. عائض الردادي، ط٢،١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٣٢) ملامح الأدب في المدينة المنورة في العهد المملوكي مجلة مركز بحوث المدينة المنورة ص ٢٥ عدد.

(٣٣) تذكرة النبيه ٢/٢٥٧،للحسن بن عمر بن حبيب، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة ١٩٨٦م.

(٣٤) انظر الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ١/ ٦٠: د. إبراهيم الفوزان، مكتبة الخانجي ١٩٨١م.

(٣٥) ص ٣٣٧ من نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: محمد أمين بن فضل الله المحبي، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتب العلمية.

(٣٦) انظر السلافة ص ٢٥٧، ٢٦٨، ٤٠٠ سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني،

المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم.

(٣٧) ٢/ ٦٠ من المدائح النبوية: جمع يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.

(٣٨) انظر نفحة الريحانة ج٢ ص ١٠٤ – ١١٠ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: محمد أمين ابن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي وسلافة العصر ق١ من ص ١٤٩ – ١٧١.

(٣٩) الأدب الحجازي الحديث ١/١٥١ – ١٥٤.

(٤٠) أعلام من أرض النبوة ج١ ص ١٢٢: أنس يعقوب كتبي، دار البلاد، جدة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٤١) انظر الأدب الحجازي الحديث ١/ ١٦٤ وانظر الشعر الحديث في الحجاز ١٥٢ – ١٧٢.

(٤٢) أدبنا الحديث كيف نشأ ؟ وكيف تطور ص٨: عبد القدوس الأنصاري، إعداد ومراجعة عبد الرحمن الطيب الأنصاري، مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٤٣) ديوان الأنصاريات ص١٥: لعبد القدوس الأنصاري، دار الإنصاف، بيروت.

(٤٤) انظر تراجمهم في وحي الصحراء ص ١١٢،٢٤١، ٢٦٣، ٢٩١، ٢٠٣، ٢٧٥.

(٤٥) ص ٢٢٠ من وحي الصحراء جمعه: محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله عمر بلخير، نشر مؤسسة تهامة، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م، جدة، المملكة العربية السعودية.

(٤٦) شعراء من أرض عبقر ٢/ ١٩٠ – ١٩١: د. محمد العيد الخطراوي، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

(٤٧) ديوان شبابي ص٨٥.

(٤٨) ديوان حافظ إبراهيم، الجزء الثاني، بيروت، الناشر محمد أمين دمج، ١٩٦٩م، ص٨٩ – ٩١.

(٤٩) حسن مصطفى الصيرفي: ديوان (دموع وكبرياء)، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، د.ت.، ص٧ – ٩.

(٥٠) الأعمال الشعرية الكاملة: محمد هاشم رشيد، ص ٢٦٠ – ٢٦٢.

(٥١) على أعتاب المحبوبة ص١٢١: محمد العيد الخطراوي، نشر نادي المدينة المنورة الأدبي رقم ١٩١.

(٥٢) ديوان شمعة ظمأى ص ١٠٢: د. أسامة عبد الرحمن، تهامة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٥٣) قصائد مختارة عن المدينة المنورة د. ماجد إبراهيم العامري، الطبعة الأولى، مطبعة الصلاح، جدة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٧م، ص١٢١ – ١٢٢.

(٥٤) قصائد مرسلة بالبريد الإلكتروني أرسلها الشاعر ومحفوظة لديّ.

(٥٤)قصائد مختارة عن المدينة المنورة د. ماجد إبراهيم العامري، ص١٧٤ – ١٧٥.

مصادر ومراجع البحث

- الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد: د. إبراهيم الفوزان، مكتبة الخانجي ١٩٨١م.
- أدبنا الحديث كيف نشأ؟ وكيف تطور: عبد القدوس الأنصاري، إعداد ومراجعة عبد الرحمن الطيب الأنصاري، مطبوعات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- أشعار الشعراء الستة: أبو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي المعروف بالأعلم، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الآفاق الجديدة.
- أعلام من أرض النبوة: أنس يعقوب كتبي، دار البلاد، جدة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- الأعمال الشعرية الكاملة: محمد هاشم رشيد، من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، طبعة بولاق ١٢٨٥هـ.
- أمالي القالي: أبو علي القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد

عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م.

- أمالي اليزيدي: أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٢٩٧هـ - ١٩٢٨م.

- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ.

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه: للحسن بن عمر بن حبيب، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٦م.

- جمهرة أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

- ديوان الأنصاريات: لعبد القدوس الأنصاري، دار الإنصاف، بيروت.

- ديوان (دموع وكبرياء). لحسن صيرفي من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

- ديوان شبابي: لحسن صيرفي، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ١٤٢٤هـ.

- ديوان شمعة ظمأى: د. أسامة عبد الرحمن، تهامة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- ديوان على أعتاب المحبوبة: محمد العيد الخطراوي، نشر نادي المدينة المنورة الأدبي رقم ١٩١.

- ديوان نفحات دار الهجرة: عبد الغني مأمون برّي، تحقيق محمد رجب حميدو، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي، ط١ ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر: صدر الدين المدني، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسني الحسيني، المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد، الشهير بابن معصوم.

- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري؛ نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- شعراء من أرض عبقر: د. محمد العيد الخطراوي، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي.

- الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري: د. عائض الردادي، ط١٤١٢،٢هـ/١٩٩٢م.

- الشعر الحديث في الحجاز: عبد الرحيم أبو بكر، دار المريخ، الرياض.

- الشعر في المدينة المنورة بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر يورد الدكتور عاصم حمدان

- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ط٢، ١٢٧٧هـ/١٨٥٨م.

- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلّام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة.

- العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

- عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية -بيروت تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.

- فحولة الشعراء: الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، تحقيق المستشرق: ش. تورّي، قدم لها: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- قصائد مختارة عن المدينة المنورة د. ماجد إبراهيم العامري، الطبعة الأولى، مطبعة الصلاح، جدة، ١٤١٤هـ-١٩٩٧م.

- المحاسن والأضداد: عمرو بن بحر أبو عثمان بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٤٢٣هـ

- المدائح النبوية:

- المعجم الكبير للطبراني: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢.

- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: محمد أمين بن فضل الله المحبي، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتب العلمية.

- وحي الصحراء صفحة من الأدب العصري في الحجاز، جمعه: محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله عمر بلخير، نشر مؤسسة تهامة، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، جدة - المملكة العربية السعودية.

- مجلة العرب، السنة ١١، ج ٥،٦ ، أصدرها حمد الجاسر، الرياض.

- مجلة مركز بحوث المدينة المنورة بحث ملامح الأدب في المدينة المنورة في العهد المملوكي.

شاعرية المدينة المنورة

شِعرُ عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٥٨٧ هـ)

د. عبد الرازق عبد الحميد حويزي
كلية الآداب، جامعة الطائف

مقدمة:

عاشت أمتنا العربية عصرًا يعد من أزهى العصور التاريخية في المجالات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والإدارية، ازدهرت فيها الحياة بشتى جوانبها، ألا وهو العصر الأيوبي، وقد انعكس آثار هذا الازدهار على الحياة الأدبية بمختلف إبداعاتها شعرًا ونثرًا، فقد أنجب هذا العصر كوكبة من الشعراء الذين وقف بعضهم جنبًا إلى جنب مع الجيوش العربية آنذاك في مجابهة الصليبيين، يأتي في مقدمتهم: «ابن التعاويذي ت ٥٨٣ هـ"، و"أسامة ابن منقذ ت ٥٨٤ هـ"، و"التلعفري ت ٦٠٢"، و"ابن الساعاتي ت ٦٠٤ هـ"، و"ابن سناء الملك ت ٦٠٨ هـ"، و"فتيان الشاغوري ت ٦١٥ هـ"، و"ابن النبيه المصري ت ٦١٩"، و"ابن شمس الخلافة ت ٦٢٣ هـ"، و"شرف الدين الحلي ت ٦٢٧ هـ"، و"ابن المقرب العيوني ت ٦٢٩ هـ"، و"ابن عنين ت ٦٣٠ هـ" وغيرهم.

كما أنجب هذا العصر عددًا من الكتاب الذين سجلوا أسماءهم بأحرف من نور في تاريخ الأدب العربي؛ حيث جمعوا إلى جانب إبداعهم الشعري التعبير النثري والمشاركة في التأليف العلمي، يأتي في مقدمتهم: القاضي الفاضل ت ٥٩٦ هـ، المعروف بطريقته في التدبيج النثري، وديوان رسائله خير شاهد على هذا، ومنهم: ابن المستوفي الإربلي ت ٦٣٧ هـ"، والعماد الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ"، و"ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ".

ومن الأمور اللافتة للأنظار أن يطرأ على ساحة الإبداع الشعري رجال تربعوا على صهوة القيادة العربية، وتقلدوا مناصب الجهات التنفيذية، ألا وهم أمراء بني أيوب، فقد تعاني غير قليل منهم الممارسة الإبداعية، فمن الأمراء الشعراء من بني أيوب: "عز الدين فرخشاه ت ٥٧٨ هـ"[١]، وابنه "الملك الأمجد بهرام شاه ت ٦٢٨ هـ" صاحب بعلبك[٢]، وأخوه صاحب هذا المجموع الشعري، و"تاج الملوك بوري الأيوبي ت ٥٧٩ هـ"[٣]، و"داؤود ابن عيسى الأيوبي ت ٦٥٦ هـ" صاحب الكرك[٤].

وقد أفرد "العماد الأصفهاني" جزءًا من خريدته للشعراء الأمراء من بني أيوب، وليس ذلك فحسب، فقد جمع منهم النظم إلى جانب الإبداع النثري، كما هو ظاهر من التراث الشعري والنثري للملك "الناصر داؤود" صاحب الكرك، كما كان

لبعضهم مشاركة في العطاء العلمي، فأثرت لهم مؤلفات مثل صاحب حماة، وابن شاعرنا: "الملك المنصور محمد بن عمر الأيوبي ت ٦١٧ هـ" مؤلف كتاب: "إخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء" وغيره، ولولا ما حفظه "العماد الأصفهاني" في كتابه "خريدة القصر وجريدة العصر" من نماذج أدبية لما عرفنا أبعاد مكانتهم في تاريخ الأدب العربي، والإبداع الشعري[٥].

إن ضياع شطر كبير من التراث الشعري للدولة الأيوبية خصوصًا شعراء بني أيوب ليمثل حافزًا قويًا إلى الاهتمام بمواصلة البحث عن عطائهم الأدبي لدراسته وتقويمه واستشراف جمالياته.

وتأتي الصفحات الآتية ملبية لهذا الحافز باشتمالها على شعر "تقي الدين، عمر بن شاهنشاه الأيوبي" ابن أخي القائد "صلاح الدين الأيوبي ت ٥٨٩ هـ" بعد استخراجه وشرحه وتخريجه وتثبيت رواياته وضبط أوزانه وإثبات ما يلزمه من فهارس، وقد كان في الأصل منتقى شعره، انتقاه "أبو اليمن الكندي ت ٦١٢هـ"، وأدرجه العماد الأصفهاني في خريدته، وأنتهز هذه الفرصة لأهدي هذه الصفحات لروح أستاذنا الجليل الأستاذ الدكتور "شكري فيصل" داعيًا الله - عز وجل - أن يسبغ عليه شآبيب رحمته، وأن يسكنه فسيح جناته على عطائه العلمي، وعلى معاناته في تحقيق كتاب "خريدة القصر" المصدر الرئيس لشعر "ابن شاهنشاه الأيوبي".

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

د. عبد الرازق حويزي

الطائف في ٢٠١٣/١٢/٢٩م

عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٥٢٤ - ٥٨٧هـ)[٦]:

أحد ملوك الدولة الأيوبية الذين كان لهم الدور البارز في الحفاظ على أركان الدولة"، ذو السيف والقلم، والبأس والكرم... له العزم الماضي المضي، والخلق الراضي الأبي، يحل مشكلات الخطوب الحوادث بفكرته، ويحيل معضلات الصروف الكوارث بفطنته، ويساجل العظماء، ويجالس العلماء"[٧] بفضل ما كان له من آراء رشيدة، وقيادة حكيمة، وهو أحد رجالات الدولة الأيوبية الذين سهروا من أجل ترسيخ الهوية العربية، وتعميق شأنها في أفئدة وعقول الأمم الأخرى، ولد عام (٥٣٤ هـ)[٨]، وهو ابن أخي صلاح الدين الأيوبي، كان محبًا - كسائر ملوك بني أيوب - للعلم والعلماء، أكثر من مجالستهم والأخذ عنهم، وأثاب كثيرًا منهم، ونهض بأعمال بر، ومساع حميدة، خلدتها له كتب التاريخ، كان على رأسها الاهتمام ببناء دور العلم، وله اهتمام بالأدب، ولكن هذا الاهتمام يأتي في الدرجة الثانية بعد اهتمامه بأعباء الرعية، ومقاليد حكم الولايات التي أسندها إليه "صلاح الدين الأيوبي ت ٥٨٩ هـ"، فقد نظم الشعر - كما يقول العماد الأصفهاني - ارتجالًا على ما تمليه عليه مشاعره ليتغنى به، نظمه لنفسه، ولم يحترفه للآخرين تكسبًا، فهو في غنى عن هذا؛ لذا شغلته الأمور السياسية وحروبه ضد الفرنج عن معاودة النظر في شعره لتهذيبه، وتقويم منآده، فنهض بهذا العبء أحد العلماء والشعراء، وهو "أبو اليمن الكندي ت ٦١٢هـ" على ما سيتضح بعد ذلك.

وبحكم دوره السياسي المهم اهتمت به كتب التاريخ اهتمامًا ملحوظًا، وكان مبعث اهتمامها به مواقفه القيادية والحربية، ولغلبة الجانب السياسي عليه توارى الجانب الأدبي، وشحت المصادر التي أسفرت عن هذا الجانب، ولكثرة أخباره التاريخية تحاول السطور الآتية أن تعرف به في إيجاز شديد تاركة المجال لمن أراد التوسع في الوقوف على تفاصيل أخباره، وأطوار حياته إلى الرجوع إلى المصادر المشار إليها في الإحالة السابقة، وإلى ما

كتبه الدكتور الفاضل "رشيد عبد الله الجميلي" تحت عنوان: "تقي الدين عمر الأيوبي أمير حماة"[٩].

فصاحب هذا المجموع الشعري هو ابن الأمير نور الدولة (ت ٥٤٣ هـ)، شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان، ونور الدولة هذا أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، وشاعرنا أخو عز الدين فرخشاه، والملك الأمجد صاحب بعلبك، ولدي نور الدولة، ولهما مكانة في نظم الشعر، حفظتها لهما المصادر[١٠].

واسم شاعرنا "عمر"، ولقبه: "تقي الدين"، و"الملك المظفر"، وكنيته "أبو سعيد"، ويعرف بـ"صاحب حماة"[١١]، ولد بالفيوم[١٢]، وله فيها، وفي غيرها من البلاد المصرية وغير المصرية أفعال بر مشهورة[١٣]، منها أنه اشترى عام ٥٦٦ هـ منازل العز وبناها مدرسة للشافعية[١٤]. يقول "ابن خلكان": "[١٥] وله في أبواب البر كل حسنة، منها: مدرسة منازل العز التي بمصر، يقال: إنها كانت دار سكنه، فوقف عليها وقفًا كثيرًا، وجعلها مدرسة. وكانت الفيوم وبلادها إقطاعه، وله بها مدرستان: شافعية ومالكية، وعليهما وقفٌ جيد أيضًا، وبنى بمدينة الرها مدرسة لما كان صاحب البلاد الشرقية، وكان كثير الإحسان إلى العلماء والفقراء وأرباب الخير".

تلقى "تقي الدين" العلم على كبار علماء عصره، وفقهائه، فقد سمع بالإسكندرية من أبي طاهر السلفي، وأبي طاهر إسماعيل بن مكي وغيرهما[١٦]، وسمع عنه بعض العلماء، منهم: وسمع عنه جلدك ابن عبد الله المظفري بعض شعره[١٧]. ناب عن عمه الملك الناصر صلاح الدين بمصر مدة في غياباته[١٨]. وفي سنة ٥٨٢ هـ استدعاه من مصر إلى الشام فأقطعه حماة ومنبج والمعرة وكفر طاب وميافارقين وجبل جور بجميع أعمالها[١٩]. له مواقف في قتال الفِرَنج[٢٠]، وقد مدحه الأسعد بن مماتي بقوله[٢١]:

وافى سَحَرْ … طَيفٌ سَحَرْ
ثُمَّ نَفَرْ … (مِنَ الخَفَرْ)
فلا خَبَرْ … ولا أثَرْ
ولو صَبَرْ … نِلْتُ الوَطَرْ
فيا قَمَرْ … لِيلِي السَّقَرْ
طالَ السَّهَرْ … ولا سَمَرْ
إلا الفِكَرْ … فلم هَجَرْ
ولِمْ غَدَرْ … هلْ مِن قَدَرْ
يُنجي الحَذَرْ … شَيبي ظَهَرْ
لا مِن كِبَرْ … بل مِن خَطَرْ
ريمٌ خَطَرْ … ثُمَّ زَجَرْ
هلاّ اغتَفَرْ … لمّا اقتَدَرْ
(مثلَ عُمَرْ) … (ابنِ الظَّفَرْ)
(نِعْمَ الوَزَرْ) … (ليثٌ زَأرْ)
(بحرٌ زَخَرْ) … (إذا اختَصَرْ)
(أو اقتَصَرْ) … (أعطى البِدَرْ)
(مثلَ المَطَرْ) … (ثم اعتَذَرْ)
(ولو نَظَرْ) … (إلى الحَجَرْ)
(أبدى الزَّهَرْ) … (بلِ الثَّمَرْ)
(وإن شَعَرْ) … (قلتَ: الدُّرَرْ)
(وإن نَثَرْ) … (خلتَ الحِبَرْ)
(نَهَى أمَرْ) … (صَمَّمَ البَشَرْ)
(كفُّ الغِيَرْ) … (فكم أسَرْ)
(علْجًا كفَرْ) … (فلا مَقَرّ)
(إلاّ سَقَرْ) … (ذاتُ الشَّرَرْ)
(مَلِكٌ بَهَرْ) … (إذا اعتَكَرْ)
(ليلُ الغَرَرْ) … (أو انهَمَرْ)
(دمٌ همَرْ) … (سَناءً وسَرّ)
(نفعًا وضَرْ) … (خيرًا وشَرّ)
(كم اعتَبَرْ) … (منه النَّظَرْ)
(فَضلَ السِّيَرْ) … (إذا ظَهَرْ)
قالَ البَشَرْ … كم لِعُمَرْ

يومٌ أغرّ

مقالات

ويبدو أن أولاده قد سلكوا منهجه في الاهتمام بالجانب العلمي، فكان منهم الشاعر، وكان منهم العالم، فمن أولاده: سعد الدين شاهنشاه [٢٢]، ونور الدين شاهنشاه، وتقي الدين مصطفى، والملك المنصور ناصر الدين محمد [٢٣]، فقد وقفت على ابن له، يجيد نظم الشعر، أتى "ابن الشعار" على ترجمته، وأزجى نماذج من شعره، واسم هذا الشاعر: "عبد الرحيم بن عمر بن شاهنشاه" [٢٤]، أما ابنه محمد بن عمر، الملك المنصور (ت ٦١٧ هـ) صاحب حماة بعد والده، فقد كان له باع طويل في التأليف، وصلت إلينا بعض مؤلفاته، وهذا أثر من آثار اهتمامه البالغ بالجانب العلمي، فتروي المصادر أنه كان في خدمته مائتان من الفقهاء والعلماء والأدباء والنحاة والمشتغلين بالحكمة والمنجمين والكتاب، أخذ العلم عن "أبي طاهر السِّلَفي" بالإسكندرية، ألف كتبًا كثيرة، منها: كتاب في التاريخ مرتب على السنين [٢٥]، ومما وصل إلينا من نتاجه: كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق حققه ونشره بمصر حسن حبشي، وإخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء، حققه ونشره بالعراق ناظم رشيد ، وفي مكتبة لايبزك برقم (٦٠٦) مخطوط كتابه الموسوم بـ "درر الآداب ومحاسن ذوي الألباب"، ويوجد المخطوط في الرابط الآتي:

http://majles.alukah.net/t118543/

وقد اختلف العلماء في تحديد وفاته، فقيل: إنه توفي عام (٥٨٥ هـ) [٢٦]، وقيل: إنه توفي عام (٥٨٧ هـ) [٢٧]، وكما اختلفوا في تحديد العام اختلفوا أيضًا في تحديد اليوم من الشهر الذي أجمعوا عليه، فقال بعضهم: إنه توفي يوم ١٠ من رمضان، وقال ابن تغري بردي: إنه توفي يوم ١٠ من رمضان، وقال بعضهم: إنه توفي يوم ١٩ من الشهر نفسه، وفي وفاته يقول "أبو شامة ت ٦٦٥هـ": "[٢٨] وفيها - (أي في سنة ٥٨٧ هـ) - يوم الجمعة تاسع عشر رمضان كانت وفاة تقي الدين عمر ابن أخي السلطان وهو على محاصرة منازكرد وكان - كما تقدم - قد توجه إلى بلاده التي زاده إياها السلطان وراء الفرات فامتدت عينه إلى بلاد غيره واستولى على السويداء وعلى مدينة حاني وعزم على قصد خلاط وكسر صاحبها سيف الدين بكتمر وتملك معظم تلك البلاد ثم أناخ على مناز كرد يحاصرها ومعه عساكر كثيرة فأناخت بجسده المنية بسبب مرض اعتراه وزاد إلى أن بلغ منه المراد وأخفى ولده الملك المنصور وفاته ورحل عن البلد المحصور وفاته وعاد به إلى البلاد التي في يده وعجب الناس من حزمه وعزمه وثباته وجلده".

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فإنه يمكن الاطمئنان إلى أنه توفي في شهر رمضان عام (٥٨٧ هـ)، [٢٩] بعد انتصاره على سيف الدين بكتمر صاحب خلاط بيومين بعد مرض أصابه [٣٠]، ونقل إلى حماة ودفن فيها [٣١].

ديوانه ومكانته الشعرية:

كان لعمر بن شاهنشاه ديوانه شعر، أتى "العماد الأصفهاني ت ٥٧٩ هـ" على ذكره، وقال: إنه لم ينقح، فعكف عليه "أبو اليمن الكندي ت ٦١٣هـ"، واختار منه أروع ما فيه، وأعمل قلم التهذيب وملكة التنقيح، ويد التنسيق فيما وقع عليه اختياره، ثم قدمه لصاحب هذا الديوان رغبة في التقرب إليه، وقد وقع "العماد الأصفهاني" على هذا الاختيار، فأورده في كتابه خريدة القصر، فجاء مرتبًا وفق القوافي على حروف المعجم، قال العماد مشيرًا إلى هذا في ترجمة للشاعر [٣٢]: " ولكثرة امتزاجه بهم نظم الشعر طبعًا، ولم يميزه خفضًا ونصبًا ورفعًا، فأراد تاج الدين الكندي أن يتقرب إليه

بتهذيبه فانتقى منه مئتي بيت على حروف المعجم وترتيبه"، وقد لفت هذه الاختيارات نظري منذ بضع سنين، أثناء جمعي لشعر "ابن شمس الخلافة ت ٦٢٢ هـ"، وذلك بتصفحي كتاب خريدة القصر وجريدة العصر، الذي أوقفني على هذه الاختيارات النادرة التي لم أعرف أحدًا اعتنى بها في ديوان مستقل، وربما يكون هناك من اعتنى بها دون علمي.

وظل ما أورده "العماد الأصفهاني" مرجعًا رئيسًا لمن أتى بعده، فكررت نصوص غير قليلة في المصادر المتأخرة، أفادت في تخريج الشعر وتوثيقه، وتثبيت رواياته، ولا أخفي سرًّا أن الشك تسرب إلى نفسي في بداية الأمر من نسبة هذا الشعر للشاعر، بيد أن هذا الشك تبدد عندما وجدت بعض المصادر وقد انفردت بالقليل جدًّا من النصوص، وبوجود دلائل أخرى منها: أن الشاعر أنشد المقطعة الآتية[٢٢]:

١- إن خاضَ قلبٌ بشطِّ حُبِّكُمُ
فإنَّ قلبي الغريقُ في اللُّجَجِ

٢- قلبي جَنى قَتْلَه بغُرَّتِه
فما على قاتِليه مِنْ حَرَجِ

للعماد الأصفهاني.

ومنها: كتابته الشاعر النتفة الآتية إلى "محمد ابن أسامة بن منقذ"

نَزَلَ الشَّيْبُ بي وقلبي يَقْلا
هُ وَعَيْنَيَّ تَوَدُّ ألاَّ تَراهُ

ثُمَّ أصبحتُ خائفًا مِنْ فِراقِ الشْـ
ـشَيْبِ أبكي أنْ لا يَحِلَّ سِواهُ

ومعروف أن أسامة بن منقذ هذا توفي عام (٥٨٤ هـ)، أي أن الشاعر كان معاصرًا لمحمد.

ومنها: ذكر الشاعر اسمه في النتف والمقطعات ذوات الأرقام: (٨، ٢٧، ٣٩، ٤٠).

أما عن مكانة الشاعر الشعرية وطبيعة هذا المجموع الشعري فقد أفصح عنهما "العماد الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ" و"أبو اليمن الكندي ت ٦١٣هـ" في شيء من المبالغة، قال الثاني منهما في مقدمة ما اختاره من شعره: "جمعت من شعر المولى تقي الدين ما عذب لفظه وراق معناه، وأخذ من الجزالة بطرف، وتمسك من الرقة بأهداب، فجرى من القلوب والأذهان، مجرى الدم في الأبدان، يلج الآذان، بلا استئذان؛ هذا على أنه غير معنيٍّ بقول الشعر عنايةَ شاعر، بل هو فيض القريحة والخاطر، وما أشبهه إلا بسيف الدولة ابن حمدان وابن عمه، أو عضد الدولة ابن بويه وأقاربه، فإن هؤلاء الملوك كانوا على ما خصوا به من علو الشان، وأوتوه من سعة الملك والسلطان، يتفرغون للكتب، ويتشاغلون بالأدب، ويؤثرون مجالسة العلماء، على منادمة الأمراء، ويقولون الأبيات، فيما يعرض لهم من الحالات، ويتفق لهم من التشبيهات. ومثل هذا المعشر كان سبب قوله الشعر، فإنه لما استكثر من مجالسه الفضلاء، واستأثر بمعاشرة الأدباء وصلت إلى سوق رغبته من معادن المحاسن لطائف الطرف، وخدم من جواهر الخواطر بطوائف التحف، أحب أن يكشف لهم قناع الكتمان عن وجه المساهمة في الفضائل المتقرب بها إليه، وينخرط معهم في سلك المشاركة في نتائج القرائح المزلفة لديه، فجرى في هذا المضمار برهةً حلت مجانيها لجانيها، ولذت معانيها لمعانيها، ثم شغلته شؤون العلياء، بما عني به من إصلاح الدهماء، فترفع عن قول الشعر طبعه، ولم ينب عن استعذاب شربه

فكره ولا سمعه، ولا كسدت بحمد الله لديه للفضائل سوقٌ، ولا ازدحمت على غير فنائه للرجاء سوقٌ. وهذه الملح تصلح أن تكون للحمام أطواقًا، وللبزاة الشهب صدورًا، وللطواويس أهلة جلوةٍ، وللظباء الغيد سوالف، وللعذارى الحسان نهودًا، وللحدق الملاح غمزاتٍ".

وقال الأول:"[٢٤] أي قدرٍ لنهود الخرائد وعقود الفرائد مع هذه القلائد والفوائد ؟ أين در الأصداف من غرر الأوصاف ؟ وأين نوار الحدائق من أنوار الأحداق ؟ وأين صدور الشهب من شهب الصدور؟ وأين جلوة الطاووس من خلوة العروس؟ وأين مطوق الحمام من ذوق الغرام ؟ وأين السمك من السماك؟... قد كلل التاج تاج فضله بهذه الجواهر الزواهر، وسجل بإثبات نتائج خاطر هذا الملك الخطير أنه لا خطر لخواطر المعاني بالخواطر"، وقال أيضًا عنه وعن شعره:"[٢٥] هذا هو السحر الحلال لا كذب، والبحر الزلال الذي عذُب، والقهوة المباحة، والروح الذي بقربه الروح والراحة، يضن بديوانه، ترفعًا عن شانه، فالشعراء من خدامه، والفضلاء من فواضله وانعامه".

شعر عمر بن شاهنشاه الأيوبي

[قافية الألف المقصورة]

(١)

وقال: [من الطّويل]

١- حَلَفْتُ بما يَحْوي منَ الدِّعْصِ مِرْطُها
وَبالغُصْنِ غُصْنِ القَدِّ منها إذا انْثَنى

٢- لقَدْ قَدَّ قَلْبي قَدُّها وَلِحاظُها
فَلا تَطْلُبوها بي فَطَرْفي الّذي جَنى

الشرح: (١) الدِّعْص: قِطْعَةٌ مِنَ الرَّمْلِ مُسْتَدِيرَةٌ. تاج العروس ١٧/ ٥٨٠

(٢) قَدَّ: قطع. والقَدُّ: القوام. تاج العروس ٩/ ١١، ١٢.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١٠.

(٢)

وقال: [من الخفيف]

١- أَتُراني مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ أَهْوى
أَهْيَفًا فاتِرَ اللَّواحِظِ أَحْوى

٢- لا وَمَنْ سَلَّطَ الغَرامَ عَلى قَلْـ
ـبِ مُحِبّيكَ: لا سَلَوْتَ فَأَهْوى

الشرح: (١) أحوى: من الحُوَّةُ: سُمْرَةٌ في الشَّفَةِ. تاج العروس ٢٧/ ٤٩٧.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١١.

[قافية الهمزة]

(٣)

وقال من قصيدة في مدح عمه "صلاح الدين الأيوبي": [من الكامل]

١- دَعْ مُهْجَةَ المُشْتاقِ مَعْ أَهْوائِها
يا لائمي ما أَنْتَ مِنْ نُصَحائِها

منها:

٢- مَنْ مُخْبِرٌ عَنّي "نَضيرَةَ" أَنَّني
أَزْجَيْتُ عِيسَ الشَّوْقِ نَحْوَ لِقائِها

٣- لله لَيْلَتُنا وَقَدْ طَلَعَتْ لَنا
وَضّاحَةً كَالْبَدْرِ بَيْنَ نِسائِها

٤- جاءَتْ بِكَأْسٍ مِنْ شَهِيِّ رُضابِها
تُزْري بِلَذَّتِها عَلى صَهْبائِها

ومنها:

٥- أَفْنَيْتُ نَفْسي حَسْرَةً وَتَلَدُّدًا

فيمَنْ تَزايَدَ بي أَليمُ جَفائها

ومن مديحها:

٦- جاءَتْكَ أَرْضُ القُدْسِ تَخْطُبُ ناكِحًا

يا كُفْأَها ما العُذْرُ عَنْ عَذارئها

٧- زُفَّتْ إِلَيْكَ عَروسَ خِدْرٍ تُجْتَلى

ما بَيْنَ أَعْبُدِها وبَيْنَ إِمائها

٨- إيهٍ صَلاحَ الدِّينِ خُذْها غادَةً

بِكْرًا مُلوكُ الأَرْضِ مِنْ رُقَبائها

٩- كَمْ خاطِبٍ لِجَمالِها قَدْ رَدَّهُ

عَنْ نَيْلِها أَنْ لَيْسَ مِنْ أَكْفائها

الرواية: (٦) ورد البيت السادس في مفرج الكروب، وكنز الدرر برواية: "من عذرائها".

(٧) وورد البيت السابع في الوافي بالوفيات برواية: "زفت عليك"، وورد في كنز الدرر برواية: "خدر تنجلي".

(٨) وورد البيت الثامن في مفرج الكروب برواية: "من رفقائها"، وورد في كنز الدرر برواية: "إيه فخذها عاتق بكر فقد * أضحت..."

(٩) وورد البيت التاسع في مفرج الكروب، وكنز الدرر برواية: "كم طالب".

الشرح: (٢) العيس: الإبلُ البيضُ يُخالِطُ بَياضَها شيءٌ من شُقْرةٍ. تاج العروس ١١/٢٩٧.

(٥) تلدَّد: تلفَّتَ يمينًا ويسارًا تحيُّرًا. تاج العروس ٩/١٢٧.

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٥ - ٨٦.

وإخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء ٢٥٦ - ٢٥٧ ما عدا البيت الخامس.

والأبيات ١، ٦ - ٩ في مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢/٢٣٦ - ٢٣٧.

والأبيات ٦ - ٩ في الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٨٥.

والأبيات ١، ٦ - ٩ في كنز الدرر وجامع الغرر ٧/٩١ .

[قافية الباء]

(٤)

وقال: [من السَّريع]

١- قَدْ فازَ مَنْ أَصْبَحَ يا هذهِ

وَذَنْبُهُ وَصْلُكِ يَوْمَ الحِسابْ

٢- كَأَنَّكِ الجَنَّةُ مَنْ حَلَّها

نالَ أَمانًا مِنْ أَليمِ العَذابْ

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٧. والوافي بالوفيات ٢٢/٤٨٧.

(٥)

وقال: [من المديد]

١- اسْقِني راحًا أُريحُ بِها

مُهْجَتي مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ

٢- نَشَأَتْ في حِجْرِ دَسْكَرَةٍ

وَغَذَتْها دِرَّةُ السُّحُبِ

الشرح: (٢) الدَّسْكَرَة: بِنَاءٌ كالقَصْرِ حَوْلَه

بيُوتٌ وَمنازِلٌ للخَدَم والحَشَم. تاج العروس ١١/٢٩٣، ودِرَّةُ السُّحُبِ: كثرة أمطارها. تاج العروس ١١/٢٨١.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٦.

(٦)

وقال: [من الطَّويل]

١- ذَخَرْتُكُمْ لي عُدَّةً عادَ كَيْدُها
عَلَيَّ فكانَتْ لي أشَدَّ مُصابِ

٢- ظَنَنْتُ بِكُمْ ظَنَّ الفَتى بِشَبابِهِ
فَخُنْتُمْ كما خانَ الحَبيبَ شَبابي

٣- ومِنْتُمْ فمِلْتُمْ نَحْوَ غَيْري تَعَمُّدًا
فَحُبُّكُمْ شَهْدٌ يُدافُ بِصابِ

٤- أُعاتِبُكُمْ كَيْ أشْتَفي بِعِتابِكُمْ
وماذا عَسى يُجْديه فَضْلُ عِتابِ

الشرح: (٣) مِنتم: كذبتم، ويُداف: يخلط، والصاب: ضَربٌ مِن الشَّجر المُرِّ. تاج العروس ٣٦/١٤١، ٢٢/٢١٠، ٢٨/٢٩٩.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٧.

(٧)

وقال: [من الطَّويل]

١- يُعاتِبُني قَوْمٌ يَعِزُّ عَلَيْهِمُ
مَسيرِيَ: ما هذا السُّرى في السَّباسِبِ؟

٢- فَقُلْتُ لَهُمْ: كُفُّوا فَمَا وَكَفَتْ لَكُمْ
جُفونٌ وَلا ذُقْتُمْ فِراقَ الحَبائِبِ

الشرح: (١) السُّرَى: السير بالليل، وسباسب: جمع سَبْسَب: وهي المَفازَةُ والقَفْرُ أو الأرْضُ المُسْتَوِيَةُ البَعِيدَةُ. تاج العروس ٣٨/٢٦١، ٣/٤٠.

(٢) وكفت: سالت. تاج العروس ٢٤/٤٨٠.

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٧. والوافي بالوفيات ٢٢/٤٨٦. ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢/٢٣٧.

(٨)

وقال: [من الطَّويل]

١- ضَلالٌ لِهذا الدَّهْرِ كَمْ زادَ ناقِصًا
وَكَمْ نابَ سَمْعي فيهِ لَفْظُ مُؤَنِّبِ

٢- وَلا بُدَّ لي مِنْ وَقْفَةٍ عُمَرِيَّةٍ
بِقَلْبٍ شَديدِ الأسْرِ غَيْرِ مُقَلَّبِ

٣- تَرى رَجُلًا لا كالرِّجالِ بِسَيْفِهِ
يُطَهِّرُ وَجْهَ الأرْضِ مِنْ كُلِّ مُذْنِبِ

الشرح: في قول الشاعر: "عمرية" تورية، فالمعنى القريب يكمن في مواقف عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه –، والمعنى البعيد المقصود يكمن في وقفة الشاعر نفسه؛ حيث إن اسمه "عمر".

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٨.

(٩)

وقال: [من الطَّويل]

وَلا ذَنْبَ لي إلّا مَحَبَّةُ مِثْلِهِمْ
وَلَوْ أنْصَفوني لَمْ يَكُنْ حُبُّهُمْ ذَنْبي

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٨.

شعر عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٥٨٧ هـ)

(١٠)

وقال: [من المنسرح]

١- هَاتِ اسْقِني قَهْوَةً مُشَعْشَعَةً
فِي كَأْسِهَا ذَائِبٌ مِنَ الذَّهَبِ

٢- إنْ نَاسَبُوها كَيْمَا تُجِيبَهُمُ
قَالَتْ: سَلُوا آدَمًا عَنِ النَّسَبِ

الشرح: (١) مشعشة: من شَعْشَعَ الشيءَ: خَلَطَ بَعْضَه ببَعْضٍ، والمُشَعْشَعَة: الخَمرُ التي أُرِقَّ مَزْجُها. تاج العروس ٢١/ ٢٧٧.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٨.

(١١)

وقال: [من الطَّويل]

١- ولَمَّا رأيتُ الشيبَ لَمَّ بلِمَّتي
رَفَضْتُ التَّصَابي وانتَهَرتُ شَبَابي

٢- وقُلْتُ له: أقصِرْ فقد قَصُرَ المنى
وحَالَ بِعَهْدِي زَيْنَبٌ ورَبَابي

الشرح: زينب والرباب: من أسماء النساء المشهورة في غزل عدد من الشعراء.

التخريج: مخطوط البدر السافر في أنس المسافر ج ٢، الورقة ٤٢.

(١٢)

وقال: [من البسيط]

١- قَلْبي وَإنْ عَذَّبُوهُ لَيسَ يَنْقَلِبُ
عَنْ حُبِّ قَوْمٍ مَتى ما عَذَّبوا عَذُبُوا

٢- راضٍ إذا سَخِطوا دانٍ إذا شَحَطوا
هُمُ المُنَى لِيَ إنْ شَطُّوا وإنْ قَرُبوا

الشرح: (٢) شحطوا: بعُدوا. تاج العروس ١٩/ ٢٩٨.

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٧ - ٨٨، والوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٨٧.

[قافية التَّاء]

(١٣)

وقال: [من الطَّويل]

أُسَالِمُ دَهْرِي مَا حَيِيتُ وَإنْ غَدا
يُحارِبُني في خُلَّتي وَأَخِلَّتي

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٩.

[قافية الثَّاء]

(١٤)

وقال: [من البسيط]

١- مَنْ لي بِأَسْمَرَ مَحْجوبٍ بِأَسْمَرِهِ
وفي اللَّواحِظِ مِنْهُ السِّحْرُ مَنْفوثُ

٢- الحُسن مَا اشْتُقَّ إلاَّ مِنْ مَحاسِنِهِ
وَفِعْلُهُ في الهَوى بِالقُبْحِ مَبْثوثُ

٣- إنْ كانَ يوسُفُ نَصَّ الحُسْنِ في أَحَدٍ
فَحُسْنُهُ مِنْهُ دُونَ الخَلْقِ مَوْرُوثُ

الشرح: (١) مَنْفوثٌ: من النَّفْث: وهو شِبْهُ النَّفْخ يكون في الرُّقْيَة ولا رِيقَ معه، فإن كان معه رِيقٌ فهو التَّفْل. تاج العروس ٥/ ٣٧٢.

(٣) نَصُّ الحسن: أي منتهاه. تاج العرس ١٨/ ١٨٠.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر:

بداية قسم شعراء الشام ٨٩.

(١٥)

وقال من قطعة أولها: [من الوافر]

لِمَنْ دِمَنٌ بأعْلى الخَيفِ شُعْثُ

منها:

١- إذا حَثُّوا مَطايـاهُمْ لِبَيْـنٍ
فَسـائِقُها لأَحْشـائي يَحُـثُّ

ومنها:

٢- فَتيلُكُم وَحَقُّ الوَصْلِ صالِ
جَحيمَ الهَجرِ فَابْكوهُ ورَثُّوا

٣- جَديدًا كانَ حَبْلُ الوَصْلِ دَهْرًا
فَمُذْ هَجَرُوا فَحَبْلُ الصَّبْرِ رَثُّ

٤- فُؤادُ الصَّبِّ في الهِجْرانِ مَيْتٌ
ووَصْلُكُمُ لهُ نَشْرٌ وبَعْثُ

الشرح: الخَيْفُ: مَا انْحَدَرَ عن غِلَظِ الْجَبَلِ، وارْتَفَعَ عن مَسِيلِ الْمَاءِ ... ومنه سُمِّيَ مَسْجِدُ الخَيْفِ بمِنًى، وكُلُّ هُبُوطٍ وارْتِفَاءٍ في سَفْحِ جَبَلٍ: خَيْفٌ. تاج العروس ٢٣/٢٩٥.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٩ - ٩٠.

[قافية الجيم]

(١٦)

وقال: [من المنسرح]

١- إن خاضَ قَلْبٌ بِشَطِّ حُبِّكُمُ
فإنَّ قلبي الغَريقُ في اللُّجَجِ

٢- قلبي جَنى قَتْلَهُ بِغِرَّتِهِ
فما على قاتِليهِ مِنْ حَرَجِ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٠.

[قافية الحاء]

(١٧)

وقال: [من السَّريع]

١- قد صاحَ حادي عيسِهِمْ بالنَّوى
فَصَمَّ سَمْعي حينَ نادَى وَصاحْ

٢- صافَحْتُهُ والقَلْبُ في أسْرِهِ
فَسَلَّ باللَّحْظِ عَلَيَّ الصِّفاحْ

٣- وَقالَ لي: أنتَ قتيلُ الهوى
قلتُ: كَذا أَثْخَنْتَني بالجِراحْ

الشرح: (١) العيس: الإِبِلُ البِيضُ يُخَالِطُ بَيَاضَها شيءٌ من شُقْرةٍ. تاج العروس ١١/٢٩٧.

(٢) الصِّفاح: السيوف. تاج العروس ٦/٥٤١.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩١.

(١٨)

وقال: [من الوافر]

١- وَهَبْتُ جِنايةَ الفعلِ القَبيحِ
لأَجْلِ شَفاعةِ الوَجْهِ المَليحِ

منها:

٢- تقولُ: إلى مَتى بالصَّدِّ تُغْرى
وهَجْري دائمًا يا رُوحَ رُوحي ؟

٣- فقلتُ: نعم قبيحُكِ صَدَّ قلبي
فقلتُ لمهجتي: يا رُوحَ رُوحي

الشرح: كلمة روحي في البيت الثاني اسم،

مقصود بها مهجة الإنسان، وهي في البيت الثالث فعل أمر لروحه بأن تخرج وتفارق جسده.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩١.

(١٩)

وقال: [من الكامل]

١- إنّي لأكْتُم لَوْعَتي وأظنُّه
يَوْمَ التَّفَرُّقِ بالمَدامعِ فاضِحِي

٢- لا تَجْحَمُوا في هَجْرِكُمْ فلَرُبَّما
خُشِيَ العِثارُ عَلَى الحِصانِ الجامِحِ

٣- كَمْ عَنَّفُوني في هَواكُمْ مَرَّةً
فأبَى فُؤادي أن يُصيخَ لِناصِحِ

ومنها:

٤- جَنَحُوا إلى سِلْمِ الوِصالِ أهِلَّةً
هالاتُها يومَ الوَداعِ جَوانِحي

ومنها:

٥- أمُبَرِّحي ما شئتَ كن بي فاعِلا
مَنْ حَلَّ في قلبي فليس ببارِحِ

الشرح: (٣) يصيخ: ينصت. تاج العروس ٢٩٥/٧.

(٤) أهِلَّة: جمع هِلال، ويقصدُ الشّاعرُ شهورًا مضبوطة ببزوغ الهلال في أول كلّ شهر. تاج العروس ١٤٦/٣١، وقد تأثر الشاعر في هذا البيت بقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة: الآية رقم (١٨٩)، وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ سورة الأنفال، الآية رقم (٦١)

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩١- ٩٢.

والبيتان: ١، ٢ في مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢٣٧/٢.

[قافية الخاء]

(٢٠)

وقال: [من الطَّويل]

١- لنا منكُمُ غَدْرٌ ومنّا لكم وَفا
وما ذاكَ إلا أنَّ حُبِّيَ راسِخُ

٢- فلا تحسَبوا أنّي تغيَّرتُ بعدَكُمْ
ولا أنَّني عَقْدَ المودَّةِ فاسِخُ

٣- فيا لائمي فيمنْ أحِبُّ جَهالَةً
رُوَيْدَكَ لا أسْلُو وفي الأرْضِ نافِخُ

الشرح: (٣) نافخ: يقصد الشاعر به نفسه، والمعنى كفَّ عني لومك يا لائمي؛ لأنني لن أنسى محبوبي طالما في جسدي حياة ونَفَس.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٢.

[قافية الدال]

(٢١)

وقال: [من مجزوء الكامل]

١- إنْ كُنتَ واحِدَ ذا الجَما
لِ فإنَّني في الحُزْنِ واحِدْ

٢- كُـلٌّ يَـبـوحُ بِـحُـبِّـهِ
وأنـا كَـتـومُ الْـحُـبِّ جـاحِـدْ (٢)

الرواية: (١) ورد البيت الأول في مفرج الكروب برواية: "واحده".

(٢) وورد البيت الثاني في مفرج الكروب برواية: "جاحده".

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٥. ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢/٢٣٧.

(٢٢)

وقال: [من الكامل]

١- كمْ بالْكَثيبِ الْفَرْدِ لي مِن أهْيَفٍ
بِـعَـذابِ قلبي الْمُسْتَهامِ تَـفَرَّدا

٢- جَمَعَ الملاحَةَ والْخيانَةَ في الهوى
وَجَـمَـعْـتُ فـيـه تَـحَـرُّفًا وتَجلُّدَا

الشرح: (١) الكَثِيبُ: هو التَّلُّ المُسْتَطِيلُ المُحْدَوْدِبُ من الرَّمْل. وقيل: الكَثِيبُ من الرَّمْل: القِطْعَةُ تَنقادُ مُحْدَوْدِبَةً. وقيل: هو ما اجتمع واحْدَوْدَبَ. والأهيف: ضامِرُ البَطْنِ، رقيق الخاصِرَةِ. تاج العروس ٤/١٠٨، ٢٤/٥٠٣.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٥.

(٢٣)

وقال: [من البسيط]

١- أرى الشَّبيبَةَ زارَتْني عَلَى وَجَلٍ
ثم انثَنَتْ وأتاني الشَّيْبُ مُتَّئِدا

منها:

٢- كم زارَنا في سَوادِ اللَّيْلِ غانيَةً
وراعَهُنَّ بَياضُ الصُّبْحِ حينَ بَدا

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٤ – ٩٥.

(٢٤)

وقال: [من الكامل]

١- مَلَكْتُها رِقِّي وَقَدْ عَلِمَتْ
أنِّي أسيرُ الخَدِّ والقَدِّ

٢- فَلأجْلِ ذا مالَتْ وما عَطَفَتْ
يومًا عَلَى المأسورِ بالقِدِّ

الشرح: القَدُّ في البيت الأول: القوام. والقِدُّ في البيت الثاني: السَّيْرُ الذي يُقَدُّ من جِلْد غيرِ مَدْبُوغٍ غير فَطِيرٍ فيُخْصَف به النِّعالُ، وتُشَدُّ به الأقتابُ والمَحامِلُ تاج العروس ٩/١٣.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٢ – ٩٣.

(٢٥)

وقال من قطعة: [من مجزوء الكامل]

١- أوَمـا تَـرَى صَـبًّا صَحيـ
ـحَ الودِّ مُعْتَلَّ الفُؤادِ

٢- هَجَرَ الْهُجوعَ كأنَّ بَيْـ
ـنَ ضُلوعِه شَوْكَ القَتادِ

٣- وغَدا الفُؤادُ مُقَسَّمًا
بِصُدودِه في كُلِّ وادِ

٤- فارْحَمْ فَدَيتُكَ مُهجةَ الْـ
ـعَبْدِ المُعَذَّبِ بالبِعادِ

شعر عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٥٨٧ هـ)

الشرح: الهجوع: النوم، والقتاد: شجر ذو شوك. تاج العروس ٢٢/ ٣٨٤، ٩/ ٥.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٣.

(٢٦)

وقال: [من البسيط]

١-ما كانَ تَركي وصدّي عن زيارتكمْ
إلاّ لقُبْحِ فِعالٍ منكمُ بادِ

٢-كَمْ ذا التَّجنّي وقد جاد الزمانُ بكمْ
كأنكمْ ساءَكُمْ وَصْلي وإسعادي

٣- أَحْبَبْتُكمْ ثم أَحْبَبْتُم سِوايَ فيا
للهِ مِن جائرٍ في حُكمِهِ عادِ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٣ - ٩٤.

(٢٧)

وقال من قصيدة: [من الطّويل]

١- حَفِظْنا عُهودَ الغانياتِ ولم يكنْ
لهنَّ على طولِ الزَّمانِ عُهودُ

منها:

٢- دِمَشْقُ سَقاكِ اللهُ صَوْبَ غمامَةٍ
فما غائبٌ عنها لَدَيَّ رَشيدُ

٣- عَسى مُسْعِدٌ لي أن أَبيتَ بأرْضِها
ألا إنَّني لَوْ صَحَّ لي لَسَعيدُ

الرواية: (٣) ورد البيت الثالث في الدارس في تاريخ المدارس برواية: "فز بسعد".

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٥. والدارس في تاريخ المدارس ١/ ١٦٤.

(٢٨)

وقال: [من الكامل]

١- يا مالِكًا رِقّي بِرِقَّةِ خَدِّهِ
ومُعَذِّبي دُونَ الأنامِ بِصَدِّهِ

٢- ومُكَذِّبي وأنا الصَّدوق وهاجري
وأنا المَشُوق ومانِعي مِن رِفْدِهِ

٣- لما تَيَقَّنَ قَلْبُه أنّي أرَى
فَقْدَ الحياةِ أَلَذَّ لي مِن فَقْدِهِ

٤- أشتاقُه وأنا الجريحُ بِلحظِه
وأُحِبُّه وأنا الطعينُ بِقَدِّهِ

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٣.والوافي بالوفيات ٢٢/٤٨٦ ما عدا البيت الثالث.

(٢٩)

وقال: [من الكامل]

١- يا لَلرِّجالِ لقدْ أُصيبَ مُمَنَّعٌ
يَعْلُو عَلَى العَيُّوقِ ذِروةَ مَجْدِهِ

٢- إنْ قالَ أَوْفَى بالمقالِ وإنْ سَطا
خِلْتَ البريَّةَ كلَّها مِن جُنْدِهِ

٣- فاعْجَبْ لمملوكٍ تَمَلَّك مالكًا
وارثُوا لِمَوْلًى في الهوى مِنْ عَبْدِهِ

الشرح: (١) العَيّوق كتَنّور: نَجْمٌ أحمر مُضيءٌ في طَرَفِ المَجَرّة الأيمن، يتلو الثُّرَيّا؛ لا يتقدّمُها ويطلُعُ قبل الجوزاء، سُمّي بذلك لأنّه «يَعوقُ

الدَّبَران عن لِقاءِ الثريا. تاج العروس ٢٦/٢٢٩.

(٢) سطا: بطش. تاج العروس ٣٨/٢٢٧.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٤، وقال مؤلفه: خرج من الواحد إلى الجمع في الخطاب، وهذا جائز في الشعر.

(٣٠)

وقال: [من الكامل]

١- عقدَ القلوبَ بطَرْفِه وقَوامِهِ
فأنا الأسيرُ بلحظه وبقَدِّه

٢- يا ناظريه على جَفاه ناظرا
عن حافظٍ عَهْدًا لِناقِضِ عَهْدِه

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٤، ولعل هذه النتفة والمقطعتين السابقتين من قصيدة واحدة.

قافية الذال

(٣١)

وقال: [من السَّريع]

أُعيذُكُمْ مِنْ قَتْلِ مُضْنَى بِكُمْ
مِنْكُمْ بِكُمْ في الحُبِّ قَدْ عاذا

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٦.

(٣٢)

وقال: [من الكامل]

مَطَرَتْ مدامِعُهُ عَلَى هِجرانِكُمْ
وَبْلًا وكانت قبلَ ذاكَ رَذاذا

الشرح: الوبل: المطر الشديد، والرذاذ: المطر الضعيف. قال الأَصْمَعِيُّ: أَخَفُّ المَطَرِ وأَضْعَفُه الطَّلُّ، ثمّ الرَّذاذُ، ثمّ البَغْشُ. تاج العروس ٥/٤٢٤.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٦.

[قافية الراء]

(٣٣)

وقال في توديعٍ من موضعٍ يسمى "شبرا":

[من الطَّويل]

١- يقولونَ لي: إنّا سَنرجِعُ من شِبْرا
ومَنْ لي بأنّي لا أُفارقُهمْ شِبرا ؟

٢- وكيفَ احتيالي والهَوى قائدٌ لهم
فؤادًا أبى أن يَقْتَني بَعْدَهُمْ صَبرا ؟!

٣- فَرِقُوا لِقلبٍ قلَّبَتْهُ يَدُ النَّوى
وعَيْنٍ عليكمْ بَعْدَ بُعْدِكُمْ عَبْرَى

الشرح: (١) شبرا: لعلها "شبرى دمسيس، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير والبساتين. وعلى مقربة منها مدينة فجنجين واسعة ذات أسواق، ويخرج عندها خليج من النيل يجري الى بحيرة تنيس". المسالك والممالك ٢/٦٢١.

(٣) عبرى: دامعة.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٧ – ٩٨.

(٣٤)

وقال: [من الكامل]

يا كاسِيًا قلبَ المحبِّ صَبابةً
أقسمتُ أنّي من سُلُوِّكَ عارِ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر:

بداية قسم شعراء الشام ٩٧ - ٩٨.

(٣٥)

وقال: [من السّريع]

١- ما أَحْسَنَ الصَّبْرَ ولكِنَّني
أَنْفَقْتُ فيهِ حاصِلَ العُمْرِ

٢- فَلَيْتَ دَهْري عادَ لي مَرَّةً
بِبَعْضِ عُمْرٍ ضاعَ في الصَّبْرِ

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٧. والوافي بالوفيات ٢٢/٤٨٦.

(٣٦)

وقال: [من الطّويل]

١- أَخي كَمْ أَخٍ لي في هواكَ هَجَرْتُهُ
ولم أَسْتَمِعْ منهُ مَقالَةَ زُورِ

٢- فَزُرْ غَيْرَ مَزْوَرٍّ ولا مُتَجَنِّبٍ
لِتُنْقِذَني مِنْ لَوْعَتي وزَفيري

٣- تُسامِرُ مَنْ تَهواهُ نفسُكَ في الدُّجى
وذِكْرُكَ مِنْ دُونِ السَّميرِ سَميري

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٦.

(٣٧)

وقال وقد ورد إليه كتاب عمه العادل، أبي بكر يبشره بشفاء عمه صلاح الدين الأيوبي من مرضه: [من البسيط]

١- وافى الكِتابُ الذي في طَيِّهِ نِعَمٌ
مَنْظُومَةً دُرَرًا يَزْهو على الدُّرَرِ

٢- بَشَّرْتَني فَنَشَرْتَ الرُّوحَ في جَسَدي
كَمْ مِنَّةٍ لأَبي بَكْرٍ على عُمَرِ ؟

الشرح: يقصد الشاعر بأبي بكر عمه العادل الذي كتب إليه يبشره بشفاء صلاح الدّين الأيوبي من مرضه، ويقصد بعمر نفسه.

التخريج: مخطوط البدر السافر في أنس المسافر ج ٢، الورقة ٤٢.

(٣٨)

وقال: [من الطّويل]

١- أَأَحْبابَنا شَطَّتْ بنا عنكُمُ الدّارُ
وقلبي على بُعْدِ المَزارِ لكُمْ جارُ

٢- وإنّي على ما تَعْهدونَ مِنَ الهوى
مُقيمٌ وفائي أنصفوني أوجاروا

الشرح: القافية في البيت الأول اسم بمعنى المجاور، وفي البيت الثاني بمعنى جاوزوا الحد في الظلم.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٦.

(٣٩)

وقال: [من البسيط]

١- أَحْبابَنا والهوى لا حُلْتُ بَعدَكُمُ
عنِ العُهودِ ولا استَهواني الغِيَرُ

٢- فإنْ أَحُلْ بَخِلَتْ كَفِّي بما مَلَكَتْ
ولا أَجابَتْ النَّدى إن قيلَ: يا عُمَرُ

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٧.

والوافي بالوفيات ٢٢/٤٨٦.

وعقب العماد الأصفهاني في الخريدة على هذه النتفة قائلا: "ما أحسن إيقاعه الندى هاهنا من العطاء موضع النداء، من المناداة لأنه لا ينادي إلا للعطاء".

(٤٠)

وقال: [من المديد]

١- أسْـمَـرٌ كـالـرُّمْـحِ مُـعْـتَـدِلٌ
لَيْتَني أمْسَيْتُ مِن سَمَرِهْ

٢- قَـمَـرَتْ ألْـحـاظُ مُـقْـلَـتِـه
قلبَ مَنْ يَرْنو إلى قَمَرِهْ

٣- عُـمَـرٌ يشـكو الـغـرامَ بـه
وزمانًا ضاعَ مِنْ عُمُرِهْ

الشرح: (٢) قمرت: أي لاعبت الألحاظ القلب فغلبته. تاج العروس ١٢/٤٦٦. (٣) المقصود بعمر الشاعر نفسه.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٨.

[قافية الزاي]

(٤١)

وقال: [من مخلع البسيط]

١- يا ناظِرَيْهِ تَرَفَّقا
ما في الوَرَى لَكُما مُبارِزْ

٢- هَبْكُمْ حَجَزْتُمْ أن أرا
هُ فهل لِقَلْبِ الصَّبِّ حاجِزْ؟

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في النجوم الزاهرة برواية: "حجبتم".

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٨. والنجوم الزاهرة ٦/١٠٤.

[قافية السين]

(٤١)

وقال: [من الطَّويل]

١- حبائبُنا شَطَّ المزارُ وأوْحَشَتْ
بِلادٌ عَهِدْناها بِكُنَّ أوانِسَا

٢- وحَقِّ الهوى لا غَيَّرَتْني يَدُ النَّوى
ولا كنتُ ثَوبَ الغَدْرِ فيكُنَّ لابِسَا

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٩.

[قافية الشين]

(٤٣)

وقال من أبيات: [من الطَّويل]

تأخَّرتَ عن وقتِ العشاءِ تَعَمُّدًا
وما ذاك إلاّ لانتظارك للرَّشا

الشرح: الرشأ: الظَّبْيُ إذا قَوِيَ وتحرَّك ومَشَى مع أُمِّه. تاج العروس ١/٢٤٦.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٩.

[قافية الصَّاد]

(٤٤)

وقال: [من الخفيف]

١- كلَّ يومٍ يَسْعى إلى المُلْكِ قَوْمٌ
في ازْدِيادٍ وعُمْرُهُمْ في انتقاصِ

٢- شَـرَكُ هـذه الأمـانـي فـيـا لـ
ـلـهِ كَـمْ واقـعٍ بِـغَـيْـرِ خَـلاصِ ؟ !

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٩٩. وإخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء ٢٥٧.

ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢/ ٢٢٨.

[قافية الضَّاد]

(٤٥)

وقال: [من الرمل]

١- أنـا راضٍ بـالـذي يُـرْضِـيـهِـمُ
لَـيْـتَ شِـعـري بِـتَلافـي هـل رَضُـوا ؟

٢- أَقْـرَضُـونـي زمـنًـا قُـرْبَـهُـمُ
واسْـتَـعـادوا بـالـنَّـوى مـا أَقْـرَضـوا

الشرح: بتلافي هل رضوا: أي هل رضوا سقمي؟.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٠.

[قافية الطَّاء]

(٤٦)

وقال: [من الطَّويل]

١- لَئِنْ بـانَ أَحْبـابٌ لِقلبِيَ أَوْ شَطُّوا
فـإِنَّهُمُ في القلب مُذْ رَحَلوا حَطُّوا

منها:

٢- لها روضةٌ من نفسها اجتَمَعَتْ بها
غرائبُ من حُسْنٍ أَحاطَ بها الْمِرْطُ

٣- فمِنْ قَدِّها غُصْنٌ ومن رِدْفِها نَقًا
ومـن خَدِّهـا وَرْدٌ ومـن ريقها اسْفِنْطُ

الشرح: (٢) الْمِرْطُ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ، أَوْ خَزٍّ، أَوْ كَتّانٍ يُؤْتَزَرُ به، وقِيلَ: هو الثَّوْبُ، وقِيلَ: كُلُّ ثَوْبٍ غَيْرِ مَخِيطٍ. تاج العروس ٢٠/ ٩٥.

(٣) النقا: القِطْعَةُ من الرمل تَنْقَادُ مُحْدَوْدِبَةً، والإسفنط: الخمر بالرومية. تاج العروس ٤٠/ ١٢٣، ١٩/ ٤٣٨.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٠.

[قافية الظاء]

(٤٧)

وقال: [من الوافر]

١- أَرَى قومًا حَفِظْتُ لهم عُهودًا
فَخانوني ولم يَـرْعَـوْا حِفاظا

٢- أَرِقُّ لهم مُحافَظَةً فأَلْقى
لَـهُـمْ خُـلُـقًـا وأَفْـئِـدَةً غِلاظا

الرواية (٢) ورد البيت الثاني في الدارس في تاريخ المدارس برواية: "فألفى".

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٠ - ١٠١. والدارس في تاريخ المدارس ١/ ١٦٤.

[قافية العين]

(٤٨)

وقال: [من الطَّويل]

أَمـا إنَّـه لو كـان غَـيْـرك جُـرِّدَتْ
صَـوارِمُ بِـيضٌ لـلـرؤوسِ قـواطِعُ

وكـنـت جـديـرًا بـالـفَـعـال وصَـوْلَـة الـ
ـمقـال إذا الْـتَـفَّـتْ عليك الْمَجامِعُ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠١.

[قافية الغين]

(٤٩)

وقال: [من الوافر]

١- شَغلتْ بِحُبِّها قلبي إلى أنْ
تَمنَّى القلبُ لو عَرَفَ الفَراغا

٢- وكم عَذَلوا لأُقصِرَ عن هَواها
فلمْ يَجِدوا لِعَذْلِهِمُ مَساغا

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠١.

[قافية الفاء]

(٥٠)

وقال: [من مجزوء الخفيف]

١- كلَّما زِدْتُمُ جَفا
زاد قلبي تَلَهُّفا

٢- جلَّ في يومِ بَيْنِكُمْ
حاكمٌ ما تَوَقَّفا

الشرح: (٢) بينكم: أي فراقكم.

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٢.

والوافي بالوفيات ٢٢/٤٨٦.

(٥١)

وقال: [من مجزوء الخفيف]

١- ما لِرَبْعِ الوِصالِ بالصَّـ
ـدِّ والبُعْدِ قد عَفا

٢- يا مُنى النَّفسِ بالحَطِيـ
ـمِ وبالرُّكْنِ والصَّفا

٣- لا تُكَدِّرْ بالهَجْرِ ما
كانَ بالوَصْلِ قد صَفا

٤- فاغْتَفِرْ ذَنْبيَ الصَّغيـ
ـرَ فكَمْ قادرٍ عفا

الشرح: (٢) الحطيم: بالمسجد الحرام بمكة المكرمة، وهو «ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، وقال ابن حبيب: هو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء، وقال ابن دريد: كانت الجاهلية تتحالف هناك يتحطمون بالأيمان فكل من دعا على ظالم وحلف إثما عجلت عقوبته، وقال ابن عباس: الحطيم الجدر بمعنى جدار الكعبة، وقال أبو منصور: حجر مكة يقال له الحطيم مما يلي الميزاب، والركن: الركن اليماني من أركان الكعبة". معجم البلدان ٢/ ٢٧٣، ٣/ ٦٤.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٢.

(٥٢)

وقال: [من المديد]

١- آهِ من قومٍ بُليتُ بهمْ
أدْمُعي من بُعْدِهِم تَكِفُ

٢- عَرَفوا أنّي أُحِبُّهُمُ
وبلائي أنَّهم عَرَفوا!

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في الوافي بالوفيات برواية: "وبلائي بالذي عَرَفوا».

الشرح: تَكِفُ: أي تسيل. تاج العروس ٢٤/ ٤٨٠.

شعر عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٥٨٧ هـ)

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٢.

وإخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء ٢٥٧.

والوافي بالوفيات ٤٨٦/٢٢.

(٥٣)

وقال في عمه الملك الناصر "صلاح الدين الأيوبي": [من الكامل]

١- خَيْرُ الملوكِ أبو المظفرِ يُوسُفُ

ما مِثْلُ سيرَتِه الشَريفةِ تُعْرَفُ

٢- لو سُطِّرَتْ سِيَرُ المُلوكِ رأيتَها

ديوانَ شعرٍ وهْي فيها مُصْحَفُ

٣- مَلِكٌ يَبيتُ المُلْكُ يُرْعِدُ خيفَةً

منهُ وليسَ يَخافُهُ من يُنْصِفُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في الدارس في تاريخ المدارس برواية: "الشريفة يعرف".

(٣) وورد البيت الثالث في الدارس في تاريخ المدارس برواية: "يرعد هيبة".

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠١ - ١٠٢.

والدارس في تاريخ المدارس ١/ ١٦٤ - ١٦٥.

[قافية القاف]

(٥٤)

وقال: [من الكامل]

واللهِ ما استوجَبْتُ هَجْرَكُمُ

لكنْ سعيدٌ في الهوى وَشَقي

الشرح: تأثر الشاعر بقول الله - سبحانه وتعالى -: "يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ". سورة هود - عليه السلام - الآية رقم (١٠٥).

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٢.

(٥٥)

وقال: [من الطَّويل]

١- ألَمْ تَرَيا نَفْسي وقد طَوَّحَتْ بها

عُقابُ السُّرَى في البِيدِ من رأسِ حالِقِ

٢- تَسيرُ أمامَ اليَعْمَلاتِ كأنَّما

حَكَتْ ألِفاً قُدَّامَ أسْطُرِ ماشِقِ

٣- تَراها إذا كَلَّتْ تَئِنُّ صَبابَةً

إلى منزلٍ بَيْنَ اللِّوَى والأبارِقِ

٤- فقلْتُ لها: سِيري ولا تُظْهِري وَجىً

ومنها:

فَبَيْنَ ضُلوعي لاعِجُ الشَّوْقِ سائقي

٥- وها أنْتَ قد فارَقْتَ مِثْلي جَهالَةً

ستذكُرُ يوماً شِيمتي وخَلائقي

الشرح: (١) العُقاب: من الطيور الجوارح المعروفة بشدة افتراسها، وسرعة طيرانها واعتصامها بالأماكن الشاهقة، ينظر حياة الحيوان الكبرى ١٢٥/٢ وما بعدها، وربما لم يوفق الشاعر في إضافة السُّرى، وهو السير ليلا إلى العقاب؛ لأن طيور العقاب تقضي الليل في أوكارها، ينظر:

http://www.startimes.com/f.aspx?t=15571867

والحالق: المكان المرتفع. معجم اللغة العربية المعاصرة ٥٤٦.

(٢) اليَعْمَلات: الإبل. تاج العروس ٦٠/١٥، ماشِق: أي كاتب يمد في كتابة الحروف.

(٣) اللِّوى: ما الْتَوى من الرَّمْلِ. تاج العروس ٤٨٥/٣٩، والأبارق: حجارة ورمل مختلطة، وقيل كل شيئين من لونين خلطا فقد برقا. معجم البلدان ٥٩/١.

(٤) الوَجَى: الحَفا، أو أشَدُّ منه، وهو أن يَرِقَّ القَدَمُ أو الحافِرُ. تاج العروس ١٦٦/٤٠.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٣.

(٥٦)

وقال: [من الطَّويل]

١- طَبيبٌ وكَحَّالٌ إذا اجتَمَعَا مَعًا
يَمُوتُ بذا خَلْقٌ ويَعْمَى بِذَا خَلْقُ

٢- فَوَاعَجبًا مِن سَابقِ العِلْمِ فيهما
(و)لم تُبْسَطِ الآمالُ أو تُفتَحِ الطُّرْقُ

التخريج: مخطوط البدر السافر في أنس المسافر ج ٢، الورقة ٤٢، وورد عجز البيت الثاني فيه هكذا:

لم تُبسَطْ لآمالٍ أو تُفْتَحِ الطُّرُقُ

[قافية الكاف]

(٥٧)

وقال: [من المنسرح]

١- عارضتُهُ حينَ لاحَ عارِضُهُ
يُحَيِّرُ الطَّرْفَ لونُه المِسْكِي

٢- فيا مُصابي من نَظْرَةٍ عَرَضَتْ
أفْسَدَتْ منها ما كانَ من نُسْكي

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٤.

(٥٨)

وقال: [من الكامل]

١- نَعِمَ الأَراكُ بما حَوَتْهُ شِفاهُها
يا لَيْتَني أصْبَحْتُ عُودَ أراكِ

٢- سَعِدَتْ بكم تلكَ البِقاعُ وأهلُها
مَنْ لي بأنْ أحتَلَّها لأراكِ ؟

ومنها:

٣- زَعَموا بأنَّكِ قد كرهتِ وِصالَنا
حاشاكِ مِمَّا رَجَّموا حاشاكِ

٤- مَنْ لي بأيّامِ الشَّبيبَةِ والصِّبا
أيّامَ كنتُ من الزَّمانِ مُناكِ ؟

الرواية: (٢) ورد البيت الثاني في الوافي بالوفيات برواية: "وأراك".

الشرح: (١) الأَراك: شَجَرٌ من الحَمضِ معروفٌ له حَمْلٌ كحَمْلِ عناقيدِ العنَبِ يُستاكُ به أي: بفروعه، قال أبو حَنيفَةَ: هو أفضَلُ ما استِيكَ بفُروعِه، وأطيَب ما رعَتْهُ الماشِيَةُ". تاج العروس ٣٦/٢٧.

(٣) رَجَّموا: تكلموا بالظن. تاج العروس ٢١٨/٣٢.

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٤.

والبيتان: ١، ٢ في الوافي بالوفيات ٤٨٧/٢٢.

[قافية اللام]

(٥٩)

وقال في عمه الملك الناصر "صلاح الدين الأيوبي": [من الكامل]

١- أصـلاحَ ديـنِ اللهِ أمـرُكَ طاعةٌ
فمُـرِ الـزَّمـانَ بمـا تـشـاءُ ليفعَلا

٢- فكأنمـا الـدُّنيـا ببَهْجَـة حُسْنها
تُجلى عَـلـيَّ إذا رأيـتُـكَ مُقبِلا

الـروايـة: (١) ورد البيـت الأول فـي مفـرج الكروب، وكنز الدرر برواية: "فيفعلا".

(٢) وورد البيت الثاني في مفرج الكروب، وكنز الدرر برواية: "تجلا على".

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٥.

ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢/٢٢٨.

وكنز الدرر وجامع الغرر ٧/٩١.

(٦٠)

وقال: [من الطَّويل]

١- فلا يَتَعَرَّضْ بالهوى غيرُ مَنْ يَرى
مَماتَ الهوى مَحْيًا ووَعْرَ الهوى سَهْلا

٢- ولا يَـدْنُ إلَّا مَـنْ إذا فُـوِّقَ الهَوى
إليـهِ سهامَ المـوتِ يَستعذِبُ القَتْلا

الشرح: (٢) فوَّق: أي ثبَّتَ الوترَ في رأسِ السَّهْم استعدادًا للرمي. تاج العروس ٢٦/٢٢٢.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٥.

(٦١)

وقال: [من البسيط]

١- هَبَّ النَّسيمُ مِنَ (المَيطورِ) آصالا
فهَاجَ لي مِنهُ عَـرْفُ المِسْكِ بلبْالا

٢- تَـأرَّجَ الجَـوُّ مِـنْ أنفـاسِـهِ عَبِقًا
كـأنَّ (نـضـرَةَ) جَـرَّتْ فيهِ أذيـالا

ومنها:

٣- إذا أذلَّـتْ أذَلَّـتْ قَلْبَ عاشِقِها
مـا أطْـيَـبَ الحُـبَّ إذلالًا وإذلالا

٤- تَـرَنَّـحَـتْ بِنَسيمِ العَتْبِ مائلَةً
لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدُّها غُصْنًا لمَا مالا

الشرح: (١) المَيطورُ: من قرى دمشق. معجم البلدان ٥/٢٤٤.

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٦.

والبيتان الأخيران في الوافي بالوفيات ٢٢/٤٨٧.

وورد البيـت الثاني فـي خريدة القصر هكذا: "نصرة"، ولعل الصواب ما أثبت اعتمادًا على البيت الثاني من القصيدة رقم (٣)، وينظر هامش الخريدة، وورد صدر البيت الأول في خريدة القصر هكذا: "هب النسيم من المطيور آصالا"، والصواب ما أثبت.

(٦٢)

وقال: [من الطَّويل]

١- وقد زَعَموا أنّي سَلَوْتُ وشاهِدي
عَلَى فَـرْطِ وَجْـدي زَفْـرَةٌ وعَويلُ

٢- وإنَّ نَواحي الشَّوْقِ وهي خَفيفةٌ
عليكُمْ لها عِـبءٌ عَـلَـيَّ ثَقيلُ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٤ - ١٠٥.

(٦٣)

وقال: [من الكامل]

١- ظَبْيٌ أَذَلَّ إذا أَدَلَّ بِحُسْنِهِ
يا حَبَّذا ذُلِّي لِفَرْطِ دَلالِهِ

٢- كالبَدْرِ أَهْيَفَ مَاسَ في بُرْدَيْ صِبًا
لا يَنْثَنِي عن هَجْرِهِ ومَلالِهِ

٣- في وَعْدِهِ ولِحاظِهِ وقَوامِهِ
حُسْنٌ يَطِيبُ بِهِ طَوِيلُ مِطالِهِ

٤- أَفْدِي الذي مارُمْتُ حُلْوَ وِصالِهِ
إلّا أَحالَ عَلَى خَيالِ خَيالِهِ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٥.

[قافية الميم]

(٦٤)

وقال: [من مخلع البسيط]

تَحَمَّلَ القَلْبُ يَوْمَ سارُوا
فاقْرَ عَلَى قَلْبِيَ السَّلاما

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٦.

(٦٥)

وقال: [من الوافر]

١- عَدِمْتُكَ مِنْ فُؤادٍ ضَلَّ عَنْهُ
رَشادٌ كانَ يَأْلَفُهُ قَدِيما

٢- عَدِمْتُ أَحِبَّةً فَعَدِمْتُ عَقْلا
فَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْجُودًا عَدِيما

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٧.

(٦٦)

وقال: [من البسيط]

لا تَأْخُذِينِي بِأَقْوالِ الوُشاةِ فَما
سَعَوْا بِما قَدْ سَعَوْا إلّا بِسَفْكِ دَمِي

الشرح: تأثر الشاعر ببيت كعب بن زهير المشهور:

لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشاةِ وَلَمْ
أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الأَقاوِيلُ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٦.

(٦٧)

وقال: [من الوافر]

١- أَشِيمُ البَرْقَ مِنْ عَلَمَيْ زَرُودِ
فَتَرْوى مِنْ مَدامِعِيَ الشَّآمُ

٢- فَيا لَلّهِ قَلْبٌ مُسْتَهامٌ
بِنَضْرَةَ لا يُفارِقُهُ الغَرامُ

٣- لَهَا مِنْ قَدِّها رُمْحٌ رَشِيقٌ
ومِنْ أَلْحاظِ مُقْلَتِها سِهامُ

٤- تُرِيكَ البَدْرَ إنْ سَفَرَتْ وتَحْكِي
هِلالًا حِينَ يَسْتُرُها اللِّثامُ

٥- فَلِي مِنْ خَدِّها وَرْدٌ جَنِيٌّ
ولِي مِنْ طِيبِ رِيقَتِها مُدامُ

٦- إذا ما رُمْتُ أَنْ أَسْلُو هَواها
تَعَرَّضَ دُونَ سَلْوَتِيَ الحِمامُ

الشرح: (١) أشيم: أنظر. تاج العروس

٤٨٥/٣٢، وزَرُود: "يجوز أن يكون من قولهم جمل زرود، أي بلوع والزرد البلع، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب ؛ لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، وقال ابن الكلبي عن الشرقي: زرود والشقرة والربذة بنات يثرب بن قانية بن مهليل ابن رخام بن عبيل أخي عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وتسمى زرود العتيقة، وهي دون الخزيمية بميل، وفي زرود بركة وقصر وحوض، قالوا: أول الرمال الشيحة، ثم رمل الشقيق، وهي خمسة أجبل: جبلا زرود، وجبل الغر ومربخ وهو أشدها، وجبل الطريدة وهو أهونها، حتى تبلغ جبال الحجاز، ويوم زرود من أيام العرب مشهور بين بني تغلب وبني يربوع". معجم البلدان ١٣٩/٣، وعلما زرود: جبلان مما سبق ذكره في النص السابق.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٧، وورد البيت الثاني فيه هكذا: "نصرة"، ولعل الصواب ما أثبت اعتماداً على البيت الثاني من القصيدة رقم (٣)، وينظر هامش الخريدة.

[قافية النون]

(٦٨)

وقال: [من الرمل]

مَـطَـرَتْ لِـلْـحُـسْـنِ فـيـهِـم ديـمَـةٌ
أَنْـبَـتَـتْ فـي كُـلِّ دِعْـصٍ فَـنَـنَـا

الشرح: الديمة: المطر الدائم، والدعص: قِطْعَةٌ مِنَ الرَّمْلِ مُسْتَدِيرَةٌ، والفَنَنُ، محرَّكَة: الغُصْنُ المُسْتَقيمُ طُولاً وعَرْضاً. تاج العروس ١٨١/٣٢، ٥٨٠/١٧، ٥١٦/٣٥.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١١.

(٦٩)

وقال: [من الطَّويل]

١- أَأَحْـبـابَـنـا إِنْ تَـسْـأَلوا كَـيْـفَ حالُنا
فَـإِنّـا عَـلَـى حِـفْـظِ الْـمَـوَدَّةِ ما حُلْنا

٢- حَـلَـلْـتُـمْ بِـقَـلْـبـي والـدِّيـارُ بَـعـيـدَةٌ
وَمِـلْـتُـمْ عَـنِ الْـعَـهْـدِ الْـقَـديـمِ وَمـا مِلْنا

٣- وَأَنْـسـاكُـمُ حِـفْـظَ الْـعُـهـودِ مَـلالُكُمْ
وَعُـوِّضْـتُـمُ بِـالْـغَـيْـرِ عَـنّـا وَمـا اعْـتَـضْـنـا

٤- وَإِنّـي لأَرْعـاكُـمْ عَـلَـى بُـعْـدِ دارِكُـمْ
وَإِنْ كـانَ مِـنْـكُـمْ أَصْـلُ ذا الْـغَـدْرِ لامِـنّـا

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٨.

(٧٠)

وقال: [من مجزوء الكامل]

١- إِنّـــي أَغـــارُ مِـــنَ الـنَّـسـيـ
ـــمِ إِذا مَـــرَرْتَ عـلـيـهِ وَهْـنـا

٢- وأَراعُ مِـــنْ مَـــرِّ الـنَّـسـيـ
ـــمِ عـلـيـكَ يـا مَـــنْ فـاقَ حُسْـنـا

٣- بِـــاللهِ لَـــمْ تَـنْـسـى زَمـا
نـــاً كـنـتَ لـي فـيـهِ وكُـنّـا

٤- لا تَـتْـرُكَـنْ بِـالـهـجـرِ حا
سِـدَنـا يَـرى مـا قـد تَـمَـنّـى

٥- وَتَـلافَـنـي قَـبْـلَ الـتَّـلا
فِ فـطـالـمـا قَـدَّمْـتَ غَـبْـنـا

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر:

بداية قسم شعراء الشام ١٠٩.

(٧١)

وقال: [من البسيط]

١- والله لا اعْتَضْتُ يا هذا بهمْ بَدَلا
ولا رَضيتُ لِطَرْفي بَعدَهُمْ وَسَنا

٢- أقْسَمتُ بالرُّكْنِ ثم المَشْعَرَيْنِ وَمَنْ
رَمى الجمارَ ومَنْ نالَ المُنى بِمِنى

٣- لَوْ قيلَ: ما لَذَّةُ الدنيا ؟ لقلتُ: هُمُ
أَوْ قيلَ: مَنْ هامَ من شوقٍ ؟ لقلتُ: أنا !

٤- بـالله رِفقًا بقلبٍ إنْ قسوتَ حَنا
وإنْ تَجنَّيْتَ أرْضي أَوْ بَعُدْتَ دَنا

الشرح: (٢) المشعران: المزدلفة ومنى. معجم اللغة العربية المعاصرة ١٢٠٨.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٩.

(٧٢)

وقال: [من الكامل]

١- ما هَزَّ صَعْدَةَ قَدِّه إلّا انْبَرى
مِنْ طَرْفِه ولِسانِه نَصْلانِ

٢- مَنْ ذا يُناظِرُ ناظِرَيْهِ وقد غَدا
مِنْ ناظِرَيْهِ لِخَصمِه خَصمانِ

٣- كلٌّ لَهُ مِنْ حُبِّهِ سَهمٌ وَلي
مِن حُبِّهِ دُونَ الوَرى سَهْمانِ

٤- السُّكْرُ سُكْرٌ واحدٌ لِمَنِ احْتَسى
خَمرًا ولي مِن ريقِه سُكرانِ

الشرح: (١) الصَّعْدَةُ: القَناةُ، وقيل: هي: المُسْتَوِيَةُ التي تَنْبُتُ كذالك لا تَحْتاج إلى التَّثْقِيف. تاج العروس ٨/ ٢٨١.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١٠.

(٧٣)

وقال: [من الخفيف]

١- حَدِّثاني عَنِ الحبيبِ حَديثًا
فيهِ لي راحَةٌ مِنَ الهِجْرانِ

٢- أَوْ دَعاني وَما حَواهُ فُؤادي
مِنْ حَنينٍ وَذِلَّةٍ وَهَوانِ

٣- كُلَّما رُمْتُ سَلْوَةً عَنْ هَواهُ
هَيَّجَتْني مَلاعِبٌ وَمَغانِ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١٠.

(٧٤)

وقال: [من مجزوء الرجز]

١- يا بائِنًا أَبانَ عَنْ
عَيْني لَذيذَ الوَسَنِ

٢- ويا مَريضَ المُقْلَةِ الْـ
ـكَحْلاءِ كَمْ تُمْرِضُني ؟

ومنها:

٣- لَهْفي عَلى الظّالِمِ الّذي
بِمَنْعِهِ تَظْلِمُني

٤- يَجْني عَليَّ خَدُّهُ
بِمَنْعِهِ الوَرْدَ الجَني

الرواية: (٢) ورد البيت الثالث في الوافي

شعر عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٥٨٧ هـ)

بالوفيات برواية: يظلمني".

الشرح: (٢) والظَّلْمُ: مَاءُ الأَسْنَانِ وبَرِيقُهَا. تاج العروس ٤١/٣٣.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١١.

والوافي بالوفيات ٤٨٧/٢٢.

(٧٥)

وقال: [من الوافر]

١- وَكَمْ لي بِالجُنَيْنَةِ مِنْ رُواقٍ
وَراوُوقٍ يُرِيقُ دَمَ القَنانِي

٢- ورَيْحانٍ وراحٍ راحَ عَقْلي
بِها في عُقْلَةِ الغِيدِ الحِسانِ

الشرح: (١) الجُنَيْنَةُ: تصغير جنة وهي الحديقة والبستان، والرَّاوُوقُ: المِصْفاةُ ... وناجُودٌ الشرابِ الذي يُرَوَّقُ به فيُصَفَّى، والشَّرابُ يَتَرَوَّقُ منهُ من غيرِ عَصْرٍ، والقَنَاني: أَوْعِيَةٌ مِن زُجاجٍ يُتَّخَذُ فيها الشَّرابُ. تاج العروس ٢٧٥/٢٤، ٢٧٦/٢٥، ٢٦/٣٦.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٨.

(٧٦)

وقال: [من البسيط]

كَمْ عَذَّبوني ظُلْمًا وَهُوَ يَعْذُبُ لي
إنْ كانَ يُرْضِيهِمُ ظُلْمٌ وَعُدْوانُ

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١٠٨.

[قافية الهاء]

(٧٧)

وكتب إلى "محمد بن أسامة بن منقذ"*:

[من الخفيف]

١- نَزَلَ الشَّيْبُ بي وقَلْبي يَقْلا
هُ وَعَيْنَي تَوَدُّ ألاَّ تَراهُ

٢- ثُمَّ أَصْبَحْتُ خائِفًا مِنْ فِراقِ الشْـ
ـشَيْبِ أَبْكي أَنْ لا يَحِلَّ سِواهُ

الرواية: (١) ورد البيت الأول في المحمدون من الشعراء برواية: "الشيب مقلتي تقلاه وعيوني".

التخريج:

المحمدون من الشعراء ٢٢٠، وذيل خريدة القصر وجريدة العصر ١٥٢ - ١٥٣، وكذا ورد البيت الثاني فيهما، ولعل الصواب: "أدعو أن لا يحل سواه"، وورد البيتان ذيل خريدة القصر هكذا:

١- نَزَلَ الشَّيْبُ بي وقَلْبي يَقْلاهُ
وَعَيْنَيَّ تَوَدّانِ لا تَراهُ

٢- ثُمَّ أَصْبَحْتُ خائِفًا مِنْ فِراقِ
الشَّيبِ أَبْكي أَنْ لا يَحِلَّ سِواهُ

* محمد بن أسامة بن منقذ: شاعر؛ له مكاتبات ومراسلات شعرية مع والده، وكذا مع شعراء عصره، ترجم له القفطي في كتابه المحمدون من الشعراء ص ٢٢٠ ترجمة مبتسرة جدًّا، ووالده أسامة بن منقذ مشهور في عالم الفروسية والشعر.

(٧٨)

وقال: [من البسيط]

١- ما لُمْتُ قَلْبَي إلاّ لامَني فيها
وقالَ: هَيْهاتَ أُثْني عَنْ تَثَنِّيها

٢- خَوْدٌ رَداحٌ يَكادُ اللَّحْظُ يَجْرَحُها
مِنْ لُطْفِها وَنَسيمُ الرّيحِ يَثْنيها

الشرح: (٢) الخَوْدُ: الفتاةُ الحَسَنَةُ الخَلْقِ، بفتح فسكون، الشَّابَّةُ ما لم تَصِر نَصَفًا، والرَّدَاحُ: المَرأَةُ العَجْزَاءُ الثَّقيلةُ الأَوْراكِ، تامَّةُ الخَلْقِ. تاج العروس ٦٧/٨، ٢٩٨/٦.

التخريج: خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١٢.

[قافية الياء]

(٧٩)

وقال: [من الطَّويل]

١- أَأَحْبابَنا! إنَّ الوُشاةَ إليكُمُ
سَعَتْ لا سَعَتْ أقدامُ مَنْ باتَ واشِيا

٢- يَرومُونَ بَتَّ الحَبلِ بَيْني وَبَيْنَكُمْ
فَلا بَلَغوا فيما أرادوا الأمانِيا

الرواية: (١) ورد البيت الأول في مفرج الكروب برواية: "كان واشيا".

(٢) وورد البيت الثاني في مفرج الكروب برواية: "مما أرادوا".

التخريج:

خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١٢.

ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٢/٢٢٧.

فهرس
القوافي والأوزان وعدد الأبيات
في كل مقطعة وقصيدة

قافية الألف المقصورة

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١	اثنتى	الطَّويل	٢
٢	أحوى	الخفيف	٢
٣	نصائحها	الكامل	٩

قافية الباء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤	الحسابُ	السَّريع	٢
٥	التَّعبِ	المديد	٢
٦	مصابُ	الطَّويل	٤
٧	السَّباسبِ	الطَّويل	٢
٨	مؤنبِ	الطَّويل	٣
٩	ذَنْبي	الطَّويل	١
١٠	الذَّهبِ	المنسرح	٢
١١	شبابي	الطَّويل	٢
١٢	عَذَّبوا	البسيط	٢

قافية التاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١٣	وأخلَّتِ	الطَّويل	١

قافية الثاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١٤	منفوثُ	البسيط	٣
١٥	شُعثُ	الوافر	٤

قافية الجيم

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١٦	اللُّجج	المنسرح	٢

قافية الحاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
١٧	وصاحِ	السَّريع	٣
١٨	المليحِ	الوافر	٣
١٩	فاضحي	الكامل	٥

قافية الخاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢٠	راسخُ	الطَّويل	٣

قافية الدال

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٢١	واحدٌ	مجزوء الكامل	٢
٢٢	تفرّدا	الكامل	٢
٢٣	مُنشِدا	البسيط	٢
٢٤	والقدُّ	الكامل	٢
٢٥	الفؤادِ	مجزوء الكامل	٤
٢٦	بادِ	البسيط	٣
٢٧	عهودُ	الطَّويل	٣
٢٨	بصدِّهِ	الكامل	٤
٢٩	مجدُهُ	الكامل	٣
٣٠	بقدِّهِ	الكامل	٢

قافية الذال

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٣١	عاذا	السَّريع	١
٣٢	رذاذا	الكامل	١

قافية الراء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٣٣	شبرا	الطَّويل	٣
٣٤	عارِ	الكامل	١
٣٥	العمرِ	السَّريع	٢
٣٦	زورِ	الطَّويل	٣
٣٧	الدُّرَرِ	البسيط	٢
٣٨	جارُ	الطَّويل	٢

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٣٩	الغِيَرُ	البسيط	٢
٤٠	سمرِه	المديد	٣

قافية الزَّاي

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤١	مبارزْ	مخلع البسيط	٢

قافية السِّين

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٢	أوانِسَا	الطَّويل	٢

قافية الشِّين

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٣	للرَّشَا	الطَّويل	١

قافية الصَّاد

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٤	انتقاصِ	الخفيف	٢

قافية الضَّاد

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٥	رضُوا	الرمل	٢

قافية الطَّاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٦	حطُّوا	الطَّويل	٣

قافية الظَّاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٧	حفاظًا	الوافر	٢

قافية العين

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٨	قواطعُ	الطّويل	٢

قافية الغين

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٤٩	الفراغا	الوافر	٢

قافية الفاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٥٠	تلهفا	مجزوء الخفيف	٢
٥١	عفا	مجزوء الخفيف	٤
٥٢	تكفُ	المديد	٢
٥٣	تعرفُ	الكامل	٣

قافية القاف

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٥٤	وشقِي	الكامل	١
٥٥	حالقِ	الطّويل	٥
٥٦	خلقُ	الطّويل	٢

قافية الكاف

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٥٧	المسكي	المنسرح	٢
٥٨	أراكِ	الكامل	٤

قافية اللام

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٥٩	ليفعلا	الكامل	٢
٦٠	سَهْلا	الطّويل	٢
٦١	بلبالا	البسيط	٤
٦٢	وعويلُ	الطّويل	٢
٦٣	دلالِه	الكامل	٤

قافية الميم

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٦٤	السلاما	مخلع البسيط	١
٦٥	قديمًا	الوافر	٢
٦٦	دمِي	البسيط	١
٦٧	الشآمُ	الوافر	٦

قافية النون

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٦٨	فتنا	الرمل	١
٦٩	حُلْنَا	الطّويل	٤
٧٠	وهَنَا	مجزوء الكامل	٥
٧١	وسنَا	البسيط	٤
٧٢	نصلان	الكامل	٤
٧٣	الهجرانِ	الخفيف	٣
٧٤	الوسنِ	مجزوء الرجز	٤
٧٥	القناني	الوافر	٢
٧٦	وعدوانُ	البسيط	١

قافية الهاء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٧٧	تراه	الخفيف	٢
٧٨	تثنيها	البسيط	٢

قافية الياء

م	كلمة القافية	البحر	عدد الأبيات
٧٩	واشيًا	الطّويل	٢

الحواشي

١- خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ١١٣، ما بعدها، وعقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ١/٢٢٢.

٢- حقق ديوانه د. ناظم رشيد، ونشره في العراق عام ١٩٨٣م، ونشر بحثًا عنه وعن شعره في كتابه السابق ص ١٢٥ – ١٤٤ بحثًا بعنوان: "الملك الأمجد كبير شعراء بني أيوب".

٣- جمع ديوانه وحققه ودرسه د. محمد عبد الحميد سالم، ونشره في دار هجر، بمصر، عام ١٩٨٨م، وكتب عن هذا الشاعر وشعره د. ناظم رشيد بحثًا بعنوان: "الشهيد تاج الملوك الأيوبي شاعرًا"، وذلك في كتاب دراسات في الأدب الأيوبي ص ١٠٥ – ١٢٤، دار المناهج، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

٤- ينظر كتاب فادي موسى المبيضين الموسوم بـ: الملك الناصر داوود (ملك الكرك) شاعرًا، وزارة الثقافة، الأردن، ٢٠٠٩، وجمع ديوانه جودة أمين ونشره بالقاهرة ١٩٩٠م، كما حقق رسائله ونشرها في كتاب صدر عن دار الثقافة، ١٩٩٦م، وحقق ناظم رشيد كتاب الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية، ونشره بالعراق عام ١٩٩٢م، وهو سيرة للملك الناصر، ألفها ابنه، وأدرج فيها قسطًا كبيرًا من شعر أبيه، ونشر بحثًا عنه وعن شعره في كتابه السابق ص ١٢٥ – ١٤٤ بحثًا بعنوان: "الملك الأمجد كبير شعراء بني أيوب" في كتابه السابق ص ١٤٥ – ١٧٤.

٥- ينظر البحث الموسوم بشعر خاصة الأيوبيين لعامر طعمة ص ٢٨، مجلة سر من راي، مج٣، ع٢، ٢٠٠٢.

٦- يرجع في ترجمة وتفاصيل أخبار حياته ومواقفه السياسية إلى:

خريدة القصر وجريدة العصر (بداية قسم شعراء الشام) ٨٠.

الفتح القسي في الفتح القدسي ٢٩٥.

إخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء ٢٥٦.

مضمار الحقائق وسر الخلائق ٦١، ١٤٣، ١٥٦.

في التاريخ ٩/ ٢٧١، ١٠/ ٣٢، ٣٦، ٩٣، ٩٧، ١٠/ ١٠٧، ١١٢، ١٤٧، ١٦٨، ١٨٦، ٢٠٣.

تاريخ إربل ١/ ٢٩٨ و ٤١٦.

التكملة لوفيات النقلة ١/ ١٥٩ – ١٦٠.

زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢/ ٢٣٥.

الروضتين ١/ ١٢٧، ٢/ ١٨٢، ٢٨٠، ٤/ ٤٦٨، ٤/ ٢٩٠.

وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٦ – ٤٥٨.

النوادر السلطانية ٢٩٥ – ٢٩٦.

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ٢/ ٨٧، ١٩٤، ٤٦٦.

مفرج القلوب ٢/ ٣٢، ٦٢، ١٨٠، ٢٣٦ – ٢٢٨، ٢٧٥ – ٢٧٧.

المختصر في أخبار البشر ٣/ ٨٠.

سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٢.

دول الإسلام ٢/ ٩٦.

العبر في خبر من غبر الذهبي ٣/ ٦٥، ٩٤.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ١٢/ ٨٢٦ – ٨٢٧.

البدر السافر في أنس المسافر الورقة ٢/ ٤١.

تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧، ٧٧، ٧٨، ٨٦، ٨٨، ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١١٧.

الوافي بالوفيات ٢٢/ ٤٨٤ – ٤٨٨.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٣/ ٢٢٨.

طبقات الشافعية ابن السبكي ٧/ ٢٤٢، وله أخبار في ٧/ ١٦، ٢٤٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٦.

البداية والنهاية ١٦/ ٦٢٦.

العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ١٩٧ – ١٩٨.

السلوك ١/ ١٥٢، ١٦٩، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢٣.

طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٢/ ٤٣.

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (الدولة الأيوبية) ١/ ٢٧٥، ٢/ ٢٣٣، وصفحات أخرى، ينظر فهرس الأعلام ١/ ٢٥١، ٢/ ٣٢٠.

النجوم الزاهرة ٦/ ١٠٣ – ١٠٤.

شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ٣٢٤ – ٣٢٥.

الدارس في تاريخ المدارس ١/ ١٦٢ – ١٦٥.

شذرات الذهب ٦/ ٤٧٥ – ٤٧٦.

ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب ٤٥.

كنز الدرر وجامع الغرر ٩١/٧ ، ١١٠.

الأعلام ٤٧/٥.

مملكة حماة الأيوبية ص ٤٨ وما بعدها: لأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤م.

شعر خاصة الأيوبيين ص ٢٨، مجلة سر من راي، مج٢، ع٣، ٢٠٠٢.

تقي الدين عمر الأيوبي أمير حماة ص ٢٦١ - ٢٨١، مجلة الأستاذ، كلية التربية، بغداد، ع٢، ١٩٧٨م.

٧- خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨١.

٨- الروضتين في أخبار الدولتين ١٢٧/١.

٩- مجلة الأستاذ، ص ٢٦١ - ٢٨١، ع٢، ١٩٧٨م.

١٠- ينظر وفيات الأعيان ٤٥٢/٢.

١١- ينظر السابق ٤٥٦/٢.

١٢- الأعلام ٤٧/٥.

١٣- ترويح القلوب ٤٥، والتكملة لوفيات النقلة ١٥٩/١ - ١٦٠.

١٤- تاريخ ابن الوردي ٧٧/٢

١٥- وفيات الأعيان ٤٥٦/٢.

١٦- ينظر ترويح القلوب ٤٥، والتكملة لوفيات النقلة ١٥٩/١ - ١٦٠.

١٧- الوافي بالوفيات ١٧٥/١١.

١٨- ينظر ترويح القلوب ٤٥، والتكملة لوفيات النقلة ١٥٩/١ - ١٦٠، ووفيات الأعيان ٤٥٦/٢.

١٩- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ١٩٧ - ١٩٨، وتاريخ ابن الوردي ٩٤/٢.

٢٠- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام ٨٣٦/١٢.

٢١- وردت هذه الأرجوزة ناقصة في مجموع شعر الشاعر برقم (٢٤)، ص ٢١؛ حيث أخل بالأشطار الممزوجة بين أقواس والأرجوزة كاملة في طبقات الشافعية الكبرى ٢٤٣/٧ - ٢٤٥ ، وهي ضمن المستدرك على مجموع شعر هذا الشاعر صنعة: إبراهيم راشد، وكاتب هذه السطور (قيد النشر).

٢٢- تاريخ ابن الوردي ١١٧/٢

٢٣- ترويح القلوب ٤٥، والتكملة للمنذري ١٥٩/١ - ١٦٠.

٢٤- قلائد الجمان ٢٦٠/٢.

٢٥- الوافي بالوفيات ٢٥٩/٤ - ٢٦٠، وفي البداية والنهاية ١٠١/١٧ أنه في عشرة أجزاء.

٢٦- السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٢٠/١.

٢٧- النجوم الزاهرة ١٠٣/٦.

٢٨- الروضتين في أخبار الدولتين ٢٩٠/٤ - ٢٩١، وينظر البداية والنهاية ٦٣٦/١٦ ، ومناز كرد بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم يعد في أرمينية وأهله أرمن وروم، معجم البلدان ٢٠٢/٥.

٢٩- التكملة للمنذري ١٥٩/١ - ١٦٠، وفيات الأعيان ٤٥٧/٢، وترويح القلوب ٤٥

٣٠- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ٢١١.

٣١- وفيات الأعيان ٤٥٧/٢.

٣٢- خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨١ - ٨٢، وينظر ديوان أبي اليمن الكندي ٣٣.

٣٣- التتمة رقم (١٦).

٣٤- خريدة القصر وجريدة العصر: بداية قسم شعراء الشام ٨٤ - ٨٥.

٣٥- السابق ١١٢.

أهم المصادر والمراجع

١- **إخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء**: للمنصور الأيوبي (ت٦١٧هـ): تحقيق: ناظم رشيد، بغداد، ٢٠٠١م.

٢- **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**: لابن شداد (ت ٦٨٤ هـ)، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١م.

٣- **الأعلام**: لخير الدين للزركلي، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

٤- **البداية والنهاية**: لابن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨ م.

٥- **البدر السافر في أنس المسافر (مخطوط)**: لجعفر بن ثعلب الأدفوي (ت ٧٤٨هـ)، مكتبة الفاتح، تركيا، رقم ٤٢٠١.

٦- **تاج العروس**: للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: نخبة من المحققين، سلسلة التراث العربي، الكويت، نشر على سنوات متعددة.

شعر عمر بن شاهنشاه الأيوبي (ت ٥٨٧ هـ)

٧- **تاريخ ابن الوردي**: لزين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت ٧٤٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م

٨- **تاريخ إربل**: لابن المستوفي الإربلي (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: سامي الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.

٩- **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**: لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣ م.

١٠- **ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب**: للمرتضى الزبيدي، حققه واشترك عليه: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م.

١١- **تقي الدين عمر الأيوبي أمير حماة**: لرشيد عبد الله الجميلي، مجلة الأستاذ، مجلة كلية التربية، بغداد، المجلد ٢، ١٩٧٨م.

١٢- **التكملة لوفيات النقلة**: لعبد العظيم المنذري (ت٦٥٦هـ)، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

١٣- **حياة الحيوان الكبرى**: لكمال الدين الدميري (ت ٨٠٨ هـ)، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٥م.

١٤- **خريدة القصر وجريدة العصر**: للعماد الأصفهاني الكاتب (ت٥٩٧ هـ): بداية قسم شعراء الشام: تحقيق: شكري فيصل، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٦٨ م.

١٥- **الدارس في تاريخ المدارس**: لعبد القادر بن محمد النعيمي (ت ٩٢٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م.

١٦- **دراسات في الأدب الأيوبي**: لناظم رشيد، دار المناهج، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

١٧- **دول الإسلام**: لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: حسن مروة، ومحمود الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

١٨- **ديوان الملك الأمجد** (ت ٦٢٨ هـ): تحقيق: ناظم رشيد، العراق عام ١٩٨٣م.

١٩- **ديوان تاج الملوك الأيوبي** (ت ٥٧٩ هـ): جمع وتحقيق ودراسة: د. محمد عبد الحميد سالم، دار هجر، بمصر، ١٩٨٨م.

٢٠- **ذيل خريدة القصر وجريدة العصر**: للعماد الأصفهاني (ت٥٩٧ هـ)، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، ومحمود خلف البادي، دار كنان، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

٢١- **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**: لعبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، أبو شامة (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٢- **زبدة الحلب من تاريخ حلب**: لابن العديم (ت ٦٦٠ هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة،، ط١ ١٩٩٧م.

٢٣- **السلوك لمعرفة دول الملوك**: لتقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٤- **سير أعلام النبلاء**: لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٩٩٣م.

٢٥- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

٢٦- **شعر أسعد بن مماتي** (ت ٦٠٦هـ): جمع وتحقيق: سعود عبد الجابر، وعبد الرؤوف زهدي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ٧٠، العدد ١، يناير ٢٠١٠م.

٢٧- **شعر أسعد بن مماتي** (ت ٦٠٦هـ): نظرات وإضافات: إبراهيم راشد، وعبد الرزاق حويزي، مجلة عالم الكتب، السعودية (قيد النشر).

٢٨- **شعر خاصة الأيوبيين**: لعامر خلف طعمة، مجلة سر من رأى، مج٢، ع٢، ٢٠٠٦م.

٢٩- **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**: لأحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦ هـ)، تحقيق: د. ناظم رشيد، العراق، ١٩٧٩م.

٣٠- **طبقات الشافعية**: لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.

٣١ - **طبقات الشافعية الكبرى**: لعبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٢- **العبر في خبر من غبر**: لشمس الدين الذهبي

(ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٣٣- **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك**: للملك الأشرف إسماعيل بن العباس الغساني (ت ٨٠٣هـ)، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، ١٩٧٥م.

٣٤- **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)**: لبدر الدين محمود العيني (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: محمود رزق، دار الكتب المصرية، ط٢، ٢٠١٠م.

٣٥- **الفتح القسي في الفتح القدسي**: لعماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ)، دار المنار، ٢٠٠٤م.

٣٦- **الكامل في التاريخ**: لعز الدين علي، المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي وغيره، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٣٧- **كنز الدرر وجامع الغرر**: لعبد الله الدواداري، تحقيق: سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.

٣٨- **المحمدون من الشعراء وأشعارهم**: للقفطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: رياض مراد، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٨م.

٣٩- **المختصر في أخبار البشر**: لعماد الدين إسماعيل أبي الفداء (ت ٧٣٢ هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ط١.

٤٠- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**: لعفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت؛ لبنان، ط١، ١٩٩٧ م

٤١- **المسالك والممالك**: لعبد الله البكري الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، تحقيق: أدريان فان ليوفن، وأندري فيري، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢م.

٤٢- **مضمار الحقائق وسر الخلائق**: لمحمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الأيوبي، (ت ٦١٧هـ)، تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة.

٤٣- **معجم البلدان**: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

٤٤- **معجم اللغة العربية المعاصرة**: لأحمد مختار عمر وآخرين، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٤٥- **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**: لابن واصل (ت٦٩٧هـ)، تحقيق د: جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٤٦- **المكان عند شعراء بني أيوب**: نضال الخفاجي، ماجستير، كلية التربية للبنات بغداد، ٢٠٠٢م.

٤٧- **مملكة حماة الأيوبية**: لأحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٤م.

٤٨- **الموسوعة الشعرية** (CD): المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٣م.

٤٩- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**: لابن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ)، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

٥٠- **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**: لبهاء الدين بن شداد (ت٦٨٤هـ)، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.

٥١- **الوافي بالوفيات**: للصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: نخبة من المحققين، دار النشر: فرانز شتاينر، نشر على سنوات متعددة.

٥٢- **وفيات الأعيان**: لابن خلكان (ت ٦٨٢هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.

رابطان إلكترونيان:

53 - /http://majles.alukah.net/t118543

54-/http://www.startimes.com/f.aspx?t=15571867

المؤلفون المجهولون في تراثنا العربي

أحمد عطية
الإسكندرية – جمهورية مصر العربية

هذه ظاهرة يرصدها كل مشتغل بالتراث العربي، خاصة في علم الفهرسة منه، وهو العلم الذي تقوم على أساسه إعداد قوائم لعدد من المخطوطات في مكتبة ما، وذلك بذكر عناوينها ومؤلفيها، وتاريخ تأليفها ونسخها، ومقدمتها وخاتمتها، مع وصف للنسخة التي بين يدي المفهرس لبيان ما أصابها خلال رحلتها الطويلة على مر السنين، ثم بيان عدد المخطوطات في هذه المكتبة، وحصر النسخ المختلفة للمخطوط الواحد، وبيان المجموعات الكبرى التي تحوي عددًا من المخطوطات في داخلها، وتحديد بداية ومنهى كل مخطوط منها...إلى غير ذلك من مهام هذا العلم الخطير، الذي توكل إليه مهمة الكشف عن تراثنا العربي وحصره وإتاحته للباحثين في فروع العلم المختلفة؛لتعم به الفائدة،ويتحقق الهدف المرجو من ورائه.

ولكن الناظر في قوائم أو فهارس المخطوطات في عدة مكتبات مختلفة، يلحظ ظاهرة غريبة، غالبًا ما تتكرر بين هذه القوائم، وهي ظاهرة غياب المؤلف أو الجهل به، ومن ثم غياب هذا الجهد العلمي الذي قد يكون له قيمة كبرى في حياتنا العلمية، وهنا ليس أمام المفهرس إلا أن يكتب في خانة المؤلف لفظة مجهول أو غير معروف، وهذه ظاهرة مقلقة، يصاب على إثرها المعنى بالتراث بنوع من الهم.يقول د. صلاح الدين المنجد:نصادف أحيانًا مخطوطًا فقدت ورقته الأولى التي تظهر اسم الكتاب والمؤلف، وفقد آخره أيضًا، فلابد في هذه الحالة من بذل كل جهد لاكتشاف المخطوط والوصول إلى معرفته[1].

ويقول الأستاذ عابد سليمان المشوخي – واصفًا هذه المشكلة: وقد تصل إلينا بعض المخطوطات دون عنوان إطلاقًا، فلا شيء مرقوم على وجه الورقة الأولى، وليس له ذكر في مقدمة المخطوطة، ولا أثر له في نهاية المخطوطة، بل ولا ذكر لاسم المؤلف فيها أيضًا[2].

ويقول في موضع آخر – مؤصلاً للمشكلة: إن التحقق من صحة العنوان [والمؤلف] ليس أمرًا

مقالات

سهلاً؛ لأسباب عديدة منها: فقدان الورقة الأولى أو بضع ورقات من أول الكتاب وآخره، وهذه الأوراق تحتوي في الغالب على اسم المؤلف وعنوان المخطوطة ومكان النسخ واسم الناسخ وتاريخ النسخ، إضافة إلى ما قد أضافه القراء أو المتملكون من معلومات قد تكون مفيدة جدًا[٣].

وخطورة هذه القضية تتمثل في عدة أمور:

أولاً: إن عدد المؤلفين المجهولين في معظم فهارس المخطوطات ودور الكتب ليس بالعدد الهين، فالمتأمل في فهرس أي دار أو خزانة من خزائن المخطوطات يستطيع أن يرصد عددًا كبيرًا من المخطوطات مجهولة المؤلف.

ثانيًا: يترتب على ذلك عدم الاعتناء بهذا الكتاب من قبل الباحثين، خاصة هؤلاء الذين يشتغلون على تراثنا العربي تحقيقًا ونشرًا، إلا في حالات نادرة جدًا، ضياع جهد علمي ربما يكون له قيمة كبرى في حياتنا العلمية، فقد يكون هذا المخطوط الذي صنفناه بأنه مجهول المؤلف؛ لمؤلف من مشاهير علماء العرب أو في فن من الفنون النادر الكتابة فيها، ككتب غريب الكلام مثلاً أو يعالج قضية من القضايا الكبرى التي قامت بسببها خصومات في فكرنا العربي على مر العصور، وما زال لها رواسب إلى اليوم أو يضيف إلى رصيد المكتبة العربية ديوانًا لأحد الشعراء الكبار الذين لم يصلنا من إنتاجهم الأدبي إلا القليل..إلى غير ذلك.

ثالثًا: وغالبًا ما يلحق الجهل بالمؤلف الجهل بالعنوان أيضًا، فيصنع المفهرس عنوانًا من عنده يعتمد - في أغلب الأحوال - على وصف لفن المخطوط، وهو غالبًا ما يكون وصفًا معتمدًا على ثقافة المؤلف، وتصفحه لبعض الأوراق الأولى من المخطوط، كأن يقول مثلاً: كتاب في الطب أو رسالة في الفلسفة أو كتاب في الفقه أو كتاب في الأدب... إلى غير ذلك، وغالبًا ما ينتج عن ذلك عدم الوصف الدقيق لفن المخطوط، والمجال العلمي الذي يعالجه، ومن ثمَّ ضياع المحتوى أمام المشتغل في هذا الفن، وهذه ظاهرة خطيرة تفقد ما تبقى من أمل في العثور على عنوان المخطوط ومؤلفه الحقيقي.

رابعًا: وغالبًا ما يترتب على عدم الاعتناء بالمخطوط من قبل المفهرس أو علم الفهرسة، عدم الاعتناء به من قبل علوم التراث الأخرى لعلم الترميم وعلم النشر، فغالبًا ما يتحدد مجال عمل هذه العلوم على المعلوم من المخطوطات أو الأهم منها، ومن ثمَّ يتعرض المخطوط مجهول المؤلف لعوامل الزمن التي تنتهي به في نهاية الأمر إلى التلف نهائيًا والضياع بلا رجعة.

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة الخطيرة في تراثنا العربي ما جاء في فهرس مكتبة دير الإسكوريال الإسبانية مثلاً[٤]، والتي تحوي ما يزيد على ستة آلاف مخطوط، والتي صنع قوائمها مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية؛ حيث ورد فيها أكثر من خمسمائة عنوان لمؤلف مجهول، وهذا أمر - في الحقيقة - جد خطير؛ لأن بهذا ما يقارب عُشر محتويات المكتبة مجهول الهوية، تحت عناوين من صنع المفهرسين أنفسهم، كأن يقولوا كتاب في كذا...أو رسالة في كذا... معتمدين في ذلك على فن المخطوط في الأغلب الأعم، وهذا أمر تقديري يعتمد - في الكثير منه - على ثقافة المؤلف.

المؤلفون المجهولون في تراثنا العربي

ويحتوى هذا الجزء - مجهول المؤلف - على عناوين من الخطورة بمكان، ولا يلتفت إليها أحد بسبب دخولها تحت دائرة المجاهيل في تراثنا العربي، مثل تلك المخطوطة التي تقع تحت رقم ٨٨٤/ ٢٤٠ تحت عنوان: أسئلة وأجوبة في الطب، وتقع في عدد أوراق ٨١ ورقة، وهي ناقصة من أولها، ضمن مجموعة من ورقة ٨٤ب إلى ورقة ١٦٤ أ، أولها..... الصفراءُ و المرةُ السوداءِ،ما قوة الدم؟ حار رطب.. ما قوة البلغم؟ بارد رطب، ما قوة الصفراء حارة يابسة، ما قوة المر باردة يابسة.. أصناف البلغم خمسة و مائتي..

ويتضح من المتن قيمة هذه المخطوطة، وقيمة الفن الذي كتبت فيه، ويتضح كذلك أن العنوان الذي أطلق عليها وألصق بها، هو من صنع المفهرس، وغاية النظر إلى هذه المخطوطة هي كتاب في الطب مجهول المؤلف؛ لا يلتفت إليه أحد من الباحثين إلا مصادفة، وهذه إشكالية كبرى يتعرض إليها جزء كبير من تراثنا العربي بسبب دخوله تحت دائرة المجاهيل.

ومن ذلك أيضًا المخطوطة رقم ٥١٨/١٧٩٧، والتي حملت عنوان: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم[٥]، ووقعت في ٢١٢ ورقة، ولا شك أن هذا العنوان من صنع المؤلف؛ حيث اعتمد على ما جاء في المقدمة على وضع عنوان للكتاب، إلا أنه بعد ذلك تظل أكثر من مائتي ورقة من تراثنا العربي مهددة بخطر الضياع بسبب دخولها تحت دائرة المجاهيل.



(الورقة الأولى من مخطوطة ناقصة من أولها، من مجموعة الإسكوريال تحت رقم ٥١٨/١٧٩٧)



(الورقة الثانية من مخطوطة الإسكوريال بعنوان أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم)

وكتاب الجامع في الفقه، الذي يقع تحت رقم ١١٩٥/٣٢١ في عدد أوراق ١٠٤ ورقة، والمخطوطة التي تحمل عنوان: ديوان شعر، وتقع تحت رقم ٤٨٤/٢٨ في عدد أوراق ١٢٢ ورقة، تحت فن الأدب العربي؛ لمؤلف مجهول...إلى غير ذلك كثير من صفحات تراثنا العربي التي يحكم عليها في نهاية

مقالات

الأمر بالضياع، ولك أن تتخيل أكثر من خمسمائة عنوان تحت هذه الدائرة – دائرة المجاهيل – في مكتبة واحدة، هي مكتبة دير الإسكوريال الإسبانية، ولا أريد أن أطيل في الأمثلة حتى لا يتحول الأمر إلى ثبت للمخطوطات مجهولة المؤلف ويأخذنا من الموضوع الأساس وهو مناقشة القضية، ومحاولة الوصول إلى سبلٍ للحل.

وفي بعض الأحيان يتم التخفيف من حدة الأمر بأن يرد عنوان المخطوط على صفحة الغلاف، ولكن لم تذكره كتب التوثيق المختلفة، ولم تشر إلى مؤلفه، فلم يجد المفهرس إلا أن يسنده لمؤلف مجهول، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في نفس مكتبة دير الإسكوريال من عناوين أمثال: أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر[٦] تحت رقم ١٨٧٧/ ٥٣٥،ورد له توثيق في إيضاح المكنون (١/ ٤٤)[٧] واللباب المختصر لأهل البدايات والنظر تحت رقم١٣٦٩/ ٣٩٩،وبلاغة الأعراب١٨٣٧/ ٥٢٦، وكتاب المقصود١٧١/ ٥٤، والعقود المنظومة والآثار المرقومة تحت رقم ١٥٥١/ ٤٥٤، وأسباب التنزيل تحت رقم ١٩١٦/ ٥٤٦... إلى غير ذلك من المخطوطات التي تضم آلاف الصفحات من تراثنا العربي، والتي يمكن من خلال الكشف عنها أن نضيف إلى رصيدنا العلمي حلقات أخرى ربما سبب فقدها فجوة في مرحلة عمرية ما.

هذا مثال واحد لمكتبة من المكتبات الكبرى التي تحوي درر تراثنا العربي، ناهيك عن مكتبات أخرى كثيرة من أمثال: دار الكتب المصرية أو معهد المخطوطات العربية أو بلدية الإسكندرية أو مكتبة الإسكندرية أو المكتبة البريطانية التي تحوي أكثر من ١٤٠٠٠ مخطوط من تراثنا العربي، بالإضافة إلى المكتبات التركية التي نقلت إليها درر التراث في فترة الخلافة العثمانية، كمكتبة كوبرلي زادة، والمكتبة السليمانية، ومكتبة نور عثمانية... وغيرها من المكتبات في العالم.

ولكن ما الأسباب التي أدت إلى نشأة هذه المشكلة، ووجودها بهذه الصورة المروعة في تراثنا العربي؟ هناك- في الحقيقة- أسباب كثيرة نحاول أن نلقي الضوء على بعضها في النقاط الآتية:

١- الطمس الذي يصيب الصفحات الأولى من المخطوطة، ويكون بسبب تعرضها لعوامل الزمن بسبب سوء التخزين في بعض الأحيان، مما ينتج عنها رطوبة زائدة قد تؤثر على صفحة الغلاف والصفحات الأولى منه، وهي الصفحات التي تحوي معلومات مهمة عن هوية هذا المخطوط من حيث مؤلفه، وعنوانه، ورحلته عبر العصور المختلفة التي تزودنا بها التملكات والأوقاف التي على هذه الصفحات، وليس أمام المفهرس في هذه الحالة إلا اللجوء إلى خاتمة المخطوط؛ لعل المؤلف يكون قد ذكر فيها ما يفيد تمام كتابه الذي هو بعنوان كذا...أو يحاول قراءة ما ورد على المتن إذا تخلل الطمس الذي حواه بعض الكلمات التي يمكن قراءتها.



مثال لمخطوط مطموس من أوله، بعنوان: الجامع في الفقه، الذي يقع تحت رقم ١١٩٥/ ٣٣١ في عدد أوراق ١٠٤ ورقة (إسكوريال)

المؤلفون المجهولون في تراثنا العربي

٢- نقص الصفحات الأولى من المخطوط، وهي الصفحات التي تحمل معلومات عن عنوان المخطوط ومؤلفه، بالإضافة إلى معلومات أخرى قد تكون مهمة في تحديد هوية المخطوط الذي بين أيدينا، وأغلب المخطوطات التي تدور في فلك مجهولي المؤلف ناقصة من أولها، وفي بعض الأحيان من آخرها، وفي حالة ورود الخاتمة تكون خالية من معلومات تفيد في مسألة الوصول إلى كنه المخطوط الذي بين أيدينا، والأمثلة على ذلك كثيرة في تراثنا العربي؛ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تقع تحت الحصر، إلا بعد جهد طويل ومعاناة حقيقية مهمومة بذلك التراث الذي ما زلنا نخطو الخطوات الأولى في علومه. قال د. صلاح الدين المنجد: نصادف أحيانًا مخطوطًا فقدت ورقته الأولى التي تظهر اسم الكتاب والمؤلف، وفقد آخره أيضًا، فلابد في هذه الحالة من بذل كل جهد لاكتشاف المخطوط والوصول إلى معرفة هويته؛ وإذا كانت مقدمة المخطوط موجودة فيمكن الرجوع إليها؛ فقد يكون فيها اسم المؤلف أو اسم الكتاب.



مثال لمخطوط ينقص من أوله من مجموعة الإسكوريال تحت رقم ١١٨٨/ ٣٣٠

٣- أما السبب الثالث من أسباب دخول مخطوط ما في دائرة المجاهيل، هو أن المخطوط كتب بلغة أخرى غير العربية، كالفارسية والتركي، ففي هذه الحالة يتعجل المفهرس، ويثبت في خانة العنوان: كتاب باللغة الفارسية أو التركية لمؤلف مجهول، مع أن هذا الكتاب الذي تعجل فيه المفهرس، ربما يكون من الكتب التي تحمل معلومات مهمة في موضوع ما، خاصة وأن عددًا من علمائنا العرب كتبوا بلغات أخرى غير العربية، كالفارسية مثلاً، بل أكثر من ذلك فإن بعضهم كان من أصل غير عربي، وهم طائفة الموالي الذين زخر بهم تراثنا العربي على مرور قرون طويلة.

والرجوع إلى أهل التخصص في هذه الحالة قد يساعد المفهرس إلى التوصل إلى العنوان الحقيقي للمخطوط ومؤلفه، والذي قد يكون مثبتًا على صفحة الغلاف باللغة التي كتب بها المتن، ولكن لجهل المفهرس بهذه اللغة وتعجله في التعامل مع المخطوط، يثبت عنوانًا مغايرًا يعتمد فيه على لغة المخطوط التي كتب بها، من ذلك مثلاً المخطوط رقم ١٣٢/٦٩ من مخطوطات المكتبة الملكية بتورينو[٨] (مصورات مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية)؛ حيث كتب باللغة الفارسية، ويعود تاريخ نسخه إلى سنة ١١٤٩ هجرية، ويقع في ١٢٠ ورقة، ووضع له المفهرس عنوانًا يتمثل في: مجموع باللغة الفارسية.



مثال لمخطوط بالمكتبة الملكية بتورينو تحت رقم ٦٩/ ١٣٢كتب باللغة الفارسية

٤- والسبب الرابع من أسباب كثرة المؤلفين المجهولين في تراثنا العربي قد يرجع إلى أنه في بعض الأحيان يرد العنوان فقط دون اسم مؤلفه على صفحة غلاف المخطوطة، وربما بين سطور مقدماتها، وسكوت كتب التوثيق والتراجم عن هذا العنوان، ككشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، وذيله المسمى بإيضاح المكنون[٩]، وهدية العارفين للبغدادي، ومعجم المؤلفين لكحالة، والأعلام للزركلي... إلى غير ذلك من كتب التوثيق. وهنا يجد المفهرس نفسه في حيرة كبرى أمام هذا العنوان الذي لم يستطع الوقوف على مؤلفه، من ذلك مثلاً المخطوط الذي يقع تحت رقم ٤٧/١٢٣ من مخطوطات المكتبة الملكية بتورينو، والذي يقع تحت عنوان مجموع الفوائد، في ١٢٢ ورقة،وهو عنوان سكتت عنه معظم كتب التراجم؛ لذلك نسبه المفهرس إلى مؤلف مجهول.

ومن ذلك أيضًا المخطوط الذي يقع في مكتبة دير الإسكوريال تحت رقم ٢٨٠/ ٨٢ (مصورات مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية)؛ حيث جاء بعنوان: منظر الشعراء ومزهر الأمراء، وهو عنوان غير موجود في كتب التراجم والأخبار، ولم يجد المفهرس أمامه إلا أن يثبت هذا المخطوط لمؤلف مجهول، والأمثلة على ذلك كثيرة. ومنه أيضًا: ذلك المخطوط الذي يقع تحت رقم ٩٧/٣٢٨ مكتبة الإسكوريال[١٠] بعنوان: تلخيص قلائد النحور من جواهر البحور؛ للحجازي.

٦- أما السبب الخامس فإنه يعود إلى المفهرس نفسه، فربما نقص خبرته تكون هي العائق في سبيل التوصل إلى العنوان الصحيح للمخطوط ومؤلفه الحقيقي؛ لذلك فمجال الفهرسة مجال يحتاج إلى دربة وخبرة؛ وذلك لخطورة ما يتوقف عليه، فتجهيل مؤلف ما معناه ضياع إنتاجه إلى أجل غير مسمى، بل وضياع جزء من تراثنا قد يكون هو الأهم من بين أجزاء أخرى؛ لذلك يقول الأستاذ: عابد المشوخي: إن فهرسة المخطوطات ليست أمرًا هينًا، وعملاً يسيرًا يقوم به من شاء كما يشاء ممن عانى تحقيقًا لنص أو نشر لرسالة أو قراءة في مخطوطة، بل هو فن قوامه الهواية، وسداه الخبره ولحمته الدربة الطويلة، والدراسة العميقة الدقيقة لكل جانب جمالي وصناعي وفكري في المخطوطة[١١]. فالمؤلف في بعض الأحيان قد يلغز في ذكر عنوانه واسمه على صفحة الغلاف، وهذا الإلغاز يحتاج من المفهرس إلى خبرة لفك شفراته، من ذلك ما ورد في المخطوطة رقم ٢٣٦٦

من مخطوطات المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف المصرية؛ حيث ورد على الورقة الأولى منها فوق البسملة: (سيد تصورات)، وهذا أمر يوقع المفهرس في حيرة بالنسبة لعنوان المخطوطة، ولكن بالبحث تبين أن عنوان هذه المخطوطة هو: حاشية على تحرير القواعد المنطقية؛ للقطب التحتاني في شرح الرسالة الشمسية؛ للكاتبي؛ لمؤلفها: السيد الشريف الجرجاني، المتوفى ٨١٦ هجرية. وهنا يمكن تفسير ما ورد على صفحة الغلاف هكذا: كلمة (سيد) تشير إلى السيد الشريف، مؤلف الحاشية، وكلمة (تصورات) تشير إلى الجزء الثاني من الرسالة الشمسية، فهي عبارة عن تصديقات وتصورات.



(مثال لمخطوطة ملغزة ضمن مخطوطات المكتبة المركزية التابعة لوزارة الأوقاف المصرية)

كانت هذه هي بعض الأسباب التي من الممكن أن تكون السبب من وراء دخول مخطوط ما تحت دائرة المجاهيل في تراثنا العربي، وهي دائرة اتسعت أطرافها، خاصة بعد نشأة علم الفهرسة والكشف عن محتويات دور الكتب وخزائن المخطوطات.

ولم يبق أمامنا في هذا البحث إلا أن نعرض لبعضٍ من سبل الخروج من الأزمة - إن صح القول - وهي سبل ينبغي الاهتمام بها ومحاولة تفعيلها ما أمكن الأمر؛ لأن الأمر يتعلق بهويتنا وثقافتنا، وهذه السبل تتمثل فيما يأتي:

أولاً: محاولة حصر النسخ مجهولة المؤلف من كل المكتبات والخزائن ودور الكتب التي تحوي مخطوطات، ما أمكن الأمر، وإعداد قوائم بها، وتكوين لجنة متخصصة من خبراء أو مستشاري التراث العربي؛ لوضع آلية للتعامل مع هذا الكم الهائل من المخطوطات التي فقدت هويتها بسبب عوامل عدة ناقشناها فيما سبق، ولعل هذا مشروع كبير يحتاج إلى تضافر قوى بين المؤسسات المختلفة المعنية بالدرس التراثي.

ثانيًا: الرجوع إلى أهل التخصص في الفن الذي كتب فيه المخطوط أو اللغة التي كتب بها؛ لأن أهل كل فن هم أعرف الناس بما كتب فيه، وهم الأقدر على التفرقة بين إنتاج مؤلف وآخر، فبعضهم يستطيع من خلال قراءة صفحات من المخطوط مجهول المؤلف أن يحدد عنوانه ومؤلفه.

ثالثًا: يقول د. صلاح الدين المنجد: إذا كانت مقدمة المخطوط موجودة فيمكن الرجوع إليها، فقد يكون فيها اسم المؤلف أو اسم الكتاب.

إذا كانت المقدمة غير موجودة، فيجب مطالعة المخطوط لمعرفة موضوعه، وقد نصادف في داخل النص إشارات إلى المؤلف أو إلى اسمه، وإلا فيجب الرجوع إلى كتب المصادر لمعرفة ما قد ألف في موضوع الكتاب، فقد يمكن التخمين، ثم الاهتداء إلى معرفة المؤلف أو الكتاب(١٢).

ثالثًا: الاعتماد على ما يسمى بملحقات النص في محاولة الوصول إلى هوية المخطوط، وهذه الملحقات تتمثل في: نوع الورق الذي كتب عليه المخطوط أو ما يسمى بحوامل النص، والخط الذي كتب به، وما عليه من تملكات وأوقاف وسماعات وإجازات...

إلى غير ذلك من الملحقات أو ما يسمى بدراسة كوديكولوجية النص(١٣)، التي قد تساعد في بعض الأحيان في تحديد الزمن الذي كُتب فيه المخطوط، ومن ثمَّ حصر المؤلفين الذين كتبوا في فنه في هذا العصر، ومحاولة المقارنة بين أساليبهم المختلفة، وترجيح أي الأساليب أقرب إلى أسلوب المخطوط الذي نحاول الكشف عن هويته.

وفوق كل ذلك " ينبغي على المفهرس أن يقوم بقراءة المخطوطة كلها بكل دقة وإمعان وروية لتحديد موضوع الكتاب، وتسجيل أي إشارة يذكرها المؤلف، مثل ذكره لأحد شيوخه وبعض الكتب التي نقل منها، وهذا يؤدي إلى تحديد الفترة التي عاش فيها المؤلف، ثم يلجأ المفهرس إلى المصادر التي تذكر أسماء من كتب في فن الكتاب المجهول، وترجيح عدد من العناوين أو أسماء المؤلفين، ثم يقوم بمقارنة هذا الكتاب بنسخ أخرى كاملة للعناوين التي رجحها "(١٤).

وكذلك «مقارنة المخطوطة بالفهارس المتوفرة التي تذكر الأبواب والفصول مثل: فهرس مكتبة برلين، وبعض فهارس مكتبة الظاهرية (التي تسمى اليوم مكتبة الأسد) وأمثالهما من الفهارس الأخرى»(١٥).

وكذلك الاستعانة بالفهارس التي جمعت المخطوطات التي كتبت بخط مؤلفيها، إذا كان هناك شك أن المخطوط كتب بخط المؤلف.(١٦)

وأخيرًا: محاولة الاعتماد على المستحدثات التكنولوجية ما أمكن الأمر، فالعديد من المكتبات الآن صنعت لها مواقع إلكترونية، وطرحت عليها فهارسها، وفي بعض الأحيان بعضًا من مخطوطاتها، فربما لو كتب المفهرس - مثلاً- بعض الكلمات من بداية مخطوطة ناقصة من أولها وآخرها على أحد محركات البحث المختلفة؛ لصادف نسخة أخرى من هذه المخطوطة معلومة العنوان والمؤلف، ومن ثمَّ يستطيع من خلال المقارنة أن يصل إلى كنه المخطوط الذي بين يديه، وهذه غاية كبرى من غايات إدخال المستحدثات التكنولوجية إلى خدمة علوم تراثنا العربي.

الحواشي

(١) قواعد فهرسة المخطوطات العربي، د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ص ٧٢.

(٢) فهرسة المخطوطات العربية، عابد سليمان المشوخي، مكتبة المنار للطباعة والنشر، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١٩٦.

(٣) المخطوطات العربية (مشكلات وحلول)، عابد سليمان المشوخي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٢١هجرية، ٢٠٠١ميلادية، ص ١٢.

(٤) انظر: الفهرس الإلكتروني مكتبة دير الإسكوريال الإسبانية، صُنع مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية.

(٥) فهرس مجموعة الإسكوريال، مرجع سابق، رقم ٥١٨/١٧٩٧.

(٦) فهرس مجموعة الإسكوريال، رقم ٥٢٥/١٨٧٧

(٧) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل البغدادي، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٨) انظر: فهرس المكتبة الملكية بتورينو، صنع مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية، ٦٩/ ١٢٢.

(٩) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل البغدادي، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)استانبول، ١٩٤١ م-معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣ م- هدية العارفين – أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١٠) فهرس مجموعة الإسكوريال، مرجع سابق، رقم ٩٧/٣٢٨.

(١١) فهرسة المخطوطات العربية، مرجع سابق، ص ١٩١.

(١٢) قواعد فهرسة المخطوطات العربي، مرجع سابق، ص٧٢.

(١٣) يراجع في ذلك :معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، أحمد شوقي بنبين، مصطفى = طوبي، الطبعة الثانية، الخزانة الحسنية بالرباط، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤ م.

(١٤) فهرسة المخطوطات العربية، عابد سليمان المشوخي، مكتبة المنار للطباعة والنشر، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ١٩٦

(١٥) المخطوطات العربية (مشكلات وحلول)، عابد سليمان المشوخي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٢١هجرية، ٢٠٠١ميلادية، ص ١٥

(١٦) يراجع في ذلك: فهرس المخطوطات الأصول (ق ٤هـ – ١١هـ) صنعة تامر الجبالي، تقديم د. فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهر ٢٠١١م (وهو من الكتب المهمة في بابها).

المصادر والمراجع

- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، إستانبول، ١٩٤٥م.
- تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين،نقله إلى العربية د. عرفة مصطفى، وراجعه د. محمود فهمي حجازي ود. سعيد عبد الرحيم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤ م.
- الفهرست، للنديم، تحقيق نخبة من الأساتذة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م)
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله) استانبول، ١٩٤١ م.
- لسان العرب، لابن منظور (تحقيق أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط٢)
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣ م.
- هدية العارفين – أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من

كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٥م.
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، د. أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ص ٥٢٥-٥٢٦.
- قواعد فهرسة المخطوطات العربي، د. صلاح الدين المنجد،دار الكتاب الجديد، ص ٧٢-٧٤.
- فهرسة المخطوطات العربية، عابد سليمان المشوخي، مكتبة المنار للطباعة والنشر، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م.
- المخطوطات العربية (مشكلات وحلول)، عابد سليمان المشوخي، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٤٢١هجرية، ٢٠٠١ميلادية.
- معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، أحمد شوقي بنبين، مصطفى طوبي، الطبعة الثانية، الخزانة الحسنية بالرباط، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
- فهرس المخطوطات الأصول (ق ٥هـ - ١١هـ) صنعة تامر الجبالي، تقديم د. فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهر ٢٠١١م (وهو من الكتب المهمة في بابها).
- الفهرس الإلكتروني مكتبة دير الإسكوريال الإسبانية، صُنع مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندرية.



ظاهرة كتب العجائب والغرائب في التراث العربي الإسلامي

د. خالد التوزاني
فاس – المملكة المغربية

مقدمة

إن التوجه إلى التراث «ليس فقط لتفرده، وإنما لأنه متصل بأعماقنا، كثير من عناصره مستمرة في حياتنا الحاضرة، ومؤثرة أكثر مما نتصور»[1]. ومن ثم، لا يمكن إهمال ما يحفل به التراث العربي الإسلامي من ظواهر أدبية وإبداعية أصيلة لها أهميتها في تأريخ الفكر والإبداع العربيين. ولعل ظاهرة كتب العجائب والغرائب من أبرز الظواهر الثقافية التي تؤثث الخزانة العربية الإسلامية بنمط من المصنفات النادرة والمؤلفات المثيرة للدهشة والحيرة والمنتجة لجماليات من نوع خاص تعكس غنى الثقافة العربية وشموليتها وفي الآن ذاته تستبطن جوانب من العبقرية العربية زمن النهوض.

يزخر التراث العربي الإسلامي بسرود تقليدية دشنت «أدب العجيب» في الإبداع العربي؛ حيث شكّلت اتجاهًا في الكتابة مخصوصًا، وقد ساعد على ذلك عشق العرب الاستماع إلى الأحاديث الغريبة والأخبار الطريفة، فكان سوق العجيب رائجًا، ومبدع هذا الفن مكرمًا محبوبًا عند الناس، ومقربًا من الملوك والسلاطين، فعلى سبيل المثال، «قرب هارون الرشيد إليه أبا السّري، الشاعر الذي ادعى رضاع الجن، ووضع كتابًا في أمرهم تضمن حِكمهم وأنسابهم وأشعارهم، وزعم أنه بايعهم للأمين ولي العهد، فصار من خاصة الخليفة وأهله، وقال له: إن كنت رأيت ما ذكرت، لقد رأيت عجبًا، وإن كنت ما رأيته، لقد وضعت أدبًا»[2].

ويؤكد هذا الخبر ولع الخاصة والعامة بالأحداث غير المألوفة، واستجابة الأدباء لهذه الرغبة، من خلال نوع من المؤلفات التي وُسمت بكتب «التمرد الفني الأصيل»[3]، من صنف «التوابع والزوابع»[4]، و«رسالة الغفران»[5]، وغيرهما من الكتابات الإبداعية، التي راهنت على «المرور، من العجيب إلى ما هو أعجب»[6]، عبر توسيع دائرة الخيال

الخلاق إلى أقصى ما يمكن بلوغه.

كما استفاد تأليف العجيب من الرصيد الكبير الذي يضمه الدين الإسلامي من الأمور غير المألوفة، والتي تتجاوز قدرات البشر وطاقاتهم، ويتعلق الأمر بمعجزات الرسل والأنبياء وقصص الصالحين وكرامات الأولياء، ووظّف أيضًا مما يحفل به التراث العربي القديم أو الجاهلي من قصص الكائنات الخارقة، ولم يكتف الإبداع العربي بتوظيف مكونات الدين والتراث والثقافة في صناعة العجيب وإغناء رصيد المكتبة العربية بمصنفات فريدة يصعب النسج على منوالها أو تقليدها، وإنما استعان أحيانًا بعجائب ثقافات أخرى؛ حيث ترجم عبد الله بن المقفع أبرز الخرافات الهندية، المتمثلة في كتاب «كليلة ودمنة" الذي «جعل الحكمة والكلام البليغ، على ألسنة البهائم والطير"[7]، وعلى الرغم من اختلاف النقاد العرب حول هذا الكتاب، هل هو ترجمة ابن المقفع أو تأليف له[8]، إلا أنه شكل تحولاً في مسار الحكي العجيب، الذي أصبح كلامًا في الممنوع، وغدا توظيف كلام الحيوان نوعًا من التوازن، «بين عمل غير منطقي ابتدعه الخيال، وحادث لا يمكن التصريح به مباشرة بسبب الخوف والكبت"[9]، وهكذا تفاعل المبدع العربي مع كل ما يمكن أن يخدم تأليف نصوص عجيبة وغريبة، لم تنل إعجاب المتلقي العربي فحسب، وإنما حظيت كذلك بتقدير الإنسان الغربي، الذي استلهم منها ما عزز به إبداعه في هذا الفن[10].

نماذج من كتب العجائب والغرائب

عرف التراث العربي الإسلامي ضربًا من المؤلفات اشتُهرت بكتب العجائب والغرائب، حاولتْ رصد كل أمر غريب غير مألوف، ونذكر من تلك الكتب على سبيل المثال لا الحصر: «عجائب البحر" لهشام بن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ وقيل: ٢٠٦هـ)، وله أيضًا «العجائب الأربعة" وهما من الكتب المفقودة[11]، و"عجائب الدنيا" للمسعودي (ت ٣٤٦هـ)، و"المسالك والممالك" لأبي القاسم ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ)[12]، و"عجائب البلدان" لأبي دُلف الينبوعي (ت ٣٨٥هـ)، و"فنون العجائب في أخبار الماضيين من بني إسرائيل وغيرهم من العباد والزاهدين" لأبي سعيد النقاش (ت ٤١٤ هـ)، و"غرائب التفسير وعجائب التأويل" لبرهان الدين الكرماني المعروف بتاج القراء (ت ٥٠٥هـ)، و"مختصر عجائب الدنيا" لابن وصيف شاه (ت ٥٩٦ هـ)، و"عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات" للقزويني (ت ٦٨٢هـ)، «آثار البلاد وأخبار العباد" للقزويني أيضًا[13]، و"نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" للدمشقي (ت ٧٢٧هـ)[14]، و"عجائب المقدور في أخبار تيمور" لابن عربشاه (ت ٨٥٤هـ)، و"نزهة الأمم في العجائب والحكم"[15] لابن إياس الحنفي (ت٩٠٨هـ)، و"عجائب الملكوت" للكسائي (كان حيًا قبل ١٠٠٤ هـ)... وغيرها من الكتب التي يصعب حصرها أو عدها؛ حيث تشكل مدونة ضخمة من المصنفات تستحق الاستقصاء والدراسة.

أما الموضوعات الغريبة التي تناولتها بعض الكتب، فباب واسع يفضي إلى فنون كثيرة؛ مثل السحر والحيل وخوارق العادات، إلى جانب موضوعات الطرافة والهزل والسخف والمجون، وكذلك كتب المسامرات والتسلية، والأحاجي والألغاز، وكتب الذم والهجاء، والمثالب والردود.. ونحوها من موضوعات جدية أو هزلية، ارتبطت بنوع من الغرابة والعجب، وحفل بها التراث العربي؛

حيث شكلت جزءًا كبيرًا من مواده.

يمكن أن يدخل في السياق ذاته، العديد من الكتب المتعلقة بالملاحم والفتن والحروب، وأخبار الحيوان والملائكة والجن والشياطين، وأحوال الخلق ووصف الآخرة.. فضلاً عن كتب الرحلات والجغرافيا والحكايات وكتب التراجم والمناقب والسير الشعبية وكرامات الصوفية... حيث وحّد تلك الأعمال عشق العجيب والنادر والمختلف.

هكذا، أدى اهتمام الأدباء والكُتاب برصد الأمور التي كان اجتماعها نادرًا، وتسجيل غرائب الأخبار ودرر الفوائد، التي يقفون عليها أثناء مطالعاتهم لكتب متفرقة، إلى ظهور أنماط من الكتابة الطريفة، «فيطلقون على هذه الطرائف عادة اسم «فائدة" أو «نادرة"، وإذا وقفوا على مثل هذه الفوائد في قراطيس قديمة أو في دفاتر وأوراق، لا في مؤلفات، يسمونها «وجادات"، وإذا سمعوها من أفواه شيوخهم أو أقرانهم ومعاصريهم، فإن كانت نثرًا تسمى «إفادة"، وإن كانت شعرًا تسمى «إنشادة"، وكانوا يودعون كل ذلك سجلاً يسمى عند المغاربة «كناشة"[16].

من أبرز الأمثلة التي يمكن الاستدلال بها على الكتابة الطريفة، نجد كتاب «الإفادات والإنشادات"[17]، الذي يعد صنفًا من التآليف التي «تعنى بجمع مختارات من الطرائف والنوادر والفوائد النثرية والشعرية، التي يرويها المؤلفون عن أشياخهم وأصحابهم، في مواضيع مختلفة، ويهدف إلى الإحاطة بالفوائد العلمية (...) وتوفير زاد من المعارف التي قد لا يربطها سلك يجمعها لتشحذ الأذهان، وتؤنس المجالس.."[18]، وتشبع فضول الناس من غريب ونادر. وقد عرف هذا النوع من التأليف، رواجًا في الأوساط العلمية، وهو في نظرنا نوع من تلقي العجيب قبل إعادة إنتاجه؛ حيث يوحي بنوع من العجائب التي أثارت عجب النخبة العالمة، فكما يُعد لكل عصر عجائبه، فإن لكل صنف من الناس عجيبه وما يحيره ويأخذ بلبه وفكره؛ إذ ليس عجيب الخاصة كعجيب العامة، ولسنا هنا في سياق المفاضلة وإنما في اتجاه إبراز الخصوصيات داخل نوع من التكامل والانفتاح.

يمكن أن يندرج، ضمن الكتب التي ترصد العجيب والغريب وتحاول تفسيره وتأويله، كتب غريب القرآن والحديث، ونذكر منها، على سبيل التمثيل لا الحصر: «التيسير العجيب في تفسير الغريب"[19]، و"النهاية في غريب الحديث والأثر"[20]، وغيرهما.

يندرج كذلك، ضمن غرام جمع الأخبار الغريبة والطرائف البعيدة واللطائف الرقيقة: كتاب الفراسة[21]، الذي ضم بين دفتيه بعض الأخبار النادرة والطريفة من قضايا الفقه الإسلامي، وكذلك كتاب لطائف المعارف[22]، جمع ما تفرق في غيره من النوادر العجيبة في اللغة والتي يقل تداولها بين الناس، و"زهرة الأكم في الأمثال والحكم"[23]، و"مختارات أحمد تيمور طرائف من روائع الأدب العربي"[24]، وغير ذلك، مما يطول تتبعه ويضيق المجال عن استيعابه.

من غرائب التأليف وصناعة الكلام في بعض الكتب، كتابة النصوص التي تُقرأ على أوجه عدة، وموضوعات مختلفة، مثل كتاب «عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي"[25]، جاء على شكل أعمدة وجداول ملونة؛ فأول عمود يقرأ في موضوع العروض، وما بعده في

مقالات

التاريخ، يليه النحو، وآخر الأسطر القوافي، وقراءة النص بأسطره المتصلة بالصورة المعتادة فقه.

على غرار ذلك، يأتي كتاب «النفحة المسكية والتحفة المكية»[٢٦]، وهي رسالة في بضع صفحات ألفها السيوطي في مكة خلال يوم واحد؛ وعند قراءة الرسالة كلها في سياق متصل فهي في علم النحو، وعند تقطيع الرسالة إلى جمل في جداول طويلة يتغير مفهوم الكلمات وسياقها فتتوزع على علوم العروض ثم المعاني ثم البديع، وأخيرًا ترجمة المؤلف التي تتألف من حروف الأسطر المرتبة بعناية فائقة عند قراءتها من أعلى إلى أسفل.

في السياق ذاته، يأتي كتاب «طرح المدر لحل الآلاء والدرر»[٢٧]، عبارة عن مواعظ في الحياة والسلوك وردت في سياق متصل غير مبوب، ولا ترى فيه أثرًا للنقط على الحروف، فجميع نصوصه الشعرية والنثرية من الحروف المهملة؛ أي غير المنقوطة. ولعل ظاهرة الكتابة الغريبة، تعود إلى جمالية اللغة العربية التي تتيح إمكانات كبيرة في تركيب الحروف وإنشاء المعاني، إذا صادفت مؤلفًا متذوقًا لجمالياتها، عارفًا بآدابها، أمكنه ذلك التنسيق بين الحروف وإبداع كلام غير مألوف، خاصة من حيث التركيب النادر الذي يؤلف بين المتباعدات فيصنع التعبير العجيب الذي يُقبل عليه المتلقي بلهفة فيدونه خشية ضياعه؛ حيث تنتج غرابة اللغة عن سببين: الأول راجع إلى التأليف العجيب الذي يبدع غرائب الإنشاء اللفظية، والثاني يعود إلى استدعاء النادر من صيغ العربية ومعاني بعض الكلمات، التي يندر استعمالها أو معرفتها[٢٨]، إلى غير ذلك من الكتب التي يصعب حصرها أو عدها[٢٩].

تأتي غرابة الكتب أحيانًا من صياغة العناوين الملغزة والمسجوعة، كما في بعض كتب الجاحظ[٣٠] وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي[٣١]، وغيرهما، وبعض العناوين يمكن أن تكون انعكاسًا للموضوع الغريب للكتاب، مثل كتاب: «تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب»[٣٢]؛ حيث يقر ذلك محقق هذا الكتاب قائلاً: «مثل هذا الموضوع يدعو لتعجب واستغراب الكثيرين من المثقفين فكيف الحال بالنسبة لعامة الناس»[٣٣].

لعل الحضور المكثف لكتب العجائب في التراث العربي، راجع إلى أن «المحكي القديم كان في مجمله محكومًا بالتعجيب»[٣٤]، فنظرة القدامى إلى الواقع كانت نظرة في حد ذاتها عجيبة، ولا ينبغي أن يُفهم من ذلك، أنها كانت محاولة لتضليل القارئ، بقدر ما هي دالة على صراحة العربي القديم مع نفسه؛ لأن ما استوعبه عقله وأحاط بأسبابه علمًا وبيانًا، فسره تفسيرًا طبيعيًا، وما عجز عقله عن استيعابه من الظواهر والأحداث - وإن كانت تنتمي إلى واقعه الحقيقي- قذف به إلى التفسير الغيبي أو فوق الطبيعي، مما فتح الباب واسعًا أمام المخيلة ورفع وتيرة التعجيب، ليصبح العجيب «خطابًا يُضمر كما يُعلن أيضًا عن خلفيات تخدم أغراضًا متعددة»[٣٥]، وإن كان أغلبها أو ظاهر بعضها يدور في مدار الدين، امتثالاً للثقافة الإسلامية السائدة والضابطة للإبداع في كثير من الأحيان، مما يفسر انشغال جزء كبير من كتب العجيب، بتصوير العجائب والغرائب تصويرًا دقيقًا، وتفخيمها وتعظيمها حتى تتجلى عظمة الله وجميل قدرته، من خلال عظمة مخلوقاته، فينطلق لسان المرء بالتسبيح؛ حيث «شكلت هذه التآليف على اختلاف مشاربها، أدبًا جليلاً يحفزه الإيمان،

ويمتزج فيه الديني بالعلمي، ويتمازج فيه الواقعي بالخيالي.. حتى بات صورة من صور المنظومة الفكرية العربية الإسلامية"[٣٦].

كتابة العجيب: من المفزع إلى الممتع

من الواضح أن الكتابة التي تتوسل العجيب والغريب ليست جديدة على الأدب العربي، فهي تشكل نمطًا من التأليف له مكانته في هذا الأدب، وله أصول وروافد ترجع لحقبة ما قبل رسالة الإسلام، بل إن بعض الكتب تذهب بعيدا في الحديث عن مخلوقات عجيبة يفترض أنها كانت موجودة قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام، وهي الأمم الذي يذكرها المسعودي قائلاً: «ومنها أمة طوال زرق ذات أجنحة، كلامهم فرقعة (...) ومنها أمة لها وجهان قدامها وخلفها وأرجل كثيرة وكلامهم كلام الطير (...) ومنها أمة لكل واحد منهم رأسان ووجهان كوجوه الأسد طوال لا يفهم كلامهم.."[٣٧]؛ حيث يتوسع في وصف كائنات غريبة الأشكال والأحجام لم يذكر انتماءها إلى جنس محدد، كالإنسان أو الحيوان أو النبات. ويحفل المتخيل العربي بنماذج أخرى لكائنات عجيبة أو وحوش خرافية، مثل: «الغول" و"شق الكاهن" و"سطيح الكائن" و"زرقاء اليمامة"..؛ حيث تمارس تلك المخلوقات أثرها المفزع والممتع في الآن ذاته على المتلقي القديم لهذا النمط من الأدب العجيب، نظرًا لمواصفات هذه المخلوقات التي لا تشبه ما هو موجود في الطبيعة، ولا صلة لها بالواقع سوى أنها تركيب لعدة كائنات لا تستقر على شكل معين، فهي دائمة التحول والتغير، ومن ثم، فهي تمارس تأثيرها المفاجئ والمرعب على المتلقي، في كل مرة يستمع فيها لحكاية تروي عجائب هذا الكائن وتصف قدراته الخارقة؛ فالغول بوصفه كائنًا عجيبًا «يمكنه الظهور بمظاهر شتى، مرعبة غالبًا، ويكون له أحيانًا شكل إنسان وساقا حمار، وأحيانًا أخرى يكون له رأس هر..."[٣٨]، أما «شق الكاهن"، فله «يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة"[٣٩]، و"سطيح الكاهن" ليس له عظم ولا بنان، كان يطوى مثل الحصير (...) وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق"، أما «زرقاء اليمامة"، فلقوة بصرها «كانت ترى فلك القمر، فتخبر عنه بأشياء عجيبة"[٤٠]. وما تلك إلا أمثلة يسيرة مما يفيض به التراث العربي من العجائب التي يصعب عدها أو الإحاطة بها، والتي تصنع الخوف وتلقي بظلال الرعب على المتلقي، فكيف تحوّل العجيب في الأدب العربي من المفزع إلى الممتع؟

إذا كان حياة الإنسان العربي القديم قائمة على الترحال وكثرة الأسفار والتنقل، فإن بعض الحكايات العجيبة كانت تشكل عائقًا أمام تنقله بحرية وأمان؛ حيث تصنع في ذهنه صورًا مفزعة لكائنات عجيبة، مهمتها «تضليل المسافرين"[٤١]، ويأتي «الشق" و"الغول" على رأس تلك المخلوقات التي تخرج للمسافر إذا كان وحده، ولكثرة ما كانت تُروى مثل هذه القصص، صدقها الإنسان العربي وآمن بها إيمانا راسخًا، فلا غرابة أن يتحدث عن رؤيته لها وصراعه معها؛ حيث يضيف إليها عجيبًا آخر، مثل ادعائه قتلها وتغلبه عليها، ولا يكتفي بوصف بطولاته وانتصاراته عليها، وإنما يحمل معه من آثارها الدليل المادي على شجاعته وبسالته، فهذا تأبط شرًا يزعم «أنه لقي الغول في مكان بالحجاز يدعى رحا بطان، وجرى بينه وبينها محاربة، وأنه قتلها وحمل رأسها إلى الحي، وعرضها عليهم حتى يعرفوا شدة جأشه وقوة جنانه"[٤٢]. و"قد ذكر جماعة من الصحابة منهم

عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام، وأن الغول كانت تتغول له وأنه ضربها بسيفه، وذلك قبل الإسلام"[٤٣].

وكأن مثل هذه الحكايات تريد أن تقول أن مفارقة الديار والتنقل بين البلدان، عمل لا يقدر عليه سوى الأبطال والشجعان، ونظرًا لمكانة الشاعر في البيئة العربية، فإن الشعراء يجب أن يتصفوا بشدة الجأش وقوة القلب، فلا ترهبهم النيران التي كان يوقدها الغيلان بالليل لتضليل المسافر وإخافته، بل إن أصوات تلك الكائنات العجيبة، تتحول إلى لحن يطرب له الشاعر، ويصير لهيب نيرانه ألوانًا زاهية يستمتع بها، وفي هذا المعنى، «قال أبو المطراب:

فلله در الغول أي رفيقة

لصاحب قفر خائف وهو معبر

أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت

حواليَّ نيرانا تلوح وتزهر"[٤٤]

حيث تتحول مظاهر الرعب والفزع التي ينتجها الكائن العجيب (الغول مثلا)، إلى تجليات للجمال واللذة، وبدل أن يشعر القلب بالخوف والوجل، فإنه يطرب ويترنم، وتلك قدرة لا يتصف بها سوى الأبطال من الشعراء وعلية القوم. والغريب أن صراع الإنسان العربي مع بعض المخلوقات العجيبة، تجاوز العداوة والحروب، إلى نوع من الأنس والمودة، بلغ حد الزواج من الكائن العجيب وإنجاب الذرية منه؛ حيث تذكر بعض القصص زواج عمر بن يربوع بن حنظلة بالسعلاة[٤٥] التي بقيت معه زمنًا، وولدت منه، حتى رأت ذات ليلة برقًا على بلاد السعالي، فطارت إلى أهلها الذين كانوا قد زعموا له، أنه سيجدها خير امرأة ما لم تر برقًا، وكانوا يزعمون أن السعالي، تمقت البرق فتنفر منه[٤٦]؛ حيث إن العلاقة الحميمية بين الإنسان والكائنات العجيبة (السعلاة، الجن..) تعبر عن تطلع الإنسان إلى عالم الكمال الحسي في الوصال الجنسي، خاصة عندما تعجز الزوجة الآدمية عن إشباع مثل هذا الطموح الشبقي، الذي لا يتطلع إليه سوى الأبطال من الشعراء والفرسان، يقول الشاعر:

كيّب إن هَويتُ ذلك منها

ومتى شئت لم أجد غير بِكْر

بنت عمرو خالها مِسْحَلُ الخير

وخالي هميم صاحب عمرو[٤٧]

يبدو أن توظيف الجن في الأدب العربي، كان شيئًا متداولاً ومألوفًا، خاصة حكايات العشق بين الثقلين؛ فقد تضمنت «ألف ليلة وليلة" نماذج من عشق الجن للإنس، وعشق البشر للجن، وكذلك «سيرة سيف بن ذي يزن"، التي تتكرر فيها قصة «الجان الذي يخطف البنات الإنسيات لأنه يحبهن، ثم يخلصهن البطل.."[٤٨]. ولعل ذلك، يذكرنا بقصص زواج الآلهة والبشر في الأساطير الإغريقية القديمة، مما يمكن أن نستنتج من خلاله، أن القصص العجيب الذي يوظف الكائنات الخارقة مثل الجن وغيره، تعكس أحلامًا قديمة لتطلعات الإنسان، في تخلصه من بعض العوامل التي تعوق حصوله على ما يريد، فبمساعدة الكائن الخارق، أصبح ممكنًا تحقيق كل الأحلام؛ ولذلك، لا عجب أن يكثر الحديث عن العلاقات بين الإنس والجن[٤٩]، عند الشعراء خاصة[٥٠]؛ نظرًا لكونها علاقات عجيبة تخرق المألوف والمتعارف

عليه بين الناس، تفنن القصاصون في إبرازها وتناولها. وقد عكس الإبداع الأدبي ذلك الطموح الشبقي في الحصول على ما هو غير مرتبط بحدود البشر وإمكاناتهم؛ حيث شكّل حضور المخلوقات العجيبة أحد العناصر المكونة لبناء القصيدة العربية(٥١)، وعكس هموم هذا الإنسان وانشغالاته في أدق تفاصيلها ونتوءاتها الداخلية، فليست «فكرة الغول أو الجن" – في تقديري- سوى تجسيد للقلق الوجودي والخوف الإنساني الكامن في أعماق الإنسان من أخيه الإنسان، الذي يتحول من عطاء المحبة والخير، إلى عطاء الأذى والشر. ومن ثم، لم يكن حضور العجيب في الإبداع العربي، ترفًا جماليًا أو تشكيلاً فنيًا لدفع الرتابة والملل، بقدر ما كان تعبيرًا عن أنماط من الوجود القلق، وتجسيدا لآمال كبيرة، لم تقدر حواجز الواقع الطبيعي وحدوده على تلبيتها، فكان تدخل الكائنات فوق الطبيعية، «التي تحقق معجزات يعجز الإنسان عن أدائها"(٥٢)، أمرًا ضروريًا لإعادة التوازن والاستقرار إلى حياة الإنسان.

يضاف إلى ما سبق، ما تذكره كتب العجائب من قصص عجيبة، تنتهي إلى أيام العرب البائدة، مثل قصة «الملك الطاغية عمليق مع العروس المسماة الشموس"، وقصة «عوج بن عناق" الذي يروى أنه «كان يحتجز السحاب فيشرب منه، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله"(٥٣). إلى غير ذلك، من الحكايات القديمة جدًا، ناهيك عن السير الشعبية ذات الطابع البطولي المغرق في التعجيب، مثل: «سيرة عنترة"، و"سيرة سيف بن ذي يزن"، و"الزير سالم"، و"الأميرة ذات الهمة"، و"أبي زيد الهلالي"، وغيرها. وهناك أيضًا، مقامات بديع الزمان الهمداني، ومقامات الحريري، وموسوعات الأمثال العربية؛ ونخص بالذكر موسوعتين: الأولى للميداني، والثانية للزمخشري، وهناك مؤلفات السحر والتنجيم في التراث العربي؛ مثل شمس المعارف الكبرى، وتذكرة العارفين.. وغير ذلك، مما قد يطول المقام بتتبعه، ويضيق المجال عن استيعابه، فهو باب واسع وعريض لا تنتهي حدوده، والغاية من ذكر بعضه، هي الوقوف على ظاهرة كتب العجائب والغرائب في التراث العربي الإسلامي، وتشكيلها رصيدًا معرفيًا وجماليًا يمكن أن يقدم للباحثين والدارسين خدمة جليلة في الكشف عن خصوصيات الذهنية العربية وعقلية الإنسان العربي.

خاتمة

على الرغم من أن التراث العربي الإسلامي يحفل بمدونة ضخمة من كتب العجائب والغرائب إلا أن هذه المدونة لم تحظ باهتمام النقاد العرب القدامى، وقد حاول محمد أركون تبرير ذلك الإهمال الذي طال هذه النصوص، بوجود نظرة تحقيرية لهذا النمط من الأدب(٥٤)؛ حيث تم إدراجه «داخل دائرة العقائد الخرافية والأدب الشعبي؛ أي ضمن مستوى من الفعالية الثقافية المتدنية"(٥٥)، وليس ذلك فحسب بل وُجِدت فتاوى تحرم تداول بعض الكتب(٥٦)، كما وقف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) من بعض العجائب التي أوردتها كتب التاريخ والسير من أمثال المسعودي والطبري وسواهما موقف المنكر لها، الداعي إلى إيجاد

رؤية عقلانية، تبتعد عن غريزة الخرافة، وأرجع هذه المرويات العجيبة إلى اعتماد ناقليها على تأويل سلبي غير فاعل[٥٧]. وخصص الجاحظ بابًا في «الحيوان" عنونه بـ "باب من ادعى من الأعراب والشعراء أنهم يرون الغيلان ويسمعون غرين الجان"[٥٨]. وغير ذلك من محاولات تهميش كتب العجائب ومحاربة تداولها وانتشارها، مما انعكس سلبًا على طبيعة تمثلها من قبل الدارسين.

إن إدراج كتب العجائب ضمن «الفنون الأدبية الشعبية"[٥٩] التي تجمع بين الخرافة والأسطورة[٦٠]، و"تهيمن عليها الخوارق من سحر وجن وفعل غير معقول، متحررة من المنطق الصارم للزمكان"[٦١]، لم يكن يخلو من نظرة ازدراء وتحقير؛ «ولذلك لا نجد مثل هذه النصوص متداولة إلا شفهيًا ووسط شرائح اجتماعية خاصة"[٦٢]، مما أسهم في ترسيخ النظرة السلبية لأدب العجيب بوصفه أدبًا شعبيًا أو موروثًا شفهيًا لا يرقى لاهتمامات النخبة، ولا يجوز دراسته علميًا، الشيء الذي أخَّر دراسته، حتى سبقنا الغرب إليه.

قاد الخروج عن المألوف العديد من المبدعين إلى حتوفهم، فقدموا حياتهم ضريبة لموهبة رأى فيها الآخرون انحرافاً لم يحتملوه؛ فقد قتل (طرفة ابن العبد) بأمر من ملك لم يتحمل خروجه عن المألوف ولم يستسغ سلوكه، ودفع المتنبي حياته ثمناً لخياله الشعري الذي صاغ فيه طموحه، فهجا من هجا، وفخر بنفسه ما رأى فيه الآخرون تجاوزاً عن حدود ألفوها، وكانت نهايته بحسب ما ترويه بعض الروايات، بسبب أحد أبيات من قصيدة له:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ومن المبدعين مَنْ كان ثمن إبداعاته صحته وأمنه واستقراره، خاصة حين لا يجد المبدع التقدير والتقبل من الآخرين، فيتعرض للإهمال والتهميش، ثم للاضطراب والقلق جراء ما قد يمارس عليه من الضغوطات والتحذيرات بسبب ميله إلى الأدب غير الرسمي أي ما هو هامشي مبتذل غير مرحب به.

يظهر أن التمييز بين الأدب الرسمي والأدب الشعبي، هو تمييز بين الثقافة العالمة والثقافة الشعبية؛ حيث إن الفارق بينهما «يكمن في الفاصل بين الرسمي والهامشي"[٦٣]، وتبعًا لذلك، «إن سمتي العجيب والغريب تكاد تختص بهما الثقافة الشعبية ذات العقلية «الساذجة" التي تجد في الخرافات والخوارق عالمًا رحبًا، تتجمع فيه أحلامها غير القابلة للتحقق واقعيًا، بحكم سيطرة الطبقة المتحكمة سياسيًا وعلميًا في منابع التأثير المادي والرمزي"[٦٤]؛ ولذلك كان الاحتيال بالعجيب وحكايات الحيوان سبيلًا لحجب المعاني غير المرحب بها؛ إذ «بين الحكمة والقارئ يقف السلطان، ولابد لها من مراوغة هذا لبلوغ ذلك"[٦٥]؛ ولا يعني هذا، أن العجيب لم تعرفه النخبة، وإنما مصدر هذا التمييز هو تباين التلقي واختلافه، فالثقافة العالمة عرفت كذلك العجيب، إلا أن عجيبها يختلف عن عجيب العامة، فما يثير حيرة هذه الفئة قد لا يثير حتى انتباه الفئة الأخرى، إلا أن ما ينبغي التأكيد عليه هو أن الكتابة العجيبة لم يخفت بريقها أبدا؛ حيث ظلت تستقطب اهتمام القراء وتثير ردود فعل متباينة.

إن خروج الكتابة الإبداعية عن المألوف ينفخ في النصوص جماليات ترتقي من مألوف الكلام إلى مصاف الأدب الجميل؛ حيث «يتميز الأدب عن اللاأدب بالغرابة والخرق والانزياح، فإذا كان اللاأدب أساسه الألفة والكلام العادي والأسلوب السفلي المنحط، فإن الأدب يقوم على الإغراب والإبعاد والتغريب والإبهام والإيهام والتخريب لما هو سائد ومنطقي ومألوف. ويعني ذلك، أن «الأدب هو الغرابة والخروج عن الألفة وماهو سائد.»[(٦٦)] ومن هنا يمكن القول، إن ظاهرة كتب العجائب والغرائب في التراث العربي الإسلامي تمثل انعكاسًا لتحولات المجتمع العربي عبر التاريخ وحصيلة تطلعاته المستمرة نحو الانفلات من ألفة الواقع ورتابته، ومن ثم فإن الاهتمام بهذه الظاهرة يمكن أن يفيد في الكشف عن جوانب خفية من سر العبقرية العربية في أزمنة النهوض والارتقاء.

الحواشي

١- جمال الغيطاني، **منتهى الطلب إلى تراث العرب: دراسات في التراث**، دار الشروق، القاهرة، ط:١، ١٩٩٧م، ص:٨.

٢- عبد الله إبراهيم، **السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٠م، ص: ٨٦.

٣- عبد الفتاح الشادلي، **العجيب السحري في المسرح المغربي: خطاب فرجة السحر**، مط. أنفو- برانت، فاس، ط:١، ٢٠٠٩م، ص:٦٤.

٤- ابن شُهيد الأندلسي، أبو عامر أحمد بن أبي مروان (ت ٤٢٦هـ)، رسالة **التوابع والزوابع**، تحقيق: بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت، ط:١، ١٩٦٧م.

٥- أبو العلاء المعري، **رسالة الغفران**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٠م.

٦- سعيد جبار، **التوالد السردي: قراءة في بعض أنساق النص التراثي**، جذور للنشر، الرباط، ط: ١، ٢٠٠٦م، ص: ١٢٢.

٧- عبد الفتاح كليطو، "زعموا أن.." : ملاحظات حول كليلة ودمنة بين الرواية والسرد الكلاسيكي، مجلة: **آفاق**، ع:١٢، أكتوبر ١٩٨٣م، ص:٨٠.

٨- ينظر مقال فاروق خورشيد: كليلة ودمنة: تأليف لا ترجمة، ضمن: **عالم الأدب الشعبي العجيب**، دار الشروق، القاهرة، ط:١، ١٩٩١، صص:١٦٤-١٨٠.

٩- نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:١، ١٩٧٤م، ص:٩٣.

١٠- ينظر: لوسيان بورنيبه، المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية، ترجمة: ابتهال يونس، مجلة: **فصول**، ع: ٣، ١٩٨٣، وأيضا: محمد غنيمي هلال، **الأدب المقارن**، دار العودة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٣م، وهي مراجع تحدثت عن تأثر الغرب بكتابات العرب.

١١- ينظر: هشام بن الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، **مثالب العرب**، تحقيق: نجاح الطائي، دار الهدى، بيروت، ١٩٩٨م، ص:٨.

١٢- ينظر: شوقي ضيف، **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، ط:٤، ١٩٨٧م، ص:١٢-١٥، وكذلك: عبد القادر زمامة، ابن حوقل في المغرب والأندلس، مجلة: **دعوة الحق**، ع: ٨، السنة: ٨، ١٩٦٥م، ص: ٩٨-٩٩.

١٣- ينظر: شوقي ضيف، **الرحلات**، مرجع سابق، ص:٢١٢٦.

١٤- ينظر: محمد أحمد عقلة المومني، وعبد علي الخفاف، **دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي**، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، ٢٠٠٠م، ص: ١٠١-١٠٩.

١٥- ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٠٨هـ)، **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط:١، ١٩٩٥م.

١٦- محمد الفاسي، **دراسات مغربية (من وحي البيئة)**، عيون المقالات، ط:٢، ١٩٩٠م، ص: ١٢٥.

١٧- لمؤلفه الإمام الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي(ت ٧٩٠هـ)، وهو أول من استعمل هذا العنوان من المغاربة (ينظر: محمد الفاسي، المرجع السابق)، واستعمله بعده آخرون، منهم محمد الصغير

الإفراني (ت ١١٥٥هـ) الذي أبدع أول معارضة لإفادات وإنشادات الشاطبي. (ينظر: **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م، ص:٦٨)، وكتب في هذا الصنف عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت ١٣٨٢هـ) وعبد الحفيظ الفاسي (ت١٣٨٣هـ).

١٨- عبد الله التجمي، الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني، ضمن: **متنوعات محمد حجي**، مرجع سابق، ص: ٦٨، نقلا عن: محمد أبو الأجفان، من مقدمة تحقيقه لكتاب: **الإفادات والإنشادات** لأبي إسحاق الشاطبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٦م، صص:٦-٥٧.

١٩- ابن المنير، ناصر الدين أبو العباس (ت ٦٨٣هـ)، **التيسير العجيب في تفسير الغريب**، تحقيق: سليمان ملا إبراهيم أوغلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٩٩٤م.

٢٠- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك (ت ٦٠٦هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م.

٢١- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ)، **الفراسة**، تحقيق: صلاح أحمد السامرائي، المكتبة الوطنية، مطبعة الزمان، بغداد، د.ط، ١٩٨٦م.

٢٢- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (٣٠٤هـ)، **لطائف المعارف**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٢٧٩هـ.

٢٣- اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود (ت ١١٠٢هـ)، **زهرة الأكم في الأمثال والحكم**، تحقيق: محمد حجي، ومحمد الأخضر، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط:١، ١٩٨١م.

٢٤- أحمد تيمور، **مختارات أحمد تيمور: طرائف من روائع الأدب العربي**، دار الكتاب العربي بمصر، ط:١، ١٩٥٦م.

٢٥- ألفه: ابن المقرئ، شرف الدين أبو محمد إسماعيل بن أبي بكر (ت٨٣٧هـ) وطُبع مرات كثيرة، كان أولها في المطبعة العزيزية في حلب، سنة ١٢٩٤هـ، بتحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري.

٢٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، **النفحة المسكية والتحفة المكية**، تحقيق: السائح علي حسين، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، د.ط، ١٩٩٢م، وكان قد طُبع قبل ذلك مرات كثيرة؛ في لاهور وبومباي.

٢٧- من تأليف: يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربيني (كان حيا ١٠٩٨هـ)، نشر: مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، ط:١، ١٢٥٠هـ.

٢٨- للاطلاع على نماذج من غرائب اللغة، ينظر: رفائيل نخلة، **غرائب اللغة العربية**، دار المشرق، بيروت، ط:٤، ١٩٨٦م.

٢٩- للاطلاع على بعض النماذج المنتقاة من نوادر الكتب، ينظر: محمد خير يوسف، **نوادر الكتب: غريبها وطريفها**، مكتبة العبيكان، الرياض، ط:١، ١٩٩٤م.

٣٠- من كتبه: "التربيع والتدوير"، و"البرصان والعرجان والعميان والحولان".

٣١- من كتبه: بلوغ المآرب في أخبار العقارب، والوديك في فضل الديك، وطرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة، وآكام العقيان في أحكام الخصيان، ومنهل اللطائف في الكنافة والقطائف، إلى جانب عناوين أخرى وردت في آخر كتابه: **الفارق بين المصنف والسارق**، تحقيق: هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م، ص:١٨١.

٣٢- ابن المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف الدميري البغدادي (ت ٣٠٩هـ)، **تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب**، تقديم ودراسة وتحقيق: عصام محمد شبارو، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢م، ويشتمل على جملة من العجائب المرتبطة بالكلب وأنماط سلوكه الغريبة.

٣٣- عصام محمد شبارو، من مقدمة تحقيقه لكتاب: **تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب**، مرجع سابق، ص: ٥.

٣٤- شعيب حليفي، **شعرية الرواية الفانتاستيكية**، دار الحرف للنشر والتوزيع، القنيطرة، ط: ٢، ٢٠٠٧م، ص:٥١.

٣٥- المرجع نفسه، ص: ٥٢.

٣٦- وحيد السعفي، **العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن: تفسير ابن كثير أنموذجًا**، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط: ١، ٢٠٠٧م، ص: ٢٥.

٣٧- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ابن علي (ت٣٤٦هـ)، **أخبار الزمان**، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠م، صص: ٢٢-٢٣.

٣٨- يوسف شلحد، **بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده**، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٦م، ص: ٤٨.

٣٩- الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن عيسى (ت٨٠٨هـ)، **حياة الحيوان الكبرى**، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٢م، ج:١، ص: ٤٠٣.

٤٠- المسعودي، أخبار الزمان، مصدر سابق، ص: ١٢٤.

٤١- يوسف شلحد، **بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده**، مرجع سابق، ص: ٤٨.

٤٢- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي (ت ٦٨٢هـ)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ط، د.ت)، ص: ٩٢.

٤٣- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ابن علي (ت٣٤٦هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط: ٤، ١٩٦٤م، ج:٢، ص: ١٥٥.

٤٤- المصدر نفسه، ص: ١٥٧.

٤٥- السعلاة هي أنثى الغول، وقيل هي ساحرة الجن، واسْتَسْعَلَتِ المرأةُ صارت كالسِّعْلاة خُبْثاً وسَلاطَةً. ينظر: **لسان العرب**، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، مادة: سعل.

٤٦- الجاحظ، أبو عثمان (ت٢٥٥هـ)، **الحيوان**، تح: عبد السلام محمد هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط:٢، ١٩٦٥م، ج: ٦، ص: ١٩٧، وينظر أيضًا: عبد الملك مرتاض، **الميثولوجيا عند العرب** (دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٩م، ص: ٣٧، وكذلك: فاروق خورشيد، **عالم الأدب الشعبي العجيب**، مرجع سابق، ص: ١٦٠.

٤٧- أحمد شمس الدين الحجاجي، **الأسطورة في الأدب العربي**، كتاب الهلال، دار الهلال للطباعة، ١٩٨٣م، ص: ١٢٠.

٤٨- فاروق خورشيد، **عالم الأدب الشعبي العجيب**، مرجع سابق، ص: ٤٤.

٤٩- يخصص ابن النديم في "الفهرست" بابًا كاملاً بعنوان: " أسماء عشاق الإنس للجن وعشاق الجن للإنس ". ينظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت٤٣٨ هـ)، **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، ط:٢، ١٩٩٧م، ص: ٣٧٢، وحول العلاقات بين الإنس والجن، ينظر كتاب: **غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة**، تأليف: بدر الدين محمد بن عبد الله الشبلي (ت ٧٦٩هـ)، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط:١، ١٩٨٣، (موضوع: مناكحة الجن، ص: ٨٥).

٥٠- خصص الأصفهاني مواضع متفرقة من كتابه "**الأغاني**" للحديث عن علاقة الشعراء بالجن، ينظر: أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ط: ٥، ١٩٨١.

٥١- أحمد شمس الدين الحجاجي، **الأسطورة في الأدب العربي**، مرجع سابق، ص: ١١٤.

٥٢- نمر سرحان، **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، مرجع سابق، ص: ١٠٤.

٥٣- فاروق خورشيف، **عالم الأدب الشعبي العجيب**، مرجع سابق، ص: ١٣٥.

٥٤- محمد أركون، **الفكر الإسلامي: قراءة علمية**، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي- المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٦م، ص: ٢١١.

٥٥- المرجع نفسه، ص: ١٨٧.

٥٦- ينظر بعض الأمثلة ضمن: سعيد يقطين، **الكلام والخبر: مقدمة في السرد العربي**، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط:١، ١٩٩٧م، ص: ٦١.

٥٧- ضياء الكعبي، **السرد العربي القديم: الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥م، ص: ٥٢.

٥٨- الجاحظ، **الحيوان**، مصدر سابق، الجزء السادس.

٥٩- محمد الفاسي، **دراسات مغربية (من وحي البينة)**، مرجع سابق، ص: ١٢٧.

٦٠- ينظر: محمد حجو، **الحكي الشعبي بين الخرافة والأسطورة: دراسة سيميائية في الحكاية الشعبية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف: محمد مفتاح، نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، جامعة السلطان مولاي سليمان، سنة ٢٠٠٢م، ينظر كذلك: يونس لوليدي، **الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية**، مطبعة أنفو- برانت، فاس، ط:١، ١٩٩٦.

٦١- مصطفى يعلى، **القصص الشعبي بالمغرب: دراسة مرفولوجية**، المدارس، الدار البيضاء، ط:١، ٢٠٠١م، ص:٧٠.

٦٢- سعيد يقطين، تلقي العجائبي في السرد العربي الكلاسيكي: غزوة وادي السيسبان نموذجًا، ضمن: **نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٢م، ص: ١٠٠.

٦٣- صابر الحباشة، العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن: منطق السرد أم حجاجية الدلالة؟، مجلة: **مقاربات**، ع:٢، المجلد:٢، ربيع ٢٠٠٩م، ص:٢٧.

٦٤- المرجع والصفحة نفسهما.

٦٥- توفيق بكار، المنهج الجدلي في تحليل القصص؛ جدلية الحكمة والسلطان، ضمن: **القراءة والكتابة**، منشورات جامعة تونس الأولى، كلية الآداب بمنوبة، ١٩٨٩م، ص: ٧٠.

٦٦- جميل حمداوي، **الحداثة النقدية في كتاب "الأدب والغرابة" لعبد الفتاح كليليطو**، متاح على الشبكة من خلال الرابط الآتي:

http://www.doroob.com/?p=12283

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

١- **آثار البلاد وأخبار العباد**، زكريا القزويني، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

٢- **أخبار الزمان**، المسعودي، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٠م.

٣- **الأدب المقارن**، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٣م.

٤- **الأسطورة بين الثقافة الغربية والثقافة الإسلامية**، يونس لوليدي، مطبعة أنفو- برانت، فاس، ط:١، ١٩٩٦م.

٥- **الأسطورة في الأدب العربي**، أحمد شمس الدين الحجاجي، كتاب الهلال، دار الهلال للطباعة، القاهرة، ١٩٨٣م.

٦- **الأغاني لأبي الفرج علي بن الحسين**، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت، ط: ٥، ١٩٨١م.

٧- **الإفادات والإنشادات لأبي إسحاق الشاطبي**، تح: محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٦م.

٨- **بنى المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده**، يوسف شلحد، تر: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، د.ط، ١٩٩٦م.

٩- **تفضيل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب**، ابن المرزبان، تق، ود، وتح: عصام محمد شبارو، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٩٢م.

١٠- **التوابع والزوابع**، ابن شُهيد الأندلسي، تح: بطرس البستاني، مكتبة صادر، بيروت، ط:١، ١٩٦٧م.

١١- **التوالد السردي**: قراءة في بعض أنساق النص التراثي، سعيد جبار، جذور للنشر، الرباط، ط: ١، ٢٠٠٦م.

١٢- **التيسير العجيب في تفسير الغريب**، ابن المنير، ناصر الدين أبو العباس، تح: سليمان ملا إبراهيم أوغلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٩٩٤م.

١٣- **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، نمر سرحان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط:١، ١٩٧٤م.

١٤- **الحكي الشعبي بين الخرافة والأسطورة**: دراسة سيميائية في الحكاية الشعبية، محمد حجو، بحث لنيل الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب بني ملال، ٢٠٠٢م.

١٥- **حياة الحيوان الكبرى**، الدميري، أبو البقاء كمال الدين محمد بن عيسى، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٢م.

١٦- **دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي**، محمد أحمد عقلة المومني، وعبد علي الخفاف، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، ٢٠٠٠م.

١٧- **دراسات مغربية (من وحي البيئة)**، محمد الفاسي، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط:٢، ١٩٩٠م.

١٨- **الرحلات**، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط:٤، ١٩٨٧م.

١٩- **رسالة الغفران**، لأبي العلاء المعري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٠م.

٢٠- **زهرة الأكم في الأمثال والحكم، لأبي علي اليوسي**، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات معهد الأبحاث والدراسات للتعريب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط:١، ١٩٨١م.

٢١- **السرد العربي القديم**: الأنساق الثقافية وإشكالات التأويل، ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٥م.

٢٢- **السردية العربية**: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٠م.

٢٣- **شعرية الرواية الفانتاستيكية**، شعيب حليفي، دار الحرف للنشر والتوزيع، القنيطرة، ط: ٢، ٢٠٠٧م.

٢٤- **طرح المدر لحل الآلاء والدرر**، يوسف بن محمد ابن عبد الجواد بن خضر الشربيني، مط. الصدق الخيرية، القاهرة، ط:١، ١٢٥٠هـ.

٢٥- **عالم الأدب الشعبي العجيب**، فاروق خورشيد، دار الشروق، القاهرة، ط:١، ١٩٩١م.

٢٦- **العجيب السحري في المسرح المغربي**: خطاب فرجة السحر، عبد الفتاح الشادلي، مط. أنفو- برانت، فاس، ط:١، ٢٠٠٩م.

٢٧- **العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن**: تفسير ابن كثير أنموذجا، وحيد السعفي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط: ١، ٢٠٠٧م.

٢٨- **عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي**، ابن المقري، تح: عبد الله إبراهيم الأنصاري، المط. العزيزية، حلب، ط:١، ١٢٩٤هـ.

٢٩- **غرائب اللغة العربية**، رفائيل نخلة، دار المشرق، بيروت، ط:٤، ١٩٨٦م.

٣٠- **غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة**، بدر الدين محمد الشبلي، تح: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، القاهرة، ط:١، ١٩٨٣م.

٣١- **الفارق بين المصنف والسارق**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تح: هلال ناجي، عالم الكتب، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م.

٣٢- **الفراسة**، ابن قيم الجوزية، تح: صلاح أحمد السامرائي، المكتبة الوطنية، مط. الزمان، بغداد، د.ط، ١٩٨٦م.

٣٣- **الفكر الإسلامي**: قراءة علمية، محمد أركون، تر: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي- المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٦م.

٣٤- **الفهرست**، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ط:٢، ١٩٩٧م.

٣٥- **القراءة والكتابة**، تأليف جماعي، منشورات جامعة تونس الأولى، كلية الآداب بمنوبة، ١٩٨٩م.

٣٦- **القصص الشعبي بالمغرب**: دراسة مرفولوجية، مصطفى يعلى، المدارس، الدار البيضاء، ط:١، ٢٠٠١م.

٣٧- **الكلام والخبر**: مقدمة في السرد العربي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط:١، ١٩٩٧م.

٣٨- **لسان العرب**، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

٣٩- **لطائف المعارف**، الثعالبي، تح: إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، ١٣٧٩هـ.

٤٠- **متنوعات محمد حجي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط:١، ١٩٩٨م.

٤١- **مثالب العرب**، هشام بن الكلبي، تح: نجاح الطائي، دار الهدى، بيروت، ١٩٩٨م.

٤٢- **مختارات أحمد تيمور**: طرائف من روائع الأدب العربي، أحمد تيمور، دار الكتاب العربي بمصر، ط:١، ١٩٥٦م.

٤٣- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، المسعودي، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مط. السعادة، القاهرة، ط: ٤، ١٩٦٤م.

٤٤- **منتهى الطلب إلى تراث العرب**: دراسات في التراث، جمال الغيطاني، دار الشروق، القاهرة، ط:١، ١٩٩٧م.

٤٥- **الميثولوجيا عند العرب** (دراسة لمجموعة من الأساطير والمعتقدات العربية القديمة)، عبد الملك مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٩م.

٤٦- **نزهة الأمم في العجائب والحكم**، ابن إياس، تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط:١، ١٩٩٥م.

٤٧- **نظرية التلقي**: إشكالات وتطبيقات، تأليف جماعي، منشورات كلية الآداب، الرباط، د.ط، ١٩٩٢م.

٤٨- **النفحة المسكية والتحفة المكية**، جلال الدين السيوطي، تح: السائح علي حسين، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، د.ط، ١٩٩٢م.

٤٩- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م.

٥٠- **نوادر الكتب: غريبها وطريفها**، محمد خير يوسف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط:١، ١٩٩٤م.

ثانيًا: المقالات

٥١- ابن حوقل في المغرب والأندلس، عبد القادر زمامة، **دعوة الحق**، ع: ٨، س: ٨، ١٩٦٥م.

٥٢- "زعموا أن..": ملاحظات حول كليلة ودمنة بين الرواية والسرد الكلاسيكي، عبد الفتاح كيليطو، **آفاق**، ع:١٢، أكتوبر ١٩٨٣م.

٥٢- العجيب والغريب في كتب تفسير القرآن: منطق السرد أم حجاجية الدلالة؟ صابر الحباشة، **مقاربات**، ع:٢، مج:٢، ربيع ٢٠٠٩ م.

٥٤- المصادر الإسلامية للكوميديا الإلهية، لوسيان بورنييه، ترجمة: ابتهال يونس، **فصول**، ع: ٢، ١٩٨٢م.

ثالثًا: مواقع إلكترونية

٥٥- جميل حمداوي، الحداثة النقدية في كتاب "الأدب والغرابة" لعبد الفتاح كيليطو، متاح على الشبكة من خلال الرابط الآتي:

http://www.doroob.com/?p=12283



جعفرُ بنُ قُدامَة (ت ٣١٩هـ)
حياته - شعرهُ - كتابهُ

د. عباس هاني الجراخ
بابل - العراق

حفل العصر العباسيُّ ببعضِ الأدباء الذين كانتْ لهم منزلة كبيرة في الأدب العربيِّ وتأريخِهِ إلاّ أنَّهم لَمْ يَحظوا بدراسات توثيقية وافية؛ لذا لم يكن حظهم من الشهرة كحَظِّ غيرهم مِن الأعلام الآخرين.

فالأديب (جعفر بن قُدامَة) لم نرَ أحدًا من القدماء أو المُحْدَثِين كتبَ عنه دراسةً مفصَّلةً، اللهمَّ إلاَّ صفحات قليلة جدًا[1] حبَّرها بعضُ مَنْ عُنُوا بدراسة ولده قُدامَة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ)، لكن ما كتبوهُ فضلًا عن كونه مقتضبًا لم يسلمْ من الأخطاء والهفوات.

ولطولِ صُحبَتِي بقُدَامَة بن جعفر، فقد ألفيتُ والده جعفرًا عَلَمًا يحتاج إلى المزيد من البحثِ والتتبُّع، فكانتْ هذه الدراسةُ التي حاولنا فيها إبراز الجوانب المجهولة من حياته وأدبه.

والحمدُ لِلهِ ربِّ العالمين.

اسمهُ:

هو: جعفر بن قُدَامَة بن زياد الكاتب[2]، وكنيته أبو القاسم[3].

قلتُ: وردَ اسمُهُ في بعض المصادر بصورة: (جعفر بن محمد بن قُدَامَة)[4]، وقد وقفنا طويلاً عند اسم (محمد) وموقعه من نَسَبِ جعفر، فلم يتبين لنا صحة وروده فيه، فلم

نعرفْ له ابنا سوى قُدَامَة[5] صاحب (نقد الشّعر) و (الخراج) و (جواهر الألفاظ)، وهي مطبوعة، وسواها.

ولا يعدو أنْ يكونَ قد وقعَ في كتاب أبي الفرج الأصبهَانِيِّ - وهو أهمُّ مَنْ أورده - سهوٌ من الناسخ فَنُقِلَ إلى الكتبِ التي أخذتْ عنهُ، وَمَا أكثرها!.

أسرته ووالده:

مِنَ المُؤَكَّدِ أنَّ أُسرَةَ جعفر كانتْ نصرانية، أَقَامَتْ فِي مَدينةِ البصرة[6]، ولا نعرفُ رأسها، ولكننا وَقَفنَا على والدهِ: قُدَامَة بن زياد، وعرفنا بعضَ أخبارِهِ، وأُحِبُّ أنْ أقولَ هنا إنَّهُ ليسَ (حكيم

المشرق)[٧] الذي أوردَهُ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، كما نقل عنه المرحوم العبادي[٨]، وإنْ شكَّ في ذلك، و د. طبانة[٩]، فقُدَامَة الذي ذكرهُ الجاحظ لا يمكن أنْ يكونَ صاحبنا؛ لأنهُ قد ظهر لنا أنَّ اسمه الكامل هو: (الحسن بن قُدَامَة)[١٠]، وهو أحد من اشتغل بصناعة الكيمياء، حتى وُصِفَ بـ (الحكيم)، ولم نعثر على ما يُبَيِّنُ لنا أنَّ قُدَامَة قد اشتغل - أو أحد أفراد أسرتِهِ - بعلمِ (الكيمياء).

ووصلتْنا - والحمد لله - بعضُ الإشارات عن حياتِهِ؛ إذْ روى محمد بن الحسن بن حمدون (ت ٥٦٢هـ) في (تذكرته) قولَ قُدَامَة بن زياد: "دخلتُ والحسن بن وهب[١١] على محمد بن عبد الملك الزيات، وعنده جماعةٌ من خاصة إخوانِهِ، فجعل الجماعةُ منهم يشكونَ أحوالهم، والحسنُ ساكت، وكنتُ فيمنْ شكا..."[١٢].

قلتُ: إنَّ دخول جعفر كان في عهد وزارة الزيَّات، صاحب التنُّور، وقبل مقتله سنة ٢٣٣هـ، ولعلَّ ذلك كان سنة تسع وعشرين ومئتين، وهي السنةُ التي حبس فيها (الواثقُ) الكُتَّابَ وألزَمَهُم الأموال، ويبدو أنَّ قُدَامَة قد تَضَرَّرَ جراء ذلك، وإنْ لَمْ نجدْ اسمَهُ في مَنْ أُخِذَتْ منهم الأموال؛ إذْ يذكر الطبريُّ بعضَ الكتابِ الذين ألزمهم الواثق أموالاً[١٣].

وهناك نصٌّ أوردَهُ الطبري (ت ٣١٠هـ) بيَّنَ فيه أنَّ قُدَامَة بن زِياد كانَ مُشرِفًا على ضياع القائدِ إيتاخ الخزريّ[١٤] الخاصة، ثم أمرَ المتوكلُ العباسي وَالِيه على بغداد إسحاق بنَ إبراهيم[١٥] بِحَبْسِ ايتاخ مَعَ وَلَدَيهِ منصورًا ومظفرًا وكاتبيهِ سليمان بن وهب[١٦]، وقُدَامَة بن زياد النصراني، وكان (سليمان) على أعمالِ خراسان، وقُدَامَة على ضياع إيتاخ الخاصة، فحُبسوا ببغداد، فأما سليمان وقُدَامَة فضُرِبا، وأسلم قُدَامَة[١٧]، ويلاحظ أنَّ حَبْسَ (منصور) و(مظفر) كان في موضع يختلف عن الموضع الذي حُبِسَ فيه قُدَامَة وسليمان بن وهب، ثم إنه "جمع بينه وبينهم، فَبَكَّتُوه ووبَّخوهُ بِمَا كان منه"[١٨].

وقد أورد الطبريُّ هذه الحادثة في سنة خمس وثلاثين ومئتين، وهي تؤكد - بلا شك - إسلام قُدَامَة بن زياد في عهدِ المتوكل، وتبين أهمية المنصب الكبير الذي تسنَّمَهُ عند إيتاخ[١٩].

ويبدو أنه تزوَّجَ من نصرانية مثله، فأنجبتْ له جعفرًا هذا، وأنَّهُ ظلَّ على إسلامه حتى وفاته في تاريخ غير معلوم، ومن العجيب أنَّ د. حسين قاسم العزيز ينفي إسلام قُدَامَة بن زياد، ويرى في خبر الطبري تحريفًا، فالأصلُ عنده هو أنه (سلم) من الموت، وليس أسلم، وأنَّ الناسخ أضافَ همزة إلى الفعل (سلم) ليُصبح: (أسلم)[٢٠]!، ولا نرى في هذا الرأي وجهًا للصواب؛ ذلك أنَّ الحادثة لا تتحمَّل هذا التوجيه المتكلّف الغريب، فالواضحُ أنَّهُ أَسْلَمَ خوفًا مِنَ الموت، الذي طالَ إيتاخ فيما بعد.

وقد امتد الإسلامُ إلى ابنه (جعفر)[٢١]، ومِنْ ثَمَّ في حفيدِهِ (قُدَامَة).

حياته:

إذا انتقلنا إلى جعفر - صاحبنا - ألفينا المعلومات أكثر عنه - وإنْ كانتْ مشتتة، ولكنْ يمكننا - من خلالها - رسم صورة شبه كاملة عن حياته تلك.

إذْ كانت لجعفر صداقة متينة مع (عبد الله بن المعتز)، ومن المؤكد أنها لم تقم في خلافته، التي امتدتْ يومًا وليلةً فقط، بل كانتْ قبل ذلك بِمُدَّةٍ من الزمن. وتدل الأخبار التي وصلت إلينا على عمق تلك الصداقة.

ويوردُ الأصبهانيُّ بعضَ الأخبار التي جَرَتْ بين

ابن المعتز وجعفر؛ من ذلك الخبر يرويه على لسان جعفر بقولهِ: " كان لعبد الله غلام يحبه، وكان يغني غناء صالحًا يقال له (نشوان)، فَجُدِّرَ، وجَزِعَ عبدُ الله لذلك جزعًا شديدًا، ثم عُوفِي، ولمْ يُؤثِّرِ الجُدَري في وجهه أثرًا قبيحًا، فدخلتُ إليه ذاتَ يوم، فقال لي: "يا أبا القاسم، قد عُوفي فلانٌ بعدك، وخرج أحسن مما كان، وقلت فيه بيتين، غنت زريابُ فيهما رملاً ظريفًا، فاسمعهما إنشادًا إلى أنْ تَسمَعَهُمَا غِنَاءه، فقلت: "يتفضَّلُ الأميرُ - أيده الله تعالى - بإنشادِي إياهما، فأنشدني:

لِي قَمرٌ جُدِّرَ لَمَّا استوَى
فَزادَهُ حُسنًا فزالَتْ هُمُومْ

أظنُّهُ غنَّى لِشمسِ الضُّحَى
فَنقَّطتْهُ طَرَبًا بِالنُّجُومْ

فقلتُ: " أحسنتَ واللهِ أيها الأمير "، فقال لي: "لو سَمِعتَهُ من (زرياب) كنتَ أشدَّ استحسانًا له"، وخرجَتْ زريابُ فغنتهُ لنا في طريقةِ الرمل، في أحسن غناء"[٢٢].

وفي هذا الخبر وَصْفٌ للحياة الاجتماعية المترفة التي كان يحياها مع ابن المعتز، وغيرها من الأخبار التي تدلُّ على ما كانَ بينهما من أُلفةٍ وصداقة، لم تدم بسبب مقتل ابن المعتز سنةِ ٢٩٦هـ[٢٣]، وحُزْنِ صديقه جعفر - بلا شك - عليه، وبقاءه بعده ثلاثًا وعشرين سنة.

وإذا كنا قد أوضحنا العلاقة الوديَّة بين جعفر وابن المعتز، فإننا نعجب من عدم استمرار هذه العلاقة في نسل جعفر، فهذا ابنه قُدَامَة وَقَفَ في صَفِّ المُكتفي بالله، وألَّف كتابًا بعنوان (الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام)[٢٤]، ولم يصلْ إلينا هذا الكتاب، ومن الواضح أنَّ قُدَامَة رَدَّ فيهِ على رسالةِ ابنِ المعتزِّ التي عاب فيها أبا تمَّام الطائي، " ونبَّهَ فيها على محاسن شعر أبي تمام ومساوئه "[٢٥]، بلْ ذَهَبَ بعض الباحثين إلى الاعتقاد أن قُدَامَة ألَّفَ كتابَهُ الشهير (نقد الشِّعر) مُحاذَّة لابن المعتز[٢٦].

وقد أخطأ د. يونس أحمد السامرائي[٢٧]، فنقلَ عن (يتيمة الدهر) للثعالبي أنَّ جعفرًا كتب رسالةً عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته (قطر الندى)، فاستحسن الوزير ما كتبهُ.

فالصحيح أنَّ الذي كتب ذلك هو: جعفر بن محمد بن ثوابة، كما ذكر الثعالبي نفسه[٢٨]، ويعزِّز ذلك أنَّ ابنَ أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) قد أوردَ الخبرَ عند نقلهِ من كتابِ (الخراج) لقُدَامَة[٢٩].

وعلى أيَّة حال، فلعلَّ هذا الخلاف هو خلاف (أدبي) لا شخصي.

ويبرز نجمُ قُدَامَة في هذا الوقت جنبًا إلى جنب مع والده جعفر، وذلك في وزارة أبي الحسن بن الفرات في سنة إحدى عشرة وثلاث مئة[٣٠]، التي قلّد فيها قُدَامَة منصب (مجلس الزمام) في ديوان الجماعة، وقد كان لتوليِّهِ هذا المنصب أهمية كبيرة؛ إذ كان من نتيجته أنّ " أثار من جهةِ العمال أموالاً جليلة ".

ويخبو أمرُ قُدَامَة بعد ذلك، ويظهر والده (جعفر) في علاقةٍ وطيدةٍ مع الوزيرِ الداهية (عليّ بن عيسى)[٣١]، حتى إذا نُفِيَ إلى اليمن، بعد اتهامهِ بِمُمَالأةِ القرامطة سنة ٣١١هـ، نجد (جعفرًا) يأسفُ عليه بِمُقَطَّعَةٍ في ستة أبياتٍ[٣٢]، كما كانت له علاقة متينة مع الوزير (ابن الفرات)، ويبدو ذلك واضحًا من الأبياتِ التي قالها في رثائهِ عندما قتل سنة ٣١٢هـ[٣٣]، ثم تختفي أخبارُهُ بعدَ ذلكَ حتَّى وَفَاتِهِ.

مقالات

عقيدته:

لم يتطرقْ أحدٌ من الذين ترجموا لجعفر إلى عقيدته، باستثناء د. حسين قاسم العزيز[٣٤] الذي استنتج أنّه كان نصرانياً، بعد تخطئتِهِ للطبري الذي قال بإسلامِ والدهِ قُدَامَة بن زياد.

قلتُ: بعد أنْ أكّدنا أنّ رأيَ د. العزيز في عدم إسلام قُدَامَة بن زياد غير صحيح، وأنّه قد حمّلَ نصّ الطبريّ أكثر مما يحتمل، وأن قُدَامَة (الوالد) هذا قد أسلمَ زمنَ المتوكل، كان من الطبيعيِّ أنْ يكونَ ولده (جعفر) قد أسلم بدوره، وإلاّ كيف له أنْ يجالس كثيرًا من الأعلام المعروفين في الأدب واللغة ؟، فضلاً عن أنّ مترجميه لم ينصُّوا على نصرانيته أو يلمحوا إليها، بل ينعتوه بأنه " أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم"[٣٥] ، ومَن كانتْ هذه صفاته لا يكون إلاّ مُسلمًا.

وإنّ أقدم مَنْ ترجَمَ لقُدَامَة هو ابن النديم، وذكَر أنه كان نصرانيًا، وأسلم على يد المكتفي بالله، وتابعهُ في هذا الباحثون والمؤرخون في القديم والحديث، إلاّ أنّ د. مصطفى الحياري[٣٦] يرى – ونحن نتابعه في هذا – أنّ ابن النديم قد ترك فراغًا في مكان اسم الخليفة المكتفي بالله، ونضيف إلى ذلك أنّ النسّاخ وضعُوا هذا الاسم بدلاً من " المتوكّل "، وان قراءة دقيقة لنصّ ابن النديم تُؤكّد أنّهُ في أول الترجمة يشير إلى جَدّهِ قُدَامَة بن زياد، ثم يعرج إلى والدهِ قُدَامَة العضيد، ثُمّ ان مُترجم كتاب " الفهرست " إلى الانجليزيّة بيارد دودج ذكر أنّ ما يُفهم من مخطوطة الكتاب أنّ جدّ قُدَامَة هو الذي أسلم، لذا فإنّ بقاء إسلام قُدَامَة بعد جدّه يحلّ مشكلة إسلام جعفر. وقد امتدّ الإسلام إلى ولده (قُدَامَة) فيما بعد.

وجعله السيد حسن الأمين (ت ١٢١٧هـ) ضمن تراجم كتابه (أعيان الشيعة)، بدلالة أنّ ابنه قُدَامَة كان شيعيًا، فالولدُ على سِرِّ أبيهِ[٣٧].

وفاتهُ

ذكر الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ) أنّ جعفرًا تُوُفّي سنة ثمان وثلاث مئة[٣٨] ، وهي السنةُ التي نقلَها عنهُ ابنُ شاكر الكتبيّ (ت ٧٦٤هـ) [٣٩] ، والزّركشيّ (ت ٧٩٤هـ) [٤٠].

أمّا المرحوم العبادي فذكر أنه تُوُفّي سنة عشرة وثلاث مئة[٤١].

ونحن نخالفُ هذين التاريخين لسببٍ بسيط، فقد سبق أنْ ذكرنا علاقةَ جعفر بالوزير عليّ بن عيسى ثمّ نَفيهِ سنة ٣١١ هـ، ثم أبياته في رثاء الوزير ابن الفرات بعد مقتله عام ٣١٢هـ [٤٢].

ولم يقطعِ الصّفديُّ (ت ٧٦٤ هـ) بسنة وفاته، في قولِه: "سنة تسع أو ثمان وثلاث مئة "[٤٣].

أمّا سنة وفاتِهِ التي نطمئنُّ إليها ونأخذ بها لتطابقها مع مجريات أحداث حياته، فهي التي أورَدَها ياقوتُ الحمويّ (ت ٦٢٦هـ) نقلاً عن تاريخ ابن بشران في قوله: " قال أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم، عبد المجيد بن بشران الأهوازي في تاريخه: مات أبو القاسم جعفر بن قُدَامَة بن زياد يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثلاث مئة "[٤٤].

وهذه السنة – ٣١٩هـ – أخذ بها عددٌ من الباحثين[٤٥]، ونأخُذُ بها لاتّفاقها مع مجريات حياته.

شيوخه

ذكرنا أنّ الخطيب البغدادي في ترجمتِهِ لجعفر أوضحَ أنّهُ روَى أخبارًا عن أربعة من أعلام الأدب في العصر العباسيّ، ولقد تمكنّا بعد استقصاء

واسع في شتيت المظان من معرفة عددٍ كبيرٍ من هؤلاء الأدباء الذين يمكن أن نطلق عليهم شيوخه أو أساتذته.. وهم:

١. أبو حاتم السجستاني، سهل بن محمد بن عثمان (ت ٢٤٨هـ).

روى عنه جعفرًا بلفظ (حدثنا) [٤٦].

٢. سعيد بن حميد الكاتب (ت ٢٥٠ هـ).

نقلَ عنهُ حادثًا له مع "فضل" الشاعرة، بلفظ (حدثني) [٤٧].

٣. أبو عبد الله أحمد بن حمدون (ت ٢٥٥ هـ).

روى عنه جعفر عدة نصوص أدبية بلفظ (حَدَّثني) [٤٨].

٤. أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي (ت ٢٥٧ هـ).

روَى جعفرٌ عدةَ نصوصٍ عن أبي هفان بلفظ (أخبرنا) [٤٩].

العباس بن الفضل الرياشيّ (ت ٢٥٧ هـ).

رَوَى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني) [٥٠].

٥. حمَّاد بن إسحاق الموصليّ.

روَى عنه جعفر نصوصًا كثيرة، بلفظ (حَدَّثني) [٥١].

٦. عليّ بن يحيى المنجِّم (ت ٢٧٥ هـ).

روى عنه جعفر عدة نصوص بلفظ (حَدَّثني) [٥٢].

٨. إبراهيم بن المدبر (ت ٢٧٩ هـ).

روى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني) [٥٣].

٩. أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠ هـ).

روى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني) [٥٤].

١٠. أبو العيناء الضرير (ت ٢٨٢ هـ).

روى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني) [٥٥].

١١. محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ).

روى عنه بلفظ (حَدَّثني) [٥٦].

١٢. عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ).

روَى عنه بلفظ (حَدَّثني) [٥٧]، علاوة على ستة نصوص جرتْ فيها حوادث بينهما وبين بعض الجواري والشّعراء، وفيها روى سبعة عشر بيتًا له[٥٨].

١٣. ابن خرداذبه (ت ٣٠٠ هـ).

روى عنه بلفظ (حَدَّثني) [٥٩]، ونقل عن كتابه (المسالك والممالك) [٦٠].

١٤. عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (ت ٣٠٠ هـ).

رَوَى عَنهُ بلفظ (حَدَّثني) [٦١].

١٥. الحسن بن الحسن بن رجاء بن أبي الضَّحَّاك (ت ٣٠١ هـ).

روى عنه بلفظ (حَدَّثني) [٦٢].

١٦. ابن بسام، عليّ بن محمَّد بن نَصر (ت ٣٠٣ هـ).

روى عنهُ بلفظ (حَدَّثني) [٦٣].

١٧. الحسين بن يحيى المنجم.

روى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني) [٦٤].

١٨. ابن زكريا بن يحيى بن معاذ.

روى عنه جعفر عدة نصوص[٦٥].

١٩. سراج المالكي.

روى عنه جعفر بلفظ (اخبرني) [٦٦].

٢٠. شارية الكبرى، مولاة إبراهيم بن المهدي.

روى عنها بلفظ (أنشدتني)[67].

٢١. شريح الخزاعي.

روى عنه بلفظ (قال)[68].

٢٢. عبد الله بن أبي سعد الوراق البصري.

روى عنه بلفظ (حدثنا)[69]، مع بعض رجال السند الآخرين.

٢٣. عبد الله بن عمر.

روى عنه جعفر[70].

٢٤. محبرة النديم، أبو جعفر محمد بن يحيى.

روى عنه جعفر عن محمد بن أبي عباد، بلفظ (أخبرني)[71].

٢٥. محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي.

روى عنه بلفظ (حَدَّثني)[72].

٢٦. ملاوي الهيثمي.

روى عنه عدة نصوص بلفظ (حَدَّثني)[73].

٢٧. أحمد بن الهيثم الفراسي.

نقلَ عنهُ جعفر في نَسَبِ (جرير) وأخبارِه[74].

٢٨. إبراهيم بن سليمان بن وهب.

روى عنه بلفظ (حَدَّثني)[75].

٢٩. أحمد بن الحارث الخراز (ت ٢٥٨ هـ).

روى عنه جعفر بلفظ (حدثنا)[76].

٣٠. محمد بن عبد الملك الزيات.

روى عنه بلفظ (حَدَّثني)[77]، في أخبار (فريدة).

٣١. يحيى بن علي بن يحيى المنجم (ت ٣٠٠ هـ).

روى عنه بلفظ (حَدَّثني)[78].

٣٢. أبو عبد الله الهشامي.

روى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني)[79].

٣٣. سَوَّار بن أبي شَرَاعَة.

روَى عنه جعفر بلفظِ (حدثنا)[80].

٣٤. محمد بن يحيى المنجم.

روى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني)[81].

٣٥. محمد المرتجل بن أحمد بن يحيى المكي.

روى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني)[82].

٣٦. هارون بن مخارق.

روى عنه جعفر بلفظ (حَدَّثني)[83].

٣٧. موسَى بن هارون الهاشمي.

روى عنه بلفظ (حَدَّثني)[84].

٣٨. منَّةُ البرمكية.

روى عنها جعفر - أو مَنْ نقل عنها - بلفظ (عن)[85].

٣٩. ميمونُ بن إبراهيم.

روى عنه بلفظ (حَدَّثني)[86].

٤٠. ميمونُ بن هارون.

روى عنه بلفظ (حَدَّثني)[87].

٤١. هارونُ بن محمد بن عبد الملك الزيات.

روى عنه بلفظ (حَدَّثني)[88].

٤٢. أبو القاسم، هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي (ت ٢٧٥ هـ).

روى عنه مع جحظة البرمكيّ، بلفظ (أنشدنا)[89].

بقِيَ من أساتذته الذين روى عنهم اثنان، لا

جعفر بن قدامة (ت ٣١٩هـ) حياته - شعره - كتابه

نملكُ الدليلَ عَلى اتِّصالِهِ بِهِمَا مُباشَرَةً:

الأول: أبـو عثمـان بكر بـن محمد المـازني (ت٢٤٩هـ).

وقد نقل جعفر عنهُ مِن أَحَدِ كُتُبِهِ بِقولِهِ : " قرأت في كتابٍ لأبي عثمان المازني "[٩٠]، وأورد خبرًا عن الشاعر (عبد قيس بن خفاف البرجمي).

الثاني: أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ).

في ترجمةٍ للبلاذري – في حين يرى المستشرق دي غويه (De Goeje) أنها للمقريزي (ت ٨٤٥هـ) – رأى المرحوم عبد الحميد العبادي أنَّ جعفرًا كان ممَّن رَوَى عن البلاذريّ[٩١].

والملاحظ في الأدباء والرواة الذين نقل عنهم كان لهم شأنٌ كبير في الأدب العربي، سواء أكان عن طريق إثرائه بما أبدعته قرائحهم، أم عن طريق مَرويّاتهم تلكَ.

رواتُه:

كانت لمنزلة جعفر بن قُدامَة أهمية كبيرة عند الأدباء؛ لذا لا نعجب أنْ نرَى بعضَ المؤلِّفين قد رَوَوا عنه أخبارًا ونصوصًا في مصنفاتهم، وقد حاولنا معرفة هؤلاء، لكننا لم نجد إلاَّ إشارة وحيدة ذكرها الخطيب البغدادي تذكرُ أنَّ أبا الفرج الأصبهَانِيّ كان من رواته، وقد دفعتنا للبحث عمَّن نقلَ عنهُ رأيًا أو حَدَثًا في مُصَنَّفاتِهِ الأَدَبِيَّةِ.

وقد عثرنا – ولله الحمد – على بعض أولئك الرواة، وهم:

١- **محمد بن داؤود بن الجراح** (ت ٢٩٦ هـ)، الذي روى خبرًا في كتابه (الورقة) [٩٢] عن جعفر بلفظ (حَدَّثني)، في ترجمة إسماعيل القراطيسي ص ١١٨.

٢- **أبو بكر الصولي** (ت ٣٣٥هـ)، الذي روى نَصَّيْن لجعفر بن قُدَامَة يَخُصّان الشاعر (أبي العبر الهاشمي) عن أبي العيناء، في: أشعار أولاد الخلفاء ٣٢٦، ٣٢٩.

٣- أبو القاسم عبدُ الرَّحمن بن إسحاق الزجَّاجيّ (ت ٣٣٧هـ)، رَوَى ثلاثة أبياتٍ لأبي طاهر، عن جعفر، في: أماليهِ ص ٥٤، بلفظِ (حَدَّثني).

٤- **أبو هلال العسكري** (ت بعد ٣٩٥هـ): روى خبرًا عن (منة البرمكية)، في رسالته: رسالة في فضل الإعطاء على العُسر ص ٧٧، بقوله: "... ما ذكره جعفر بن قُدَامَة ... ".

٥- **أبو الفرج الأصبهَانِيّ** (ت ٣٥٦هـ)، ويعدُّ أوسع وأَهَم مَن نقل أخباراً عن جعفر بن قُدَامَة على الإطلاق، وذلك في كتابيه (الأَغَانِي)، و (الإماء الشواعر)، وصرَّحَ في خمسة مواضع من كتابيهِ بنقله عن أحد مؤلفات جعفر؛ إذ نراه يقول: " نسختُ من كتاب جعفر بن قُدَامَة "[٩٣].

والأصبهَانِيّ – في نقوله – يورد أخبار جعفر بنقةٍ كاملةٍ في صفحات كثيرة من كتابه، وينقل معها رجال السند الذين روى عنهم، وهم كثر، على ما بيّناهم قبل قليل، وزادَ على ذلك فنقل عنه عدةَ نصوص في أخبار عددٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ[٩٤]، من دون سند، بل كانَ عن طريقِ ملازمةِ جعفر نفسه لهما.

وقد نقل نصوصَ أبي الفرج الأصبهَانِيّ عددٌ من الأدباء والمؤرخين ممن أتوا بعده وضمنوا ما نقلوه من السند في النص إلى جعفر بن قُدَامَة.

إنَّ هذه النصوص التي نقلها عنه رواتُه تكشف من غيرِ شكٍّ أهميتها في توضيح بعض جوانب حياة هؤلاء الشُّعراء أو الجواري، وتخدم التراث العربيّ بشكل عام.

شعرُهُ

كان أبو الحَسن عبد العزيز بن إبراهيم بن حاجب النعمان (ت ٣٥١ هـ) [٩٥]، قد ألَّف كتابًا بعنوان (أشعار الكتاب) ضمنه جمعًا كبيرًا من الشّعراء وعدد أبياتهم، ولم يصلْ إلينا هذا الكتاب، إلاّ أنَّ ابنَ النديم وَصَفَهُ وذَكَرَ أسماءَ أولئكَ الشُّعراء والكُتّاب، ومقدار شِعرهم مَقرُونًا بالأوراق[٩٦]، وكان مِن بينهم جعفر بن قُدَامَة، الذي ذكر أنَّ له شعرًا في مئة ورقة[٩٧]. وإذا عرفنا أنَّ الورقةَ الواحدة تحوي عشرين بيتًا، فمعنى هذا أنَّ نتاجَ شعره يقعُ في نحو ألفي بيت، وهو مقدارٌ كبيرٌ، يؤكّد كثرةَ شِعرِه من ناحية، وبطلان رأي ابن النديم الأوَّل فيه وفي مكانته الأدبية، من ناحية أخرى.

وهناك رأيٌ في شعر جعفر أوردهُ المَرزبانيّ (ت ٣٨٤هـ)، جاء فيه: " أخبرني يوسف بن يحيى بن علي المنجِّم، عن أبيه، قال: قال أبي أبو الحسن علي بن يحيى يومًا لخالي أبي العبّاس أحمد بن أبي كامل: " أَنْشَدَكَ أبو قُدَامَة شعره ؟ "، وأبو قُدَامَة إنسانٌ من الكُتّاب، كان يتعاطى قولَ الشّعر فيكسرهُ ويلحنُ فيه، فقال: " ولم ؟، فَبِيَ الصَّفعُ حتى ينشدني شعره ؟"[٩٨]، وهذا الرأي على ما فيه من قسوة، قد لا ينطبق على شعر جعفر كلِّه، وما وصلنا منه ليس فيه لحن ولا كسر ولا تكلف، بل هو متوسط الجودة، فليسَ له فحولة المجيدين، وهو "شعر عالي الطبقة لشاعرٍ مجيده"[٩٩]، ولعلَّ (أبا قدامة) رَجُلٌ آخر لا علاقة لهُ بصاحبنا جعفر.

ولم يصلْ إلينا شِعرُهُ كاملاً، ولعلَّ بعضَهُ طُمسَ عمدًا؛ لأنَّ فيه إشارة لعدد من الولاة والوزراء الذين عاصرهم وتقرب إليهم، مِنْ مثل تألُّمِه لنَفي الوزير عليِّ بن عيسى إلى اليمن، ورثائِهِ لابنِ الفُرات.

وعلى أيّة حال فإنَّ هذه الأبيات القليلة التي وصلت إلينا تُوَضِّح جانبًا مخفيًّا مِن حياتِه، وتلقي بعضَ الضوءِ على شاعريتِهِ، وتبيّن - في الوقت نفسه - تَقَرُّبَهُ إلى رجالاتِ القصر العباسيّ.

ويكفي أنْ نذكرَ أنَّ الوزير عبد الرحمن بن عيسى (ت ٣٢٣هـ) - شقيق الوزير عليّ بن عيسى - كان قد كتبَ بِخَطِّهِ بَعضَ شعرِ جعفر، كما ذكر ذلك ياقوت الحموي[١٠٠].

وقد استطعنا أنْ نجمع لهُ من المظان الأدبية والتاريخية (٣٣) بيتًا، ورتبنا الشّعر المجموع على وفق القوافي، وقمنا بتخريجه وتبيان معاني بعض كلماته.

(١)

خرج عليّ بن عيسى الوزير إلى اليمن مَنفيًّا، فقال أبو القاسم جعفر بن قُدَامَة الكاتب في ذلـ: (الخفيف)

أصْبَحَ المُلْكُ واهِيَ الأرجَاءِ
وأُمورُ الوَرَى بِغَيْرِ استِواءِ

مُذْ عادَتْ نوى عليِّ بن عيسى
واستمرَّتْ به إلى صنعاءِ

فَوَحَقِّ الذي يُميتُ ويُحيي
وهو الله مَالكُ الأشياءِ

لقد اختلَّ بعده كلُّ أمْرٍ
واستبانتْ كآبةُ الأعداءِ

ثم صاروا بعدَ العَداوة والـلـ
ـه جميعاً في صُورةِ الأولياءِ

يتألَّونَ كُلُّهُمْ في عَليٍّ
أنَّهُ قد خَلا مِنَ النُّظراءِ

التخريج: معجم الأدباء ٢/٧٨٩.

٤- يتألَّوْنَ: يُقسمون.

(٢)

قال في ابن الفرات: (مجزوء الكامل)

لَمَّا غَدَوْتُ، وفي الحَشَا
نارٌ مُضَرَّمةٌ تُشَبْ

والفِكْرُ والأحزانُ مشـ
ـحُونٌ بِهَا جِسْمٌ وقلبُ

أنشدتُ مَا قالَ ابنُ جَهْـ
ـمٍ، وهو بالأشعارِ طبُّ

أملقْتُ بَعْدَكَ يا علـ
ـيُّ، ونالَني مَا لا أُحِبُّ

التخريج: الوزراء ٢٢٢.

(٣)

وله فيه أيضًا: (مجزوء الكامل)

١- لَمَّا خَلَوْتُ مِنَ الفَوا
ئِدِ وَالمَنَافِعِ وَالصِّلاتِ

٢- وَعَدِمْتُ في الأعيادِ مَا
عُوِّدْتُ مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ

٣- وبقيتُ فيها حائرًا
كالسَّفْرِ ضَلُّوا في الفلاةِ

٤- ناديتُ: يا سقيًا ويا
رعيًا لِعَصْرِ ابنِ الفُرَاتِ

٥- مَلِكٌ أَشَمُّ مُسَوَّدٌ
رَطْبُ الأنامِلِ بِالهِبَاتِ

٦- يعطي الرغيبَ، ولا يمـ
ـنُّ، ولا يُنَغِّصُ بالعِدَاتِ

التخريج: الوزراء ٢٢٢.

(٤)

قال: (الوافر)

تَسَمَّعْ - مِتُّ قبلك - بعضَ قَولي
ولا تتسللنْ مِنِّي لِواذا

إذا أسقَمْتَ بالهجرانِ جِسمي
ومِتُّ بغصتي، فيكونُ ماذا؟

التخريج: معجم الأدباء ٢/٧٨٩، فوات الوفيات ١/ ٢٨٩، الوافي بالوفيات ١١/ ١٢٥، عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ٨٥.

(٥)

قال: (المتقارب)

١- نعمنا بِشَيءٍ يُسَمَّى السُّرُورُ
مَذاقَتُهُ مثل ذوبِ العَسَلْ

٢- أقامَ بِأرحُلِنَا مَرَّةً
وفَارَقَنَا، ثُمَّ مَا إنْ قَفَلْ

٣- فيا معشرَ الناسِ هلْ مُخبِرٌ
يُخبِّرُنا عنهُ ماذَا فَعَلْ؟

التخريج: المنتخل ٢/ ٦٠٣.

(٦)

ولجعفر بن قُدامة في أبي الحسن بن الفرات: (مجزوء الكامل)

١- يا ابنَ الفراتِ ويا كريـ
ـمَ الخِيمِ، محمودَ الفِعالِ

٢- ضُيِّعْتُ بعدَكَ واطُّرِحْـ
ـتُ، وبانَ للنَّاسِ اختلالي

٣- وتغيَّرتْ مُذْ غيَّرتْ
أحوالُكَ الأيامُ حالي

٤- لهفًا أبا حسنٍ على
أيامِكَ الغُرِّ الخوالي

٥- لهفًا عليها، إنها
بُلِيَتْ بأحوالٍ بوالي

التخريج: الوزراء ٢٢٣، معجم الأدباء ٢/٧٨٩.

١- الخيم: الشيمة والطبيعة والخُلُق والسجية. لسان العرب: خيم.

(٧)

قال جعفر بن قُدامة الكاتب: (مجزوء الرمل)

١- استمعْ باللهِ يا ابْـ
ـنَ المُلْكِ والنجدةِ منّي

٢- يومنا في الحسنِ والبَهْـ
ـجَةِ قد حازَ التمنّي

٣- فأزِرْني نفسكَ الحُـ
رّة، أوْ لا فاستزرني

التخريج: معجم الأدباء ٢/٧٨٨.

٢- في الأصل: "الحسرة"، خطأ.

(٨)

قال جعفر بن قُدامة: (الخفيف)

١- كيف يخفى وقد أتاني نهارًا
كَسَفَ الشمسَ بالجمالِ البهي

٢- وإذا زارَ في الدُّجى طلعَ البدْ
رُ علينا من جبينِ المضي

٣- فكلا حالتيهِ يفضحُ سِرِّي
وينادي بكلِّ أمرٍ خَفِي

٤- بِأَبِي أحسنَ الأنامِ جميعًا
تاهَ عقلي بِهِ، وحقِّ النبي

التخريج: معجم الأدباء ٢/٧٨٨.

كتابه:

من خلال تتبعنا لترجمة جعفر في كتب الأدب والتراجم، ألفينا ابنَ النديم (ت نحو ٣٨٠هـ) يقول عنه – في ترجمته لولده قُدامة – إنّهُ "ممَّنْ لا تفكر فيه ولا علم عنده"[١١].

ولقد أثارتنا هذه الملاحظة القاسية؛ لذلك رحنا نُفَتِّشُ عن صحتها عند غيره من أعلام المؤلفين.

فهذا الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، يترجم له، ويقول عنه إنه: "أحد مشايخ الكتّاب وعلمائهم، وافر الأدب، حسن المعرفة،... وحدث عن أبي العيناء الضرير، وحماد بن إسحاق الموصليّ، ومحمّد بن عبد الله بن مالك الخزاعي ونحوهم. روى عنه أبو الفرج الأصبهاني"[١٢].

وذكر الأنباريُّ أن إبراهيمَ بن أبي طالب "قال: سألتُ أبا قُدامة عن الشافعي وابن حنبل وإسحاق وأبي عبيدة، فقال: أما أفهمهم فالشافعي، إلاّ انه قليل الحديث، وأما أورعهم فابن حنبل، وأما أفقههم فإسحاق، وأما أعلمهم بلغات العرب فأبو عبيدة"[١٣].

وترجم له ياقوتُ الحمويُّ (ت ٦٢٦هـ) بصورةٍ جيدةٍ[١٤]، ونقل نَصَّي ابن النديم والخطيب فيه،

ونَعَتَهُ الذهبيُّ بـ " الأديب "(١٠٥).

وعلى ذلك فإنَّ رأيَ ابنَ النَّديم لا يستندُ إلى الحقيقة أو منطق صحيح، ولعلَّ مَردَّهُ كان إلى قَوْلِ الفيلسوف أبي محمَّد العروضيِّ، في سُؤال أبي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ) لهُ: " أراك منخرطًا في سلك ابن قُدامَة ومُنصبًّا إليه، ومتوفّرًا عليه، وكيف يتفقُ بينكما، وكيف تأتلفان ولا تختلفان ؟، فقال: اعْلَمْ أنَّ الزمانَ وقت الاعتدال، والرجلُ كما تعرفُ على غاية البرد والغثاثة وجباسة الطبع، وأنتَ كما تعرفني وتثبتني، فاعتدلنا إلى أنْ يتغيرَ الزَّمانُ، ثم نفترق، ونختلف ولا نتفق، وأنشأ يقولُ:

وَصَاحِبٍ أصبَحَ مِنْ بَردِهِ

كَالماءِ فِي كَانونَ أوْ فِي شُبَاطْ

نُدمَانُهُ مِنْ ضِيقِ أخلاقِهِ

كَأنَّهُمْ فِي مِثْلِ سَمِّ الخِيَاطْ

نَادَمْتُهُ يَوْمًا فَألْفَيْتُهُ

مُتَّصِلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ النَّشَاطْ

حَتَّى لَقَدْ أوْهَمَنِي أنَّهُ

بَعضُ التَّماثِيلِ الَّتِي فِي البِسَاطْ "(١٠٦)

والواضح من النصِّ أنَّ أبا حيان يعرف ابن قُدامَة – هذا – تمام المعرفة، كما بيَّنَ العروضيُّ ذلك، فإذا كان جعفر قد توفِّيَ سنة ٣١٩هـ، فمتى تَسَنَّى لأبي حيَّان الالتقاء به، وهو طفلٌ صغيرٌ، إنْ لم يكن قد وُلِدَ بَعدُ ؟، ثم كيف ينادمُ ابنُ المعتز نفسُهُ رجلاً بتلك الصفات ؟

وعلى هذا فإنَّ ابنَ قُدامَة الذي ذكره أبو حيان ليس جعفر بن قُدامَة بتاتًا.

وأورد المظفر العلوي (ت ٦٥٦هـ) عند كلامه على (المقابلة) خبرًا هو: " قال عليُّ بن الحُسَيْن القُرَشيّ: سألتُ جعفر بن قُدامَة الكاتب، وكان من جهابِذةِ الشِّعر، عن المُقابلة فقال: سألتُ أبي عنها فقال: هو أن يضع الشاعر معانيَ يعتمدُ التوفيق بين بعضِها وبعض، أو المخالفة، فيأتي بالموافق مع ما يوافِقُه، وفي المخالفِ بما يخالِفُه على الصِّحَّة، أو يشترطَ شروطًا، ويعدِّدَ أحوالاً في أحدِ المعنيَيْن، فيجب أن يأتي فيما يوافقُه بمثلِ الذي شرَط فيما يُخالفُه بأضدادِ ذلك.

قال: فقُلتُ له: فأنشدني أحسنَ ما قيلَ فيه فقالَ: لا أعرفُ أحسنَ من قول الأول:

أيا عَجَبًا كيفَ اتَّفقْنا فناصِحٌ

وفيٌّ ومَطْويٌّ على الغِلِّ غادِرُ

فجعل بإزاء " ناصح ": " مطويًّا على الغِلِّ "، وبإزاء " وفيّ ": "غادرًا".

قال: وقول الطِّرِمّاح بن حَكيم الطائي في ذلك حسن أيضًا، وهو:

أسَرْناهُمُ وأنْعَمْنا عليهِمُ

وأسْقَيْنا دِماءَهُم التُّرابا

فما صَبَروا لبأسٍ عند حربٍ

ولا أدَّوا بحُسْنِ يَدٍ ثوابا

يقولُ: لمَّا سَقَيْنا التراب بِدماءِهُم لم يكن لهم صبرٌ على ما نزل بهم منا لفشَلِهم وضعْفِ نُفوسِهم، ولمَّا أنعمْنا عليهم وأحسنَّا إليهم لم يجازوا بالثناء علينا، فجعل بإزاء أن سَقَوا دماءَهم التُّرابَ وقاتلوهم، أن يصبروا، وبإزاء أن أنعموا عليهم، أن يُثْنوا.

وقال: هذه المقابلة "(١٠٧).

وهنا وجَبَ التنبيه على أنَّ في النصّ اضطرابًا في السَّنَدِ جازَ على مُحقِّقَةِ الكتاب؛ ذلك أنَّ أبا

الفرج الأصبهانيّ لم يتناول أمرَ المُقابلة مع " جعفر بن قُدَامَة "، بل مع ابنه " قُدَامَة بن جعفر الكاتب "، لأنّ لَقَبَ (الكاتب) يأتي مترافقًا مع الابن، لا الأب، والنصُّ باختلاف في كتاب قُدَامَة ابن جعفر[108].

على أننا سننظر إلى الخبر من جانبٍ آخر، وهو أنّ قُدَامَة بن جعفر استعان بوالده "جعفر في تفسير (المقابلة)، وهذا واضح من قولِه: "سألت أبي عنها فقال»، فالكلامُ والشّواهدُ لجعفر بن قُدَامَة.

ويبقى رأي ابن النديم غير صحيح في حقّ الرجل وأدبه.

مع ملاحظة أنّ الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ) جعلهُ من رجال الحديث[109].

نصوصٌ مِن كتابه:

من العسير جدًا على الباحثِ أنْ يحاولَ استنطاق المَصادر للبحث عن أمرٍ ما، لاسيّما أنّهُ لا يملكُ الدّليلَ على وجودِهِ فيها، وقد كان لنا ذلك عندَ بحثنا عَن آثارِه، فَقَد وَصَفَهُ الذهبيُّ بِأنّهُ: "صاحب التصانيف»[110]، فَمَا هِيَ التصانيف التي أَلّفَهَا جعفر وَجَعَلَتِ الذّهبيَّ يقولُ كلمَتَهُ هذهِ على أنّهَا أمرٌ مَعرُوفٌ ومَفرُوغٌ مِنهُ؟.

كذلكَ وجدنا ناصرَ الدّين المطرزيّ (ت ٦١٠ هـ) عند شَرحِهِ مَقاماتِ الحريريّ، يقولُ عن مؤلفات ابنه قُدَامَة: " وله.. كتاب نقد الشّعر، وهو حَسنٌ للغايةِ، طالعتُهُ ونقلتُ منهُ أشياء، وقيل هو لوالدِهِ جعفر "[111]، ويبدو عدم اقتناع المطرزيّ بنسبةِ الكِتَابِ إلى جعفر من الفعل "قيل»، وإلاّ فإنّ الكتابَ لابنِهِ قَطعًا، وقد نُشِرَ وعُرِفَ وتأثّرَ بِهِ كثير من الأدباء والكتاب.

وإذا أمكننا دفع كتاب (نقد الشّعر) عن جعفر إلى ولده قُدَامَة فإنّ رأيَ الذّهبيّ لا يخلو من الوَجَاهَةِ؛ إذ إنّ ثقافة جعفر ومجالسته لأعلام عصرِهِ وروايته عنهم تجعل تأليفه للكتب واردًا ومقبولاً، وتدعم قَوْلَ الذهبيّ إشارةُ الخطيب البغداديّ مِنْ أنّ لجعفر "مصنفات في صنعة الكتابة وغيرهاه»[112]، ولعلها ضاعت مع ما ضاع من تراثنا العربي الإسلامي، ونحن لا نعرف لجعفر سوى كتابٍ واحدٍ أَلّفَهُ عَن الشّعراء، وذكره أبو الفرج الأصبهانيّ ستّ مرّات[113]، وبَيّنَ أنه كان بِخَطّهِ، إلاّ أنه لم ينصّ على اسمِهِ الدقيق.

وإشارةُ الأصبهانيّ ونقولُهُ منهُ كانتْ يتيمةً، فلم نعرف أحدًا من أصحاب الفهارس أو التراجم ذكرَ اسمَ كتابِهِ صراحةً.

ومن خلال هذه النصوص الستة التي نقلها إلينا الأصبهانيّ من كتاب جعفر هذا، اتّضَحَ لنا أنّهُ نَقَلَ أخبارَ بعض الشّعراء والجواري والمغنّين العباسيين.

إنّ تحقيقَ النصوص وإخراجها يكونُ عن طريقين رئيسين، هما:

الأول: المصادر المباشرة، وأعني بها الأُصول الخطية - كَثُرَتْ أم قلّتْ - التي يتم بها التحقيق.

الآخر: الجمع والصنعة، وذلك بأخذ النصوص بطريقة غير مباشرة من المصادر التي أوردتها، أو ما يسمى بـ(الرواية الثانية).

ولأنّ كتاب جعفرٍ لم يصل إلينَا، فقد رأينا أنْ نعتمد الطّريق الثاني في إثبات ما تجمّع لدينا من نُصُوصه المُتناثرة، ورتّبْنَاهَا وأعطَيْنَا رقمًا مستقلاً لِكُلّ مِنْهَا، وَخرّجناها على مظانها[114].

النصوص

(١)

قرأتُ في كتابِ لجعفر بن قُدَامَة: بلغني أنّ

(عنان) جارية الناطفيّ دخلَ عليها بعضُ الشُّعَرَاء، فقال لها الناطفيُّ: عابِيه، فقالتْ: (المنسرح)

سقيًا لقاطول لا أرى بلدًا

يسكنُهُ الساكنون يشبهها

فقال:

كأنها فضةٌ مموهةٌ

أخلصَ تمويهها مُمَوِّهُهَا

فقالت:

أمْنٌ وخفضٌ وما كبهجتِهَا

أرغدُ أرضٍ عيشًا وأرفهُهَا

فانقطع الرجل.

التخريج: الإماء الشواعر ٢٩، وهو في الأَغَانِي: ٨٦/٢٢.

(٢)

" قال أبو الفرج: ونَسَختَ مِنْ كِتَابِ جعفر بن قُدَامَة: حَدَّثني علي بن يحيى المنجم، قال: حَدَّثني بعض أصحابنا عن رجل، عن عليِّ بن يَحيَى، قال: دَخلتُ إلى المتوكّل يومًا، فَدَفَعَ إليَّ رُقعةً وَأَمَرَنِي بقراءتِها، فقرأتُها، فإذا فيها:

قَدْ بَدَا شبهكَ يَا مَوْ

لايَ يحدُو بالظلامِ

قُمْ بِنَا نَقْضِ لُبَانَا

تِ التئامٍ والتِزَامِ

قَبلَ أنْ تفضحَنَا عَوْ

دَةُ أرواحِ النِّيَامِ

فقلت: " مِلحَ واللهِ قائلُها، من هو ؟ "، قال: واعدتُ " فضلاً "[١١٥] البارحة أنْ تبيتَ عندي، فسكرتُ سكرًا شديدًا مَنعني من ذلك، فلما أصبحتُ وجدتُ هذه الرقعةَ في كُمِّي، وهي بخطِّها".

التخريج: الإماء الشواعر ٦٢، ويُنظر: الأَغَانِي ٢٠٧/١٩، ٢٠٨، فوات الوفيات ١٨٦/٢.

(٣)

قال أبو الفرج: نَسَخْتُ مِنْ كتابِ جعفرِ بنِ قُدَامَةَ: حَدَّثني أبو عبد الله أحمد بن حمدون، قال: وُصِفَ لِلْمُتَوَكِّل موضعٌ بـ (شيداز) بـ (قرماسين)، فأمرَ أنْ يُبْنَى له قصرٌ، ويجعل في صدره ثلاثة أزواج معقودة، ويصور فيها مثل تلك الصورة، ويجمع له حذَّاق الصُّنَّاع، وَيجعل فيه من المجالس والحجر ما يصلح، ففعل ذلك، فلمَّا فرغ منه أمرَ بِأَنْ يُفْرَشَ لهُ الازاج المصَوَّر بِفرش، وجلسَ فيه يشربُ، فغنَّتْ (عريب) في شعرٍ قالتْ فيه، وهو: (البسيط)

بالسَّعْدِ واليُمْنِ فانْزِلْ قصر شيداز

حَلَلْتَهُ فِي سَعَادَاتٍ وَإِعْزَازِ

فاشكرْ لِمَنْ بكَ تَمَّتْ فيهِ نعمتُهُ

بناؤه تمَّ في يُسْرٍ وإيجازِ

لو رام هذا لأعيا دون مبلغه

دارا، وقَصَّرَ عنه مُلْكُ بِرواز

بجعفرٍ وَضَحَتْ سُبلُ الهُدَى، وبه

رَأْسَ البريةَ خيرًا بَعْدَ إعوازِ

التخريج: الإماء الشّواعر ١٠٤.

(٤)

" نَسَخْتُ من كتاب جعفر بن قُدَامَةَ: حَدَّثني حمَّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن الزبير، عن جرير، قال: كان معبدٌ خارجًا إلى مكَّة في بعضِ أسفارِه،

فسمعَ غناءً في بطن مَرٍّ، فقصد الموضعَ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حرف بركةٍ، فارقٌ شعرَهُ، حَسَنُ الوجهِ، عليه ذُرّاعةٌ، قد صَبَغَهَا بزعفران، وإذا هو يَتَغَنَّى:

حَنَّ قلبي مِن بعدِ ما قدْ أنابا
ودعا الهَمُّ شَجوهُ فأجابا

ذاكَ مِنْ منزلٍ لِسَلْمَى خلاءٍ
لابسٍ مِن خلائِهِ جِلبابا

عُجْتُ فيه، وقلتُ للرَّكْبِ: عُوجُوا
طمعًا أنْ يَرُدَّ رَبْعٌ جوابا

فاستثارَ المنسيَّ من لوعةِ الحُبْ
بِ، وأبدى الهمومَ والأوصابا

فقرعَ معبدٌ بعصاهُ، وغنَّى:

منعَ الحياةَ مِن الرِّجالِ ونفعَهَا
حَدَقٌ تُقَلِّبُهَا النِّساءُ مِراضُ

وكأنَّ أفئدةَ الرِّجالِ إذا رأوا
حَدَقَ النِّساءِ لِنبلِهَا أغراضُ

فقال لهُ ابنُ سريج: " باللهِ، أنتَ معبد ؟ "، قال: " نعمْ "، فسألَهُ: " وباللهِ أنتَ ابنُ سريج ؟ "، قال: " نعم، وواللهِ لوْ عرفتُكَ ما غنَّيْتُ بين يديْك ".

التخريج: الأغاني ١ / ٥٢-٥٣.

(٥)

قال مصعب بن عبد الله يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ - نسختُ ذلك مِن كتاب جعفر ابن قُدامةَ، وذكر أنَّ حمّاد بنَ إسحاق أنشدَهُ إيّاهُ -:

١- أتدري لمنْ تبكي العيونُ الذوارِفُ
ويَنْهَلُّ مِنْهَا واكفٌ ثُمَّ واكفُ؟

٢- نعم لامرئٍ لمْ يَبقَ في الناسِ مثلهُ
مفيدٌ لعلمٍ أو صديقٌ مُلاطِفُ

٣- تَجَهَّزَ إسحاقُ إلى اللهِ غاديًا
فللهِ ما ضَمَّتْ عليهِ اللفائِفُ

٤- وما حمل النعش المزجى عشيةً
إلى القبرِ إلاّ دامعُ العينِ لاهِفُ

٥- صُدُورُهُمُ مَرضَى عليه عَميدَةٌ
لها أزمَّةٌ مِنْ ذكرِهِ وزَفازِفُ

٦- تَرَى كُلَّ مَحزُونٍ تفيضُ جُفُونُهُ
دُمُوعًا على الخدَّينِ، والوَجهُ شاسِفُ

٧- جُزِيتَ جَزَاءَ المُحسنينَ مُضاعَفًا
كما كانَ جدواكَ النَّدَى المُتَضاعِفُ

٨- فكمْ لكَ فينا مِنْ خلائقَ جَزلةٍ
سَبَقتَ بها، منها حديثٌ وسالِفُ

٩- هيَ الشَّهْدُ أو أحلى إلينا حلاوةً
مِنَ الشَّهْدِ، لمْ يُمزَجْ بهِ الماءَ غارِفُ

١٠- ذَهَبْتَ وخَلَّيْتَ الصَّديقَ بِعَوْلَةٍ
بهِ أسَفٌ مِن حُزنِهِ مُتَرادِفُ

١١- إذا خَطَرَاتُ الذِّكرِ عاوَدْنَ قلبَهُ
تَتابَعَ مِنهُنَّ الشُّؤُونُ النَّوازِفُ

١٢- حبيبٌ إلى الإخوانِ يَرزُونَ مالَهُ
وآتٍ لما يأتي امرؤُ الصِّدقِ عارِفُ

١٣- هو المنُّ والسلوى لمنْ يستفيدهُ
وسمٌّ على مَنْ يشربُ السمَّ زاعِفُ

١٤- بكتْ دارُهُ مِنْ بَعدِهِ وتَنَكَّرَتْ
مَعَالِمُ مِن آفَاقِهَا ومَعَارِفُ

١٥- فما الدار بالدارِ التي كنتُ أعتري
وإنِّي بِها - لولا اقتفائيك - عارِفُ

١٦- هي الدارُ إلاَّ أنها قد تَخَشَّعَتْ
وأظلَمَ مِنْهَا جَانِبٌ فهو كاسِفُ

١٧- وبانَ الجَمَالُ والفَعَالُ كلاهُمَا
من الدارِ، واسْتَنَّتْ عَلَيْهَا العَوَاصِفُ

١٨- خَلَتْ دارُهُ مِنْ بَعْدِهِ فكأنَّمَا
بعاقبةٍ لَمْ يُغنِ في الدَّارِ طَارِفُ

١٩- وقد كان فيها للصديقِ مُعَرَّسٌ
ومُلتَمَسٌ إنْ طافَ بالدَّارِ طَائِفُ

٢٠- كرامةُ إخوانِ الصفاءِ وزلفةٌ
لمنْ جاءَ تزجيهِ إليهِ الرواجِفُ

٢١- صَحَابَتُهُ الغُرُّ الكِرام، ولمْ يَكُنْ
ليَصحَبَهُ السُّودُ اللِّئَامُ المَقَارِفُ

٢٢- يؤولُ إليهِ كُلُّ أبلَجَ شَامِخٍ
ملوكٌ وأبناءُ المُلُوكِ الغَطَارِفُ

٢٣- فلقِّيتَ في يُمنى يديكَ صَحيفةً
إذا نُشرتْ يومَ الحِسَابِ الصَّحَائِفُ

٢٤- يَسُرُّ الذي فيها إذا ما بَدَا لَهُ
ويَفتَرُّ منها ضَاحِكًا وهوَ وَاقِفُ

٢٥- بما كانَ ميمونًا على كُلِّ صَاحِبٍ
يُعينُ على مَا نَابَهُ ويُكَاتِفُ

٢٦- سَرِيعٌ إلى إخوانِهِ بِرِضَائِهِ
وعن كلِّ ما ساءَ الأخلاءَ صَارِفُ

٢٧- أرى الناسَ كالنسناسِ، لم يبقَ منهمُ
خلافَكَ إلاَّ حَشْوَةٌ وزَعَانِفُ

التخريج: الأغاني ٥ / ٢٨٢ - ٢٨٥.

(٦)

" خليدة " المكية

نَسَخْتُ هَذَا الخَبَرَ بِعَيْنِهِ مِنْ كِتَابِ جعفر بن قُدَامَةَ بخطِّه، قال:

حَدَّثني عمرُ بنُ شبَّه قال: بلغني أنَّ محمد[١١٦] ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أرسل إلى "خليدة المكية أبا عون - مولاه - يخطبها عليه، فاستأذنَ، فأذنتْ لهُ، وعليها ثيابٌ رقاقٌ لا تسترها، ثم وثبتْ، فقالتْ: " إنما ظننتك بعض سفهائك، ولكني ألبسُ لك ثيابَ مثلك، ثم أخرجُ إليك ". ففعلتْ، وقالت: " قل "، قال: " أرسلني إليك مولاي، وهو مَن تعلمين بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين علي وعثمان، وهو ابنُ عم أمير المؤمنين، يخطبك ". وقالت: " قد نَسَبْتَهُ فأبلغتَ، فاسمعْ نسبي أنا، بِأَبِي أنتَ، إنَّ أبي بِيْعَ على غير عَقْدِ الإسلامِ ولا عهده، فعاش عبدًا، وماتَ وفي رجله قيد، وفي عنقه سلسلة، وعلى الإباق والسرقة؛ وَوَلَدتني أمِّي على غير رشدة، وماتتْ وهي آبقة، فأنا مَنْ تَعلَم، فإنْ أرادَ صاحبكَ نكاحًا مباحًا، أو زنًا صَرَاحًا، فهلمَّ إليه، فنحنُ له ".

فقال: " إنه لا يدخلُ في الحَرامِ "، قالت: " ولا ينبغي أنْ يَستحيَ مِنَ الحلالِ، فأمَّا نكاح السرِّ فلا، والله لا فعلتُهُ، ولا كنتُ عارًا على القيانِ ".

قال: فأتيتُ مُحمدًا فأخبرتهُ، فقال: " ويلكَ! أ تَزَوَّجُهَا مُعلنًا وعندي بنت طلحة بن عبيد الله

لا، لا، ولكن ارجعْ إليها، فقلْ لها تختلفُ إليَّ أردُّ بصري فيها، لعلّي أسلو". فرجعتُ فأبلغتُها الرسالةَ، فضحكتْ، وقالتْ: "أما هذا فنعمْ، لسنا نمنعه منّهُ".

التخريج: الأَغَانِي ١٦ / ١٢٦ - ١٢٧.

الحواشي

١ - أهم من كتب عن (جعفر بن قُدَامَة) من المُحدَثين هو: د. بدوي طبانة في كتابه: (قُدَامَة بن جعفر والنقد الأدبي)، و د. طلال جميل رفاعي في تحقيقه (المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة): ٢٧-٣٧، وقد اعتمد كثيراً على كتاب د. طبانة، وامتلأ كتابه بكثير من الأخطاء اللغوية، و د. حسين قاسم العزيز في مجلة (الثقافة) البغدادية، العدد ٦-٧، ١٩٨٧م، والمرحوم عبد الحميد العبادي في مقدمة كتاب (نقد النثر) ٢٣ المنسوب خطأ الى قُدَامَة بن جعفر، و د. مصطفى الحياري في مقدمة تحقيقه (السياسة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة) لقُدَامَة بن جعفر ٧.

أما ما كتبه د. محمد حسين الزبيدي في تقديمه لكتاب (الخراج) فمنقول بالنصّ من جُهد د. طبانة، وعلى الرغم من ذلك فلم يشر إليه د. الزبيدي بتاتًا، كما حفل عمله بالأخطاء.

وكتب عنه عبد الرزاق البيري صفحات سريعة في كتابه: شعراء وأدباء العصر العباسي في سامراء ٢٧٩-٢٨٨.

٢ - ترجمة جعفر بن قُدَامَة في: تاريخ بغداد ٨/ ١١٠، معجم الأدباء ٢/٧٨٨ - ٧٩٠، الوافي بالوفيات ١١/١٢٤، عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ٨٤ - ٨٥، فوات الوفيات ٢/٢٨٩-٢٩٠، معجم المؤلفين ٣/١٤٢، الأعلام ٢/١٢٦، قُدَامَة بن جعفر والنقد الأدبي ٤٥، وينظر: تأريخ الأدب العربي ٤/٢٤٣.

وقد سها د. شوقي ضيف في: البلاغة تطور وتاريخ: ٧٨، حينَ ذَكَرَ أنّ في كتاب (تاريخ بغداد) ترجمة لقُدَامَة، والصحيح أنها لوالده جعفر.

٣ - أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق ٢٢٦، الإماء الشواعر ٨١.

٤ - الأَغَانِي ٧/١٧٥، وفيات الأعيان ٢/١٦٥، وفي الأَغَانِي ٢٢/١٠٨: "جعفر بن محمد بن قُدَامَة".

٥ - انظر ترجمة (قُدَامَة بن جعفر) في: الفهرست ١٤٤، معجم الأدباء ٥/٢٢٣٥- ٢٢٣٦، الوافي بالوفيات ٢٤/٢٠٥، النجوم الزاهرة ٢/٢٩٧، معجم المؤلفين ٦/٢٣١، تاريخ الأدب العربيّ ٤/٢٤٢، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ١/١٦٥، الأعلام ٨/١٢٨.

٦ - تاريخ الأدب العربي الجغرافي: ١/١٦٥، ويُنظر: مقدمة نقد النثر ٢٢، مقدمة نقد الشعر ٩، وهذا الرأيُ هو لِلمستشرق الفرنسي (دي سلان De slan)، وقد نشرَهُ في المجلة الآسيوية عام ١٨٦٢م.

٧ - الحيوان: ٥/٩٥، وجاء في: كتاب فخر السودان (رسائل الجاحظ ٦٦): "قُدَامَة حكيم المشرق، وكان صاحب كيمياء"، وأورد قولهُ: "شعاع مركوم ونسيم معقود، ونور بصّاص، وهو النار الخامدة، والكبريت الأحمر".

وجاء في: الاقتباس من القرآن الكريم ٢ / ٢٢٠: "وفي أحسن ما وُصِفَ به الذّهب قول قُدَامَة حكيم المشرق: وشعاع معقود، وفي: محاضرات الأُدباء ٤ / ٥٩٥: "قال قُدَامَة في وصف الذّهب: شعاع مركوم ونسيم معقود".

٨ - مقدمة نقد النثر: ٢٢.

٩ - قُدَامَة بن جعفر والنقد الأدبي، وتابعه د. طلال جميل الرفاعي في: المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ٢٦.

١٠- الفهرست ٤١٩، حقائق الاستشهاد ٥٠.

١١- توفي الحسن بن وهب الكاتب بعد سنة ٢٥٥ هـ. يُنظر: آل وهب من الأسر الأدبية ١١٠-١٨٦، وفيه مصادر ترجمته.

١٢- التذكرة الحمدونية ٣/١٣٢، ولم يذكر هذا النص أحدٌ ممّن كتب عن جعفر.

١٣- تاريخ الطبري: ٩/١٢٥.

١٤- إيتاخ هو أحد القادة الأتراك، مات عطشًا عام ٢٣٥هـ. يُنظر: تاريخ الطبري ٩/٦٨، فوات الوفيات ٩/٤٨١.

١٥- إسحاق بن إبراهيم، صاحب الشرطة في بغداد، توفي

عام ٣٢٥هـ.

ترجمته في: الوافي بالوفيات: ٩/٢٩٦، الأعلام ٦/٢٩٢، آل وهب من الأسر الأدبية ٢٧٥.

١٦- توفي عام ٢٧٢هـ. ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/٤١٥، الوافي بالوفيات ٩/٤٨١، الأعلام ٢/١٣٧.

١٧- تاريخ الطبري ٩/١٦٩، ويُنظر: الكامل في التاريخ ٧/٤٦.

١٨- تاريخ اليعقوبي ٤٨٦.

١٩- إنَّ ازدياد ظهور النصارى الكتاب في العصر العباسي أمر لافت للنظر؛ إذ إنهم شغلوا مناصب مهمة في الدولة العباسية. انظر أسماء بعضهم في: تكملة تاريخ الطبري ٢٨٥، ٣٢٥، ٢٩٨، صلة تاريخ الطبري: ٢٤، ٩٨، ١١٨، ١٤٥.

٢٠- مجلة الثقافة بغداد، العدد ٥ - ١٩٨٧، ص ٤٩.

٢١- أخطأ بعض الباحثين في اعتقادهم أنَّ جعفرًا كان مجوسيًا أو نصرانيًا ولم يُسلم.

ينظر: مقدمة نقد النثر ٢٧، قُدَامَة بن جعفر والنقد الأدبيّ ٤٢، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ٥١-٥٢.

٢٢- الأَغَاني ١٠/٢٨١، البيان في: شعر ابن المعتز ٢/٦٤٥.

٢٣- تاريخ الطبريّ ١٠/١٤١، صلة تأريخ الطبري ٢١-٢٢، تكملة تاريخ الطبري ١٩٣.

٢٤- معجم الأدباء ٧/١٤، وورد بصورة مغلوطة في: الفهرست ١٤٤.

٢٥- الموشّح ٤٧٠.

ونشر الرسالة د. محمد عبد المنعم خفاجي في كتابِهِ: رسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع، القاهرة، ١٩٤٦م، ثم د. يونس أحمد السامرائي في كتابِهِ: من فصول ابن المعتز ورسائِلِهِ ونصوص من كتبه المفقودة وأخباره ٥٥ - ٧٨.

٢٦- البلاغة تطور وتاريخ ٧٩.

٢٧- آل وهب من الأُسر الأدبية في العصر العباسي ٢٨٩ - ٢٩٠.

٢٨- ينظر: يتيمة الدّهر ١ / ٢٧٢، وراجع: زهر الآداب ٢ / ٦٦٨، أحكام صنعة الكلام ١٠٠.

٢٩- شرح نهج البلاغة ١ / ٢١٦ - ٢١٧.

٣٠- هي الوزارة الأخيرة الثالثة له، وقد قُتِلَ بعدها في محبسِهِ، يُنظر: معجم الأُدباء ١/١٩١، ١٩٨.

٣١- ترجمته في: إعتاب الكتّاب ١٨٦ - ١٨٩، معجم الأدباء ٤/١٨٢٣ - ١٨٢٦، العبر ٢/٢٢٨، النجوم الزاهرة ٣/٢٨٨ - ٢٨٩، شذرات الذهب ٢/٣٢٦، الأعلام ٤/٢١٧.

٣٢- تُنظر القطعة رقم ١ في شعره.

٣٣- تُنظر القطعة رقم ٢ في شعره.

٣٤- مجلة الثقافة، العدد ٦، ١٩٨٧ م: ٨٤.

٣٥- تاريخ بغداد ٨/١١٠.

٣٦- السياسة من كتاب الخراج ٨.

٣٧- أعيان الشيعة ٤ / ١٢٦.

٣٨- تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٥٦.

٣٩- فوات الوفيات ٢ / ٢٩٠.

٤٠- عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ٥٨.

٤١- نقد النثر (المقدمة) ٢٥.

٤٢- تاريخ بغداد ٨/١١٠.

٤٣- الوافي بالوفيات ١١ / ١٢٥.

٤٤- معجم الأدباء ٢/٧٨٨.

٤٥- يُنظر: الأعلام ٢ /١٢١، معجم المؤلفين ٢ /١٤٢، قُدَامَة بن جعفر والنقد الأدبي ٤٥، السياسة من كتاب الخراج ٧ - ٨، مجلة الثقافة، العدد ٦، ١٩٨٧م: ٨٥ - ٨٦.

وأخطأ د. الزبيدي في: مقدمة تحقيقه "الخراج" ص٥، حين جعلها سنة ٣٢٩هـ.

٤٦- الأغاني ٢٠/٢٧١.

٤٧- الإماء الشواعر ٦٥ .

٤٨- الأَغَانِي١٢/٢٣، الإماء الشواعر ١٠٤ - ١٠٥ ؛ معجم ما استعجم ٢ / ١٩٣ .

٤٩- الأَغَانِي ١٨/٢١٩، ١٢/١٨٦، وبلفظ (حَدّثني) في: الإماء الشواعر ٧٩ - ٨٠ ؛ الأَغَانِي ١٧/٨٢، وبلفظ (حدثنا) في: الأَغَانِي ١٨/٢٢٢، ١٧/٢٥، و(أنشدني) في: الأَغَانِي ٢٢/١٨١، وجاء في كتاب التطفيل ٧٢: " عن أبي هفّان ".

٥٠- الأَغَانِي ٢٢ /٣٣٦.

٥١- الأَغَانِي ١/١٧٢، ٥ / ٢٢٠، ٤٢٢، ٦ / ٧ / ١٠، ٢١٤، ١٢ / ٢٢٧ - ٢٢٨، ١٤ / ٢٧٩، ١٧/ ٢٢٥، ١٩ / ١٢٨، ٢٠ / ٢٧٤، ٢١ / ١٦٤، ١٦٨، ٢٤ / ٥، و(حدثنا) في: الأَغَانِي ١١ / ٢٤١، ٢٢/ ٢٦، ٧٢.

و(أخبرني) في: الأَغَانِي ٥ / ٢٤٧، وجاء في ٥ / ٢٤٢، ١٨ / ٢٧٢: "عن حماد"، وفي ٥ / ٤١٧ "حدثنا"، مع محمد بن يزيد، ١١ / ٢٦١، ١٢ / ٩٠، و١٧ / ٢٢٥، ١٩ / ١٨١، ٢٠/ ٤٩.

٥٢- الأَغَانِي ٥/ ٤١٠، ٢٧٠، ٢١٨، ٤/ ٩٢- ٩٣، ٧/ ١٩٨، ٢٢١، ١١/ ٢٢٥، ٢٥٩، ١٢/ ٢٥، ٥٤، ٥٦، و٢٢/ ١١٤، ١٤١؛ الإماء الشواعر ٦٢، ١٢١، ١١٩؛ معجم الأدباء ٦/ ٩، و(حدثنا) في: الأَغَانِي ١٩/ ١٥٩- ١٦٢.

٥٣- الإماء الشواعر ١٢٧؛ المقفّى الكبير ١ / ٢٠٩.

٥٤- الأَغَانِي ٢٢/ ١٨١، الإماء الشواعر ٥١، ٩٧، ١٢٩؛ البدائع والبدائه ٨٢.

٥٥- الأَغَانِي ٧ / ١٢٥، ١٦٢، ١٧٢، ١٢ / ٥٦، ١٢٣ / ١٦٨، و١٩ / ٢٠٤، ٢٠ / ٢١٧، ٢٢ / ١٧١.

و (أخبرني) في: الأَغَانِي ٥/ ١١٥، وجاء في ٢ / ٢١: "أخبرني جعفر بن قُدامَة عن أبي العيناء"، ولمْ تُحصي د. ابتسام الصّفار في كتابها عن أبي العيناء ص ١٠٧ عدد المواضع التي نقلها جعفر عنه.

٥٦- الأَغَانِي ١٩ / ١٤٦، ١٠ / ١٢٦، ٢٢/ ٢٥، و (حدثنا) في: الأَغَانِي ٢ / ٢٤٧، آداب الصحبة ١١٢.

٥٧- الأَغَانِي ١٢ / ٥٢، الإماء الشواعر ١٠٦ - ١٠٧.

٥٨- الأَغَانِي ١٠ / ٢٨٠ - ٢٨٥، وينظر: نهاية الأرب ٤ / ٢٢٦؛ معاهد التنصيص ١٩٤ - ١٩٥.

٥٩- الأَغَانِي ٢٢/ ١٤٠؛ الإماء الشواعر ١١٨.

٦٠- المسالك والممالك ١ / ١٤ - مقدّمة د. صلاح الدين المنجد.

وشكّ د. طلال جميل رفاعي بهذا الأمر، في: المنزلة الخامسة من كتاب الخراج ٢٦، ولا نرى سببًا يدعو للشك.

٦١- الأَغَانِي ٥ / ٢٥٤، ١١ / ٢٢٧، ٢٣٠؛ الإماء الشواعر ١٢٤، و (أنشدني) في: الإماء الشواعر ١٢٢.

٦٢- الأَغَانِي ١٩/ ٦٠.

٦٣- الأَغَانِي ١٨/ ٢٤٨.

٦٤- الأَغَانِي ١٤ / ٢١.

٦٥- الإماء الشواعر ٣٠، (العطية) ٩٢.

٦٦- الإماء الشواعر ١٤٢.

٦٧- الأَغَانِي ١ / ١٢١.

٦٨- معجم البلدان ٢ / ٥٧٤؛ معجم ما استعجم ٢ / ١٨٩؛ الخزل والدأل ٢ / ١١؛ الروض المعطار ٢٥٢.

٦٩- الأَغَانِي ٢ / ٢٨٠، ١٨ / ٢٨٨، و (أَخْبَرَنِي) في: الأَغَانِي ١ / ٢٥٩، و (حدثني) في: الأَغَانِي ١٩/ ٢٢.

٧٠- الأَغَانِي ٧/ ١٧٥، ١١ / ١٧٢، ١٧ / ١٢٥، ١٩/ ١٦٣، ٢٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨.

٧١- الإماء الشواعر ٨٥ - ٨٦، ولم يعرفهُ مُحَقِّقَا الكتاب، ولهُ ترجمة في: الفهرست ٦٦.

٧٢- الإماء الشواعر ١٢٥، معجم ما استعجم ٢ / ٢١١؛ الأَغَانِي ١/ ٧٤، ٧/ ١٧٥، ١١/ ٢٢٩، ٢٢/ ١٤٨، ٢٣٧.

٧٣- الإماء الشواعر ١١٨، ١٢٠، ١٢٥، الأَغَانِي ٢٢/ ١٤٢.

٧٤- الأَغَانِي ٨/ ٤٨.

٧٥- الإماء الشواعر ٢٩.

٧٦- الأَغَانِي ١٩/ ١٢٠ - ١٢١.

٧٧- الأَغَانِي ٤/ ٩٤.

٧٨- الأَغَانِي ٢١ / ٢٧٠.

٧٩- الأَغَانِي ٢٤ / ٢١٨.

٨٠- الأَغَانِي ١٢ / ١٦١، و (حَدَّثَنِي) في: الأَغَانِي ١٢/ ١٦٥، ١٦٩.

٨١- الأَغَانِي ٢٠/ ١٠.

٨٢- الأَغَانِي ٢٠/ ٨٥.

٨٣- الأَغَانِي ١١ / ٢٣١، ١٨ / ٢٦٩.

٨٤- الأَغَانِي ١١ / ٢٥٢، ٥ / ١٠٢.

٨٥- وفيات الأعيان ١/ ٦، وفيه "ميّة"، وينظر: الأَغَانِي ٤/ ٢٣٢؛ مختار الأَغَانِي ١ /٧٢؛ فضل الإعطاء على العسر ٧٧.

٨٦- الإماء الشواعر ٦٨.

٨٧- الأَغَانِي ٥ / ٦٩، ١٩ / ٢٨١، ٨٧، ٢٢/ ١٢٤.

٨٨- الأَغَانِي ٥ / ١٥٢، ١٨ / ٣٦ (مرتين)، ١٤٧، ٢٠/ ٤١، وفي ٤ / ١١٨ ورد أنه أخذ عن والده محمد بن عبد

جعفر بن قدامة (ت ٣١٩هـ) حياته - شعره - كتابه

الملك (الوزير).

٨٩- الإماء الشواعر ٤٠.

٩٠- الأغاني ٢ / ٣٩٢.

٩١- نقد النثر (المقدمة).

٩٢- أعددنا تحقيق كتاب (الورقة) وتصحيح ما وقع في نشرته من أوهام، وألحقنا به ١٠٠ شاعر سقطوا من مخطوطته الفريدة، بالرجوع إلى المظان التي نقلت منه، وصدر عن دار صادر في بيروت، ٢٠١٤م.

٩٣- الأغاني ٥ / ٤٣٢ ؛ الإماء الشواعر ٦٢، ١٠٤، وفي: الإماء الشواعر ٣٩: "قرأتُ في كتابٍ لجعفر بن قُدامة".

وفي: الأغاني ٤٦/١، ١٩١/١٦.

٩٤ الأغاني ١١٤/٢٢، ١١٥- ١١٦، ١٢٣، ١٢٤.

٩٥ ترجمة ابن حاجب النعمان في: الفهرست ١٤٩، تاريخ بغداد ٤٥٦/١٠، معجم الأدباء ١٨٠٦/٤ - ١٨٠٨.

٩٦- تنظر قائمة أسماء الشُعَرَاء الواردين في كتاب ابن الحاجب في: الفهرست ١٩٠.

٩٧- الفهرست ١٩٤.

٩٨- الموشح ٤٦٢.

٩٩- قُدَامَة بن جعفر والنقد الأدبي ٤٢.

١٠٠- معجم الأدباء ٧٨٨/٢، وتُنظر القطعة الأخيرة من شعره.

١٠١- الفهرست ١٤٤.

١٠٢- تاريخ بغداد ١١٠/٨.

١٠٣- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ١٢٩.

١٠٤- معجم الأدباء ٧٨٨/٢.

ومن الطريف أنّ ياقوتًا يذكر نصّ ابن النديم في جعفر عند ترجمته لِقُدَامَة في ١٢/١٧، وحين يترجم لجعفر لا يذكر ذلك النصّ !

١٠٥- تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٥٦.

١٠٦- معجم الأدباء ٧٩٠/٢، الوافي بالوفيات ١١ / ١٢٥، عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان ٨٥.

وهي من غير عزو في: أدب النّديم (بغداد) ٦٠، (القاهرة) ٩٧.

وعدا الأخير في: الأشباه والنظائر ٣٦٢/٢ ؛ بلا عزو.

١٠٧- نضرة الإغريض في نصرة القريض ١٢٥ - ١٢٦.

١٠٨- نقد الشّعر ١٢٣ - ١٢٤، وفي بعض كتب البلاغة، مثل: حلية المحاضرة ١ /١٥٢ ؛ نهاية الأرب ٧ / ١٠١.

١٠٩- مشتركات علم رجال الحديث ٢ / ٩٥.

١١٠- هو: الإيضاح في شرح مقامات الحريري، وقد حقّقه د. حمد بن ناصر الدخيل، الرياض.

١١١- ينظر: نقد النثر ٢٤ (عن: الإيضاح في شرح مقامات الحريري للمطرزي).

١١٢- تاريخ بغداد ١١٠/٨، الأعلام ٢ / ١٢٦.

١١٣- لم يذكر د. مصطفى الحياري إشارات الأصبهاني هذه، في مُقدمة (السياسة من كتاب الخراج) ص٧ إلاّ مرة واحدة فقط.

١١٤- فضلاً عن هذه النصوص التي تُصَرِّح بوجودها في كتابه، فقد عثرنا على ٩٢ نصًا رواها جعفر، ولكننا لا نملك دليلاً على أنها من ذلك الكتاب، لذا تركنا إثباتها في هذا المقال، وإنْ كُنّا نميلُ إلى أنها جزءٌ منه.

١١٥- فضل الجارية، ترجمتها في: طبقات الشُعَرَاء ٤٢٦، الأغاني ١٩ / ٢١٥، مسالك الأبصار ٢١٤/١٠ - ٢١٨، الأعلام ٥ / ١٤٦

١١٦- الملقّب بـ (الديباج) لِحُسنِهِ، قتلهُ المنصور وقطع عُنقه سنة ١٤٥هـ، مروج الذّهب ١٥٠/٤، الوافي بالوفيات ٢ / ٢٩٤.

المصادر والمراجع

- آل وهب من الأُسر الأدبية في العصر العباسي: د. يونس أحمد السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٨م.
- أحكام صنعة الكلام: محمد بن عبد الغفور الكلاعي، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦ م.
- أدبُ النديم: أبو الفتح محمود بن الحُسين الرّمليّ المعروف بكشاجم (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق نبيل العطيّة، دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ١٩٩٠م + دراسة وتحقيق وشرح د. النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الأشباهُ والنظائرُ: الخالديّان ؛ أبو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد (ت ٣٩١هـ)، تحقيق السيد محمد

يوسف، القاهرة، ١٩٦٥م.

- أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق: أبو بكر الصولي (ت ٣٢٥هـ)، تحقيق هيورث دن، دار المسيرة، بيروت.

- الأعلام: خير الدين الزركلي (ت ١٣٧٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ٤، بيروت، ١٩٧٩م.

- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهانيّ (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- الاقتباس من القرآن الكريم: عبد الملك بن محمّد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق د. ابتسام مرهون الصفار ود. مجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٢م.

- الإماء الشواعر: أبو الفرج الأصبهانيّ (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق د. نوري حمودي القيسي و د. يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٤م + تحقيق د. جليل العطية، دار النضال، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- أمالي الزجاجي: أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

- البصائر والذخائر: أبو حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق د. وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- البلاغة تطور وتاريخ: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.

- تاريخ الأدب الجغرافي العربي: أغناطيوس كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان، القاهرة، ١٩٦٣م.

- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان (ت ١٩٥٦م)، نقله إلى العربية د. رمضان عبد التواب، مراجعة د. السيد يعقوب بكر، دار المعارف، مصر، ١٩٧٥م.

- تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

- تاريخ مَدِينة السَّلام بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣هـ)، حقّقهُ وضبطَ نصّه وعلّق عليه د. بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلاميّ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)، دار صادر - دار بيروت، بيروت، ١٩٦٠م.

- التطفيل: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق كاظم المظفر، النجف الأشرف، ١٩٦٦م.

- تكملة تاريخ الطبري: محمد بن عبد الملك الهمذاني (ت ٥٢١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

- حقائقُ الاستشهاد: الحسين بن عليّ الطغرائي (ت ٥١٥هـ)، تحقيق د. رزّوق فرج رزّوق، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

- حلية المحاضرة في صناعة الشّعر: محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق د. جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩م.

- الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م.

- ديوان عليّ بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، دار الآفاق الجديدة، دمشق، ١٩٧١م.

- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق عبد السلام محمد عمر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب: عبد الحي بن العماد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ)، مكتبة القدسي، ١٣٥٠هـ.

- شرح ديوان الفرزدق: عُنِيَ بجمعِهِ والتعليق عليهِ عبد الله الصاوي، المكتبة التجارية الكبرى، طبعة الصّاوي، القاهرة.

- شرح نهج البلاغة: عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، القاهرة.

- شعر ابن المعتز، صنعة أبي بكر الصوليّ: دراسة وتحقيق

جعفر بن قدامة (ت ٣١٩هـ) حياته - شعره - كتابه

د. يونس احمد السامرائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧-١٩٧٨م.

- شعراء وأدباء العصر العباسي في سامراء: عبد الرزّاق البدري، مطبعة القادسية، بغداد، ١٩٨٦م.
- صلة تاريخ الطبري: عُريب بن سعيد القرطبي (ت بعد ٣٦٧هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- طبقات الشّعراء: عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦م.
- العبر في خبر مَنْ غبر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٨٦هـ.
- عقود الجمان وتذييل وفيات الأعيان: محمد بن بهادر الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ)، مخطوطة مكتبة الفاتح بتركيا، رقم ٤٤٣٤، في مكتبتي.
- فَضلُ الإعطاء على العسر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكريّ (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق د. عبد المجيد الإسداوي، مكتبة عرفات، الزقازيق، ١٩٩٨م.
- الفهرست: محمد بن إسحاق النديم الورّاق (ت نحو ٣٨٠هـ)، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م.
- فوات الوفيات والذيل عليها: محمد بن شاكر الكتبيّ (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.
- قُدَامَة بن جعفر والنقد الأدبي: د. بدوي طبانة، القاهرة، ١٩٦٢م.
- قطب السرور: ابراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني، تحقيق وتقديم د. سارة البربوشيّ بن يحيَى، منشورات الجمل، كولونيا، ٢٠١٠م.
- الكامل في التاريخ: عز الدين عليّ بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، المكتبة الإسلامية، تبريز، ط٣، ١٣٧٨هـ.
- محاضرات الأُدباء ومحاورات الشّعراء والبلغاء: الحسين ابن محمد بن المفضَّل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق د. رياض عبد الحميد مراد، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: أحمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق كامل سلمان الجبوري ومهدي عبد الحسين النجم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠١٠م.
- معجم الأُدباء: ياقوت الحمويّ الروميّ (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ١٩٩٣م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٥م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحّالة، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.
- المنتخلُ: عبيد الله بن أحمد الميكالي (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء: عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباريّ (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة.
- نضرة الإغريض في نُصرة القريض: المظفر بن الفضل العلوي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق د. نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- نظراتٌ نقدية في عيون التراث: د. عباس هاني الجراخ، مؤسسة دار الصادق، دار الرضوان، عمّان، ٢٠١٢م.
- نقد الشّعر: قُدَامَة بن جعفر البغدادي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مطابع الدجوي، ط٣، القاهرة، ١٩٧٩م.
- نقد النثر: قُدَامَة بن جعفر البغدادي (ت ٣٣٧هـ) - المنسوب لهُ وَهْمًا-، تحقيق د. طه حسين وعبد الحميد العبادي، القاهرة، ١٩٣٨م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٢هـ). دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- هدية العارفين ؛ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- الوافي بالوفيات: خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق مجموعة من المستشرقين والعرب، جمعية المستشرقين الألمانية، فرانز شتاينر، اسطنبول وبيروت.
- الورقة: محمد بن داؤود بن الجراح (ت ٢٩٦هـ)، تحقيق وتتمة د. عباس هاني الجراخ، ط ١: دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠١٢م، ط٢: دار صادر، بيروت، ٢٠١٤م.
- الوزراء، أو: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء: هلال بن المُحسن الصابي (ت ٤٤٨هـ)، تحقيق عبد الستّار أحمد فرّاج، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.
- يتيمة الدهر: عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق مُحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٦م.

المجلات:

- الثقافة، العددان ٦ – ٧، ١٩٨٧م ؛ الخراج وصنعة الكتابة: د. حسين قاسم العزيز.
- العرب، ج ٧ – ٨، السنة ٤١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م ؛ نظرات نقدية متأنية في تحقيقات "الخراج وصناعة الكتابة" لقُدامة بن جعفر البغدادي: عباس هاني الجراخ.



تصحيح نسبة
بعض المخطوطات الجغرافيّة وكتب الرَّحّالة
وإعادتها إلى أصْحابها (مؤلّفيها)

د. المهدي عيد الرواضية
الأردن

اعْتنى العربُ والمسلمون بالكتاب: حاملًا ومَحْمولًا، وألّفوا فيه: مُحتوىً وصناعةً، واتّجهت عناية بعض الكُتّاب والمصنّفين إلى رصد النتاج الأدبيّ والعلميّ وتَعْداده، وأُفردت لذلك. منذ زمنٍ مبكّر. مؤلّفات مخصوصة أشهرها كتاب الفهرست لمحمد بن إسحاق النّديم (ت نحو ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، "الذي جوّد فيه، واسْتوعب استيعابًا يدلُّ على اطّلاعه على فنون العلم وتحقّقه لجميع الكُتب"[١]، فحَوْصَل فيه المعارف والعلوم التي أُلّفَ فيها حتى زمنه، واسْتقصى جُملة التّصانيف والمؤلّفات الموضوعة باللغة العربيّة أو تلك الّتي نُقلت إليها من اللغات الأخرى كاليونانيّة والسّريانيّة، بلغ عددها نحو ثمانية آلاف وثلاثمائة كتاب.

ونالت المكتبات عناية خاصّة، وأوقفت (حُبّست) عليها الكتب وانتُسخت لها. وكان من أوجه العناية بها أن تُفهرس محتوياتها في سجلّات دقيقة ضابطة تُرشد إليها، تشمل على عدد أجزائها ومسطرتها وبيان صورتها وخطوطها وزخرفتها وتذهيبها وتجليدها، وكلّ ما يتّصل بجوانب التأنّق فيها، وبيان حالتها - وقت التقييد - من حيث النقص والترهّل وما يعرض للكتب جرّاء تداول الأيدي عليها وتعاقبها، ونقل ابن حزم عن أمين خزانة العلوم والكتب بدار الحكم المستنصر بالله ابن النّاصر (ت ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م): "أنّ عدد الفهارس التي فيها تَسْمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كلّ فهرسة خمسون ورقة؛ ليس فيها إلاّ ذكر الدّواوين فقط"[٢].

ولدينا في هذا الجانب مثالٌ شاهدٌ على دقّة عمليّة الفهرسة، يتمثّل في وثيقة السجل القديم[٣] الذي وُضع لتعداد ورصد محتويات مكتبة جامع القيروان "جامع عُقْبة بن نافع"، قُيّدت فيه الكتب التي احتوتها مكتبة الجامع سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م، وقد ابْتُني السجل على سجلٍ آخر أقدم منه، بما يشي أن العمليّة كانت تخضع للتحديث في فترات متباعدة حسبما يستجدّ على أحوال المكتبة وكتبها، والأمر اللافت أن هذا السجل جرى إعداده ومعارضته بالسجل القديم من قبل لجنةٍ مؤلّفة من سبعة ثقات شهود بمحضر قاضي مدينة القيروان وقتها الشيخ أبي العباس أحمد ابن أبي الطاهر إسماعيل بن أبي العباس أحمد الربعيّ، فقاموا باختبار النُّسَخ المحفوظة من حيث

الزّيادة والنّقص، و"النّظر في ذلك بأتمّ وجوه النظر والاجتهاد، وضمّ ما تفرّق من أجزائها، وردّ كل شكل منها إلى شكله وإعادته إلى موضعه، وجَبْر ما وقع الجبر فيه منها"[4].

وهناك أمثلة دالّة أخرى من نماذج الفهرسة، منها نموذج أقلّ تفصيلًا من السِّجل السّابق هو فهرس كتب خزانة التُّربة الأشرفيّة، رُتّبت فيه أسماء الكتب التي احتوتها خزانة الملك الأشرف ابن العادل (ت ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) على نسق الحروف[5].

وفي القرن الحادي عشر أنجز حاجي خليفة (ت ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م) كتابه: "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، وهو كتاب ببليوغرافيٌّ جامعٌ للتراث العربيّ والإسلامي، تتبّع فيه ما وصل إليه من التراث المكتوب باللغات الثلاث التي أتقنها، وهي "العربيّة والفارسيّة والتركيّة"، وعلى مختلف الفنون والأغراض.

واستمرّت العناية بالكتب وفهرستها حتى دخول الطباعة التي يسّرت وجود نسخ متعدّدة من فهارس دور الكتب، وآخر نماذج الفهرسة التقليديّة ما يرد عن مكتبات الحجاز في مطلع القرن العشرين، فكانت مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت - كما رآها المفتي الشّيخ محمد الجوديّ القيروانيّ- تضمّ "كُتبًا نَفيسةً جدًّا، ولها دفاتر في أسمائها على ترتيبٍ حَسَنٍ، بحيث يُذكر الفنُّ، ويذكر أجزاءُ كتبه على حروفِ المعجم، ثم الفنّ الآخر على الترتيب المَذكور، وبه جداول به ملاحظات، كاسْم صاحب الكتاب، وكَوْنه مطبعة أو قلم، وبخطٍّ أعْجميّ أو عربيّ، وعدد أجزائه"[6]... وهي أيضًا "مُشتملة على كتب كثيرة، مضبوطة بدفاتر عدّة، ذات أودية، أحدها به اسم التأليف، والثاني به اسم مؤلّفه، وآخر عدد الكتاب من الفنّ، والرّابع هل هو مطبعة أو خطّ يد، وآخر فيه هل هو عربيّ الخطّ أو تُرْكيّ"[7].

على هذه الحال، كانت دور الكتب في حواضر الدّولة الإسلاميّة محفوظة وفق تقاليد مضبوطة ومنظّمة، وموثّقة ومُفَهْرسة بطريقة ميسّرة ودقيقة، ولم تتسرّب إليها أخطاء الفهرسة إلا في وقت متأخّر عندما وقعت هذه الكنوز في أيادٍ غريبة، فنقلتها - بالبيع والمتاجرة - خارج أوطانها، ومن بينها كتب موقوفة، وتولّى كِبْرَ ذلك في أحايين كثيرة بعضُ أُمناء دور المخطوطات[8]. وآلت نُسخها إلى دور كتب أجنبيّة، وعكف على فهرستها مَن لا يتقن قراءة حروفها[9]، فنفذَت إليها الأخطاء ونُسبت بعض المخطوطات إلى غير أصحابها، أو عُنونت - عند ضياع العنوان الأصلي - بأسماء لا تتّصل بها.

وكنتُ قد اتّجهتُ منذ سنوات إلى ملاحقة كتب الجغرافيّين والرّحّالة المخطوطة، وتتبُّع نُسخها، خاصّة تلك التي جاءت غفلًا من العنوان أو اسم المؤلّف، بحثًا عن نصوصٍ أصيلة من التراث الجغرافيّ الضائع - أو مَنْ هو في حُكمه -، فتحصّلْتُ على نسخ عديدة منها، وتبيَّن بعد قراءتها ودراستها أنّها كتبٌ أخطأ المفهرسُون - وربما النُّسّاخ - في نسبتها. ورأيتُ - تعميمًا للنفع والفائدة - أنْ أبادر لإشراك المُعْتنِيْن بهذا الفنّ فيما وصلت إليه، أنشره على حلقات متتابعة بإذن الله.

وليست غاية هذه الورقة تتبّع ما تسرّب إلى فهارس دور المخطوطات من أخطاء، وما وقع منها في عمل المفهرسين وملاحقة سقطاتهم في كافة الفنون؛ فهذا ممّا يخرج عن الطّاقة، إنّما ينحصر الهدف في إبانة بعض هذه الكتب المتعلّقة بالجغرافيا والرّحلات، وإعادة الاعتبار إليها بنسبتها إلى أصحابها الأصليّين، تسهيلًا على الباحثين والمهتمين في هذا الشأن، واستدراكًا على بعض أخطاء الفهارس وقوائم المخطوطات.

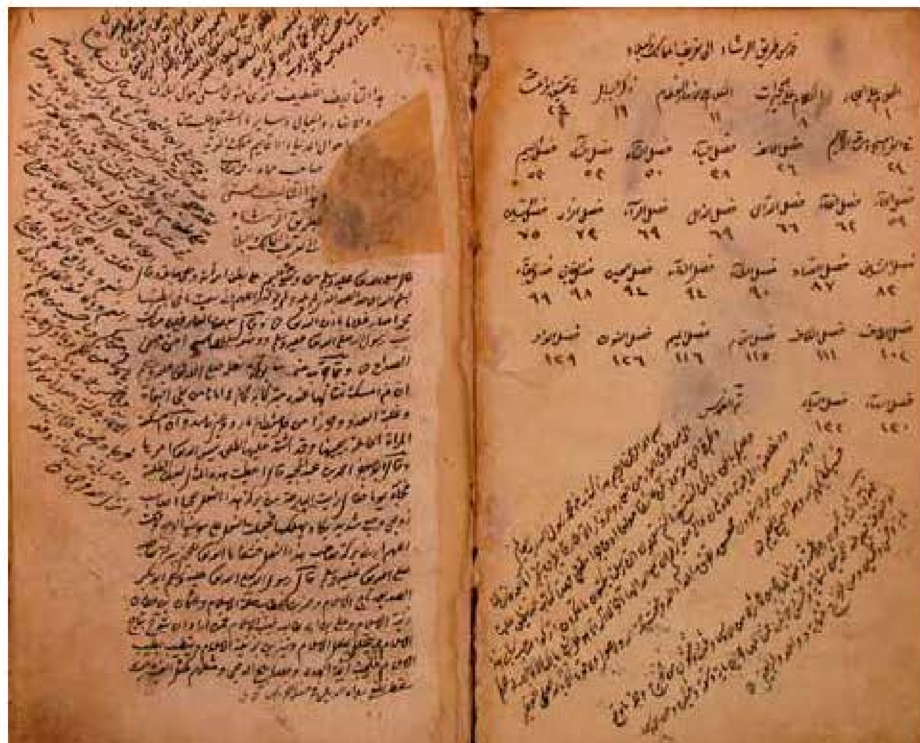
١) وأول هذه الكتب، ممّا وقع الخطأ في نسبته،

كتابٌ محفوظٌ في المكتبة العُموميّة في إستانبول برقم (٤٦٨٩)[١٠]، وجاء عنوانه في فهرس المكتبة: "طريق الرُّشاد إلى الممالك والبلاد"، والمكتوب على الكتاب: "طريق الرشاد إلى تعريف الممالك والبلاد"[١١]، ونُسب لأبي الفداء صاحب حماه، إسماعيل بن مُحمّد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، حسبما هو مكتوب على طُرّته: "هذا التأليف اللّطيف الذي احتوى على أحوال البُلدان والأنهار والجبال وسائر ما اشتمل عليه من أحوال الدُّنيا والأقاليم للملك المؤيّد صاحب حماه، رحمه الله تعالى، وهذا التأليف مُسمىً بـ طريق الرُّشاد إلى تعريف الممالك والبلاد". والمخطوط يقع في ١٣٣ ورقة، مسطرته ٢٧ سطرًا، وناسخه أحمد بن سليمان البروسويّ، ووقع الفراغ من نسخه في سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م. وعلى النسخة وقف لبزم عالم والدة السُّلطان عبد المجيد خان مؤرّخٌ في سنة ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م.

وبعد استحضار نسخة الكتاب تبيّن بأنها نسخة من كتاب "أوضح المسالك إلى معرفة البُلدان والممالك" لابن سباهي زاده، مُحمّد ابن علي الرُّوميّ الحنفيّ البروسويّ (ت ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م)[١٢]، وهو كتاب رتّب فيه ابن سباهي زاده كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء وجعله على حروف المعجم، وزاد إليه ما تجمّع لديه من نصوص بعض الجغرافيّين حتى زمنه، يقول في مقدّمته: "فرتّبته على ترتيب حروف المعجم، وأضفت إليه ما التقطتُهُ من مُصنّفات المحقّقين، واستنبطتُه من مؤلّفات المدقّقين؛ ليكون أخذُه يسيرًا ونفعُه كثيرًا"[١٣].

وقد سقطت من هذه النُّسخة المنحولة مقدّمة المؤلّف، إذ يبتدئ الكتاب بباب "الكلام على البحار"، ومن هنا جاء الخطأ في الفهرسة، وهي المقدّمة التي تتضمّن اسم المؤلّف وعنوان

الورقة الأولى من كتاب ابن سباهي زاده، وفي الصفح الأيمن فهرسة أبواب الكتاب



مقالات

الكتاب والدّاعي إلى تأليفه وبيان المصادر التي استند إليها في وضعه.

الصفحة الثانية من كتاب ابن سباهي زاده





الصفحة الأخيرة من كتاب ابن سباهي زاده، وفيها خَرْد متن

٢) ومن الكتب الجغرافيّة التي وصلتنا نسخٌ كثيرة منه، كتاب "**خريدة العجائب وفريدة الغرائب**" لابن الورديّ، وهو من أكثر الكتب ذُيوعًا وانتشارًا بين أضرابه إذ تتجاوز نُسَخه المخطوطة مائة وخمسين نسخة موزّعة في مكتبات العالم[١٤]، إضافة إلى نسخ عديدة بلغات أخرى كالتُّركيّة والفارسيّة. وقد وقع التنازع بين الباحثين المحدَثين في اسم مؤلّفه: هل هو زين الدّين عمر بن المظفّر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، صاحب كتاب "المختصر في أخبار البشر"، الذي ذيّل به تاريخ أبي الفداء، أم هو سراج الدين عمر بن الورديّ (ت ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م)، وهذا الأخير - أعني سراج الدين - هو الذي يميل إليه الثقة من الدارسين[١٥].

والى جانب نسخه المخطوطة التي وقع التثبُّت منها، فيوجد نسخ أخرى سقطت منها الأوراق الأولى فتعذّر على المفهرسين معرفة عنوانها أو اسم مؤلّفها، فاخترعوا لها أسماءً مثل: "كتاب في الجغرافيا لمجهول" أو "دائرة الأرض" ... إلخ، ويمكن القول إنّ أغلب مخطوطات الغرائب والعجائب التي جُهل عنوانها أو سقط اسم مؤلفها هي نسخ من خريدة العجائب لابن الوردي، وقد اطّلعت على عشرات من النسخ على هذه الشاكلة وصحّحتُ نسبتها على حواشي الفهارس، ولم أعتن - وقتها - برصدها وتوثيقها، والذي توفّر بين يدي منها عدّة نسخ منها:

- نسخة محفوظة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة برقم ٥٥٧٤، وردت بعنوان: "**كتاب في الجغرافيا لمؤلف مجهول**"، وتقع في ١١٢ ورقة، كُتبت سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م،، وهي ناقصة الأول؛ تبتدئ

تصحيح نسبة بعض المخطوطات الجغرافيّة وكتب الرحالة وإعادتها إلى أصحابها (مؤلفيها)

من كلامه على حمص، وهو قوله: "ويضعه على اللدغة أو اللسعة فتبرأ في الحال، وجميع أزقّتها وشوارعها مفروشة بالحجر الصلد ...إلخ"، وينتهي المخطوط بنهاية الكتاب[١٦].

الصفحة الأولى من نسخة خريدة العجائب (مركز الملك فيصل ٥٥٧٤)

الصفحة الأخيرة من خريدة العجائب (مركز الملك فيصل ٥٥٧٤)

- نسخة أخرى ضمن مجموع، محفوظة أيضًا في مركز الملك فيصل برقم ٢٤٨٥، وردت بعنوان: "**دائرة الأرض لمؤلف مجهول**"، تقع في ٣٧ ورقة، ومسطرتها ٢١ سطرًا، كُتبت سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م، وهي ناقصة الآخر[١٧]، تقف في منتصف فصل النباتات، وينقص منها تسعة فصول[١٨]. وأوّل هذه النسخة: "الحمد لله غافر الذّنب، قابل التّوب، شديد العقاب، عالم الغيب، راحم الشيب، منزّل الكتاب، ساتر العيب ..."، وآخرها: "جاء أخضر وهو كالزبيب غير أنه لا عجم له، والله أعلم".



الصفحة الأولى من مخطوط خريدة العجائب (مركز الملك فيصل رقم ٢٤٨٥)

الصفحة الأخيرة من مخطوط الخريدة (مركز الملك فيصل رقم ٢٤٨٥)

٣) وتحتفظ المكتبة الوطنيّة بباريس بنسخة من كتابٍ مجهول العنوان والمؤلّف، يقع تحت الرقم (Arabe ٥٩٦٥)، وقد وضع له مفهرسو الدار عنوانًا يُقارب موضوعه: "**كتاب في أقاليم مصر**"[١٩]، استمدّوه من مقدّمة المؤلّف، قوله: "فهذا كتاب أذكر فيه ما بإقليم مصر من البُلدان، وعِبْرة كل بلدة وكم مساحتها فدان؛ ابتدأُ أولًا بذكر الأقاليم على وجه الإجْمال ... إلخ"، وإنّما الذي كُتب على طرة النسخة "**هذا دفتر الجراكسة**"، ولم يتأتَّ للعاملين في المكتبة معرفة عنوان الكتاب ولا اسم مؤلفه. ونسخته تقع في ١٢٢ ورقة، مسطرتها ٢١ سطرًا. أولها: "بسم الله الرّحمن الرّحيم، وهو حسبي وهو الوكيل. الحمد لله الذي له ما في السموات والأرض، العالِم بما في طولها والعرض، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة بها أؤدي الفرض، وأشهد أن سيّدنا محمدًا عبده ورسوله، الشّفيع يوم العرض، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلامًا دائمين يَملآن ما بين السّماء والأرض...". وآخرها: "ثغر عيذاب: كان باسم نائب الوجه القبليّ والآن باسم الأمير يشبك الدّاوَدار. هذا آخر الأقاليم المصريّة وبتمام هذا تم الكتاب المبارك، وكان الفراغ من تعليقه تاسع عشر شهر جمادى الآخرة سنة سبعين وتسعمائة بمحروسة القاهرة المعزية والله أعلم".

وقد تبيَّن بعد استحضار نسخة مصوَّرة منها، أنها نسخة من كتاب: "**التُّحفة السَّنية بأسماء البلاد المصريّة**"؛ للقاضي شرف الدّين يحيى ابن شاكر المعروف بابن الجَيْعَان (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٩٧م). وكتابه من نمط كتب الخطط غير أنّه مختصّ بتوثيق وتقييد الأراضي الزّراعيّة ومقدار ما يتحصّل منها في الديار المصريّة في أواخر عهد المماليك، إضافة إلى اعتنائه بذكر التقسيمات الإداريّة لكافة نواحي البلاد وأقسامها، استفاد ابن الجَيْعان في تأليفه من وظيفته "مستوفي ديوان الجيش"[٢٠].

٤) وورد في فهرس المكتبة السليميّة بإستانبول عنوان مخطوط: "**أخبار الدُول وآثار الأُوَل**"، رقمه (٤٥٠)، ونُسب الكتاب في الفهرس لنوعي زاده[٢١]، وهو محمد عطاء الله بن يحيى (ت ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م)، والصَّحيح أنّه من تأليف معاصره أحمد بن يوسف القرمانيّ (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)، وكتابه في التاريخ، ويتضمَّن القسم الأخير منه مادّة جغرافيَّة، تناول فيها البحار والأنهار والعيون والآبار وعدد المدن والبلدان على حروف المعجم[٢٢].

٥) وفي فهرس المكتبة الأزهرية بالقاهرة نسخة مخطوط عنوانه: "**الآثار الباقية عن القرون الخالية**"، رقمها [(٤١١٥) ٥٤٥٩٩]، وتقع في ٤٠٥ ورقة. وورد في فهرس المكتبة أنَّه من تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ (٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، أوَّلها: "وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كلّ زمان، من ابتداء ربّنا جلَّ جلاله خَلْق خلقه، إلى حال قيامهم، مَنْ انتهى إلينا خبره..."[٢٣]، وهذا الكلام للطَّبريّ؛ قدَّمَ فيه لكتابه المشهور في التاريخ "تاريخ الرسل والملوك"، والعنوان المذكور في الفهرس هو اسم كتاب من تأليف أبي الريحان البيرونيّ (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) ولا يتَّصل بعمل الطبريّ، ولا نعلم كيف تسرَّب هذا الاسم إلى فهرس الدار أو إلى النسخة المحفوظة بالأزهرية.

٦) وتحتفظ مكتبة راشد أفندي في بلدة قيصري/ تركيا بمخطوط عنوانه: "عجائب البلدان وغرائبها"، رقمه ٥٠٩، يقع في ٤٩ ورقة، مسطرته ١٧ سطرًا، كتب بخطٍّ نسخي واضح ومشكول. وجعله مؤلفه في جزأين، وقد جاء العنوان على الغلاف: "كتاب عجائب البلدان

الصفحة الأُولى من كتاب التحفة السنية لابن الجيعان

الصفحة الأخيرة من مخطوط التحفة السنية لابن الجيعان

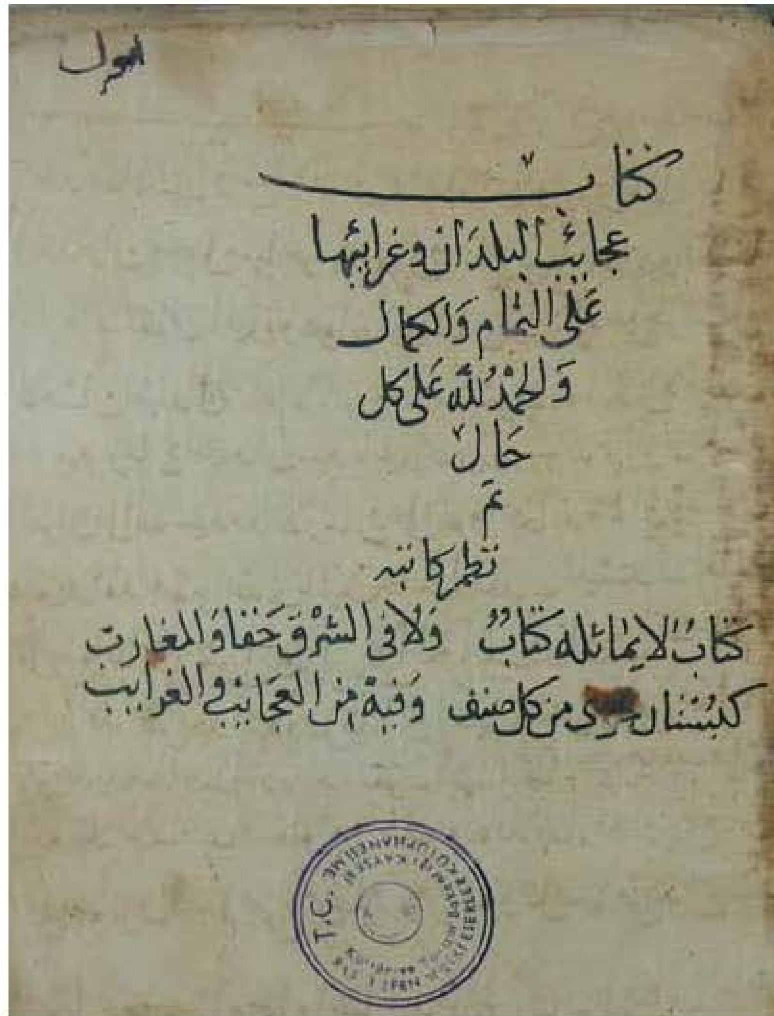
وغرائبها"، وورد العنوان في مطلع الجزء الثاني: "الجزء الثاني من عجائب الدُّنيا"، ولم تتضمن النسخة اسم المؤلف ولا ما يدلّ عليه.

أوله بعد البسملة والاستعانة بالله عزَّ وجلّ: "الحمد لله الذي أوسع الأراضي والبلدان، وأجرى المياه على الغدران، وجعل منها خرابًا وعمران، وأبدع فيها حكمته وأتقنها غاية الإتقان. أحمدُه وهو الواحد المنَّان، وأشكرُهُ على جزيل الإحسان، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي لا يتّصف بمكان، ولا يحدّ بزمان، وأشهد أن سيّدنا محمدًا عبده ورسوله، ومَنْ أُنزل عليه القرآن، صلى الله عليه مدى الأزمان، وعلى آله وأصحابه وسلم إلى يوم الدين. وبعد؛ فقد ألهمني الله في تأليف عجائب البلدان ليستدل القارئ على صنع الباري؛ فمن العجائب والغرائب عَرناق ابن عنقام الكاهن..."، ونهايته بخبر موسى عليه السّلام مع فرعون: "فلما أدرك فرعون الغرق قال: أدركني يا موسى، فقد آمَنْتُ أنه لا إله إلا الذي آمَنَتْ به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين، فألجمه جبريل عليه السّلام بحماة البحر فضرب بها فمه فغرق الجميع وعجّل الله تعالى بأرواحهم إلى النار ثم طرحهم البحر وبقي فرعون ... تَمّ الكتاب وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه".

ونُسِبَ الكتاب في فهرس المكتبة للطّبيب ابن الجزّار القيروانيّ[24]، وهو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزّار (ق ٤هـ/ ١٠م)، وشُهرته في الطّبّ واسعة معروفة، تشهد له بذلك كثرة مؤلفاته الطبيّة التي وصلتنا بعضها، وتُرجمت في أوقات مبكّرة إلى اللاتينية والعبريّة، ونال بها الاحترام في الأوساط العربيّة والغربيّة. وتُظهر كتب التراجم أن لابن الجزار اعتناء بالتّاريخ والجغرافية، فألّفَ كتاب التعريف بصحيح التاريخ، وكتاب تاريخ (أخبار) الدولة، وكتاب عجائب البلدان.

إنّ المعلومات المقتضبة التي تضمّنها فهرس مكتبة راشد أفندي بخصوص هذا الكتاب، ونقلَها عنه ششن في كتابه نوادر المخطوطات العربيّة[25] لم تُتح لي التأكد من الكتاب ونسبته، ولكنني جنحتُ منذ البداية - وقبل الاطّلاع على الكتاب - إلى الاعتقاد بأن المخطوطة ليست إلا نسخة من كتاب: "**تحفة العجائب وطرفة الغرائب**" لابن الأثير الجزريّ، حملني على ذلك توفُّر نسخ عديدة من هذا الكتاب مقارنة بعمل ابن الجزّار المفقود أصله، إضافة إلى قُرب اسم الشهرة بينهما "الجزريّ - ابن الجزّار" بما يكون سببًا للخطأ في نسبته. وقد تحصّلت على نسخة الكتاب، وقرأتها بعناية فتبيّن لي بأنها لا تمتّ بصلة لابن الجزّار ولا إلى ابن الأثير الجزريّ، وأن الكتاب ليس إلا تهذيبٌ واختصار لكتاب العجائب لابن وصيف شاه، الذي نُشر باسم: "**أخبار الزمان ومَن أباده الحدثان، وعجائب البلدان، والغامر بالماء والعمران**" ونُسب هو الآخر أيضًا - في نشرته المتداولة اليوم - خطًا للمسعودي[26] (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، حاول فيه المختصر تجنُّب الإشارة إلى ذلك، والتعمية عليه بما

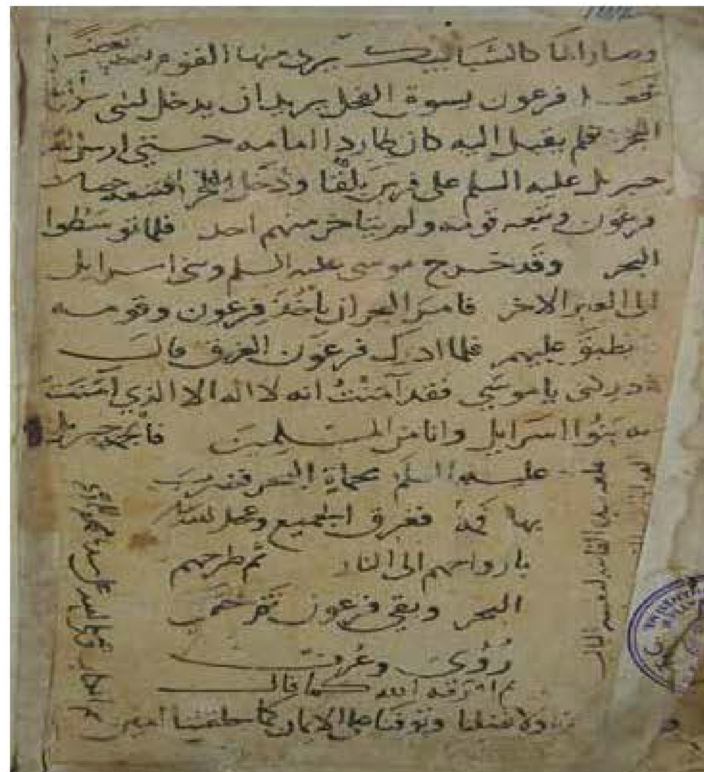
يوحي بأنه صاحب التأليف. ومما يزيدنا تأكدًا من خطأ نسبته لابن الجزار أن النقل -الوحيد فيما نعلم- الذي أورده ابن البيطار من كتاب العجائب لابن الجزّار لم يرد في هذه النسخة، وهو قوله: "[قال] ابن الجزّار في كتاب عجائب البلدان: جبل الزمرد من جبال البجاة [البجة] موصولٌ بالمقطم جبل مصر فافهمه"(٢٧). ثم إن ابن الجزّار -تبعًا لاهتماماته وميوله الطبيَّة- لا بدَّ وأن يكون قد ضمَّن عمله الكثير من عجائب البلدان وخواصها وما تتوفّر عليه من عجائب الأدوية والخواصّ التي يعالج بها، وهذا ممّا لم يرد في نسخة الكتاب المنحول إليه.



الصفحة الأولى من مخطوط عجائب البلدان

الورقة الثانية من مخطوط عجائب البلدان





الصفحة الأخيرة من مخطوط عجائب البلدان، وفيها خَرْد متن

٧) وتحتفظ مكتبة جامعة كولومبيا في نيويورك بمخطوط رحلة عنوانها: "**رحلة في شمال الجزيرة (الحجاز) ومصر والشّام**". محفوظة تحت الرقم (MN ٢٦٢٢)، والنُّسخة تقع في ٢١٦ ورقة ضمن مجموع، مسطرتها ٢٧ سطرًا، كتبت بخطٍّ مغربيٍّ دقيق، وورد في فهرس المكتبة أن الرحلة من تأليف مبارك بن عمر (٤).

وخاطبت القائمين على مكتبة جامعة كولومبيا وتحصّلت على نسخة مصوَّرة منها، وهي تبتدئ بقوله: "... الحُجّاج والعُمّار وفدُ الله وزوّاره؛ إن سألوه أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوا أستجيب لهم.. أما بعد: فلما كان عام تسعة عشر ومائة وألف، تتابعت زفراتي وأنيني، وكثر اشتياقي وحنيني، إلى تكحيل إنسان العينين بمشاهدة مشاهد الحرمين..".

وتنتهي النّسخة بقوله: "ثم رجع بعض أصحابنا بأسْقية لنا فأظفره الله بغدير ملأ منه ... ثم ظعنا ونزلنا على ماءٍ بغدير بوادي رؤوس الحمراء وسقى الناس منه دوابّهم ونالوا منه حاجتهم وتقدّمنا شيئًا ونزلنا للاستراحة".

وتبيَّن لي بأنها نسخة شبه تامّة من الرحلة الناصريّة لأبي العبّاس أحمد بن محمد - بالفتح - ابن ناصر الدرعيّ (ت ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م)، سقطت منها الصفحة الأولى، ونحو عشرين صفحة في آخرها، والنّصّ الّذي تتضمّنه المخطوطة يقابل في النسخة الفاسية الحجرية (من ج١، ص ٤ حتى ج٢، ص ١٩١)[٢٨]، أما الاسم الذي ورد في فهرس المكتبة ونسب تأليف الرحلة لمبارك بن عمر، فقد تسرَّب إليها من الحاشية التي في آخرها، وتتضمّن نصًّا يقع في ثمانية أسطر بعض كلماته غير مقروءة، وهو: "... المخلف الفقير إلى ربّه مبارك بن عمر الصالحي (كذا)، .... اللّهم صل على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة دائمة ... ما دام ملك مالك الدنيا والآخرة، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين". وربما كان الاسم المذكور يتّصل بناسخ الرحلة لتشابه خطّه مع خط المتن.

الصفحة الأولى من رحلة الناصري

الصفحة الأخيرة من رحلة الناصريّ، وبهامشها النصّ المُلحق

٨) يوجد في مكتبة الجامع الكبير (الغربيّة) بصنعاء مخطوطٌ عنوانه: "**رحلة أحد وزراء الإمام المؤيِّد بالله في سنة ١٠٥٢هـ إلى ملك الحبشة**"، ولم يورد الفهرس اسم صاحبها، وهي ضمن مجموع برقم ٢٤٧، تُشغل الأوراق ٢٦٣ - ٢٨٨ [٢٩].

وهذا الكتاب هو رحلة الحسن بن أحمد بن صلاح اليمانيّ المعروف الحَيْميّ (ت ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م)، وعنوانها: "**حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السَّفر**"، وتسمَّى أيضًا: "**سيرة الحبشة**" [٣٠].

٩) وورد في فهرس مخطوطات مكتبة برلين ذكر كتاب مجهول المؤلف والعنوان، سُمِّي حسب موضوعه بـ: "**كتاب في فضائل الشَّام**"، وأدرج تحت الرقم (٦٠٨١، We ١١١١)، عدد أوراقه ١٢٥ ورقة، ومسطرته ١٩ سطرًا. وأول المخطوط: "الحمد لله الأول بلا بداية، الآخر بلا نهاية، المحصي لكلِّ شيء عددًا، العالم بما خفي من خلقه و[ما] بدى ... وبعد؛ فهذه أوراقٌ أذكر فيها إن شاء الله تعالى ما تيسَّر الاطِّلاع عليه وسهل الوصول إليه من كتب تواريخ الإسلام فيما يتعلَّق بفضائل دمشق وغيرها من أرض الشام"، وآخره: "ثم يُهْلك الله يأجوج ومأجوج وتخرج الأرضُ بركاتها، وبعده تهبُّ ريح من اليمن فتقبض أرواح المؤمنين وتقوم السّاعة على شرار الخلق، والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم" [٣١].

وهذه نسخة من كتاب "**تُحْفة الأنام في فضائل الشَّام**"؛ لشمس الدين أبي العبَّاس أحمد ابن محمد البصراويّ المعروف بابن الإمام (ت١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م)، ألَّفه سنة ١٠٠٣هـ/

١٥٩٤م[٢٢]، وجعله على ستّة أبواب، تناول فيه فضائل الشّام مما ورد في الأحاديث النبويّة الشريفة، وفضل جامع دمشق وعمارته وصفاته ومحاسنه، وذِكْر بعض مَنْ توفي بأرض الشام من الأنبياء والصّحابة والتابعين والعلماء والأولياء، وختمه بالكلام على ما يقع بدمشق في آخر الزمان.

١٠) وفي مكتبة برلين أيضًا ثلاث نسخ من كتاب عنوانه "**البلدان**"، تقع في (٦٢، ٢٦٤، ٣٨) ورقة، وتحمل الأرقام (٦٠٣٥، ٦٠٣٦، ٦٠٣٧)[٢٣]. ونُسب تأليفه لأبي الحسن علي ابن جعفر بن أحمد الشُّزْري، ولكنها - في الواقع - ثلاث نسخ من كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذانيّ؛ أحمد بن محمد بن إسحاق ابن إبراهيم (ت بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)، وما فعله الشّزريّ يقتصر على اختصار الكتاب، أنجزه في عام ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م، وقد حُقّق هذا المختصر ونشرهُ باسم ابن الفقيه المستشرق الهولندي دي خويه عام ١٨٨٥م.

١١) ويوجد في مكتبة البودليان بأكسفورد مخطوط كتب عليه بخطٍّ مغاير لخطّ المتن عنوان: "**مجمع [كذا]** البلدان" ونُسب لياقوت الحمويّ[٢٤]، محفوظ برقم ١١٢٣، أوراقه ١٣٩ ورقة، أوّله بعد البسملة والصّلاة على النبي: "الحمد لله المعين على المقاصد السّديدة، والهادي إلى مظانّ الإرادات الرّشيدة، والموفّق لِما يُرامُ من المعارف المفيدة، والمرشد إلى الاعْتبار بحوادث الدُّهور المبيدة. وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه صلاةً تضمَنُ من الفضل مزيدهُ، وتحصل للمثابر عليها نِعمًا عديدة."

وآخر المخطوط: "واستمرَّ الملكُ المُظفّر في المُلْك إلى الوقت الذي وضعنا فيه هذا الكتاب، وهو سنة تسع وسبعين وستّمائة. تمّ الفراغ منه بكرة نهار السبت خامس عشري رجب في سنة تسع وثمانين وسبع مائة على يد أضعف العباد الرّاجي عفو ربّه وغفرانه سليمان بن غازي بن محمد الأيوبيّ. رحم الله مَن ترحّم عليهم، ودعا لهم المغفرة ولساير المسلمين. آمين يا ربّ العالمين. والحمد لله والصلاة على سيّد المرسلين".

والتأريخ المذكور آخر النُّسخة كافٍ لدفع نسبته لياقوت الحمويّ المتوفّى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، وقد طالعتُ النسخة فكانت عبارة عن الجزء المتعلّق بالجزيرة من كتاب "**الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة**" لعز الدين محمد بن علي ابن إبراهيم، المعروف بابن شدّاد (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)[٢٥].



الصفحة الأولى من كتاب الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد



الصفحة الثانية من كتاب الأعلاق الخطيرة لابن شدّاد

وبعد؛

فهذا عرضٌ لاثني عشر كتابًا مخطوطًا ممَّا وقع الخطأ في عنوانه أو في نسبته لغير مُصنِّفه، أو جُهل اسم مؤلِّفه، فأُعيد الاعتبار له ولمَن وضعه، وصُحِّح الخطأ الحاصل في فهرسته، وهي مساهمة قاصرة محدودة، آمل أنْ أُوالي تصحيح ما أوقفهُ في طريقي البحث والتَّنقيب.

الحواشي

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم الأدباء "أو: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب". (تحقيق) إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ٦: ٢٤٣٧. وانظر أيضًا: بنبين، أحمد شوقي: دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، ط٢، مراكش: المطبعة الوطنية، ٢٠٠٤م، ص ٢٤٤. وقد نشر كتاب الفهرست عدة مرات، آخرها وأجودها نشرة الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلاميّ، لندن، ٢٠٠٩م.

(٢) ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ١٠٠. وابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. (تحقيق) مجموعة من الباحثين بإشراف إبراهيم شبوح، تونس: القيروان للنشر، ٢٠٠٦ - ٢٠١٤م.، ٧: ٤٥٤، وفيه: "في كل فهرسة عشرون ورقة".

(٣) شبُّوح، إبراهيم: سجلٌ قديم لمكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج٢، ج٢، ربيع الثاني١٢٧٦هـ/ نوفمبر ١٩٥٦م، ص ٢٢٩ - ٢٧٢.

(٤) شبوح: سجل قديم لمكتبة جامع القيروان، ص ٢٧٠

(٥) نُشر نص الفهرس محققًا باعتناء سعيد الجوماني، مجلة تراثيات، القاهرة، مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، ع ١٢، يوليو ٢٠٠٨م، ص ٧١ - ٨٩.

(٦) محمد بن محمد الصالح الجوديّ القيروانيّ (ت ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م): رحلة الجوديّ إلى الحج سنة ١٣٢١هـ. مخطوط لدى الأستاذ إبراهيم شبوح، ولدي نسخة مصورة منه، الورقة ٦ ب

(٧) الجودي، الورقة ١٠ ب

(٨) انظر: يحيى بن جنيد: الوقف وبنية المكتبة العربية "استبطان للموروث الثقافي"، ط٢، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٩م، ص ٢٣٩ . ٢٤٢، كما ساهم أيضًا في ضياع كثير من هذا التراث وهجرته، ضعف مؤسسة الوقف، فأُخرجت الأصول الموقوفة . خلاف شرط الواقف - إلى جهات غير معلومة.

(٩) هذا بالرغم من أن بعض دور المخطوطات الغربية استعانت منذ وقت مبكر (ق ١٧ - ١٨م) ببعض المفهرسين العرب المشارقة، خاصة من سوريا ولبنان لوضع فهارس وكشافات لمحتويات المكتبات. أحمد شوقي بنبين: دراسات في علم المخطوطات ص ٨٠.

(١٠) فهرس مخطوطات المكتبة العمومية بإستانبول "كتبخانة عمومي دفتري". إستانبول: محمود بك مطبعة سي، ١٣٠٠هـ، ص ٢٢٧

(١١) هكذا ورد العنوان على طرة الكتاب وعلى الصفح الأيسر من الورقة الأولى قبل فهرس موضوعاته.

(١٢) ابن سباهي زادة، محمد بن علي البروسوي (ت ٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م). أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ط٢، (تحقيق) المهدي عيد الرواضية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٨م.

(١٣) ابن سباهي زاده: أوضح المسالك ص ٣٠

(١٤) توجد في مكتبة البودليان وحدها ١٦ نسخة مخطوطة من الكتاب، ثلاثٌ منها باللغة التركية. انظر تفصيلات هذه النسخ عند: الغنيم، عبد الله يوسف: المخطوطات الجغرافية في مكتبة البودليان "جامعة أكسفورد". لندن: مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٣-٢٤٢

(١٥) حول ما وقع بين الدارسين من اختلاف في تحقيق اسم مؤلف الخريدة انظر: الغنيم: المخطوطات الجغرافية في مكتبة البودليان ص ٢٣٩

(١٦) المتبقي من النسخة يقابل في نشرة خريدة العجائب (بيروت: المطبعة الشعبية) من ص ٤١ - ٢١٧

(١٧) ورد في فهرس مخطوطات المركز أنها: نسخة تامة كاملة. انظر: فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل (الرياض: د. ت)، مج١، ص ١١٩.

(١٨) وهذه الفصول - إضافة لبقية فصل النباتات - هي: فصل في البقول الكبار، فصل في البقول الصغار، فصل في حشائش مختلفة، فصل في البزور، فصل في خواص الحيوانات، فصل في حيوانات النعم، فصل خواص أجزاء سباع الوحوش، فصل في خواص أجزاء سباع الطيور، فصل في خصائص البلدان. انظر خريدة العجائب ص ١٨٦ - ٢١٧.

(19) E. Blochet; Bibliotheque Nationale, Catalogue Des Manuscrits Arabes, Paris, 1925. P 150.

وتوجد نسخة مصورة من الكتاب محفوظة على الميكروفيلم في مركز الملك فيصل برقم ٥٩٦٥ - ف

(٢٠) انظر الغنيم: المخطوطات الجغرافية في مكتبة البودليان ص ١٧٩ .. وانظر نشرة الكتاب: القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٤م.

(٢١) فهرس مخطوطات المكتبة السليمية، إستانبول: دار السعادة، ١٣١١هـ، ص ٢١

(٢٢) انظر: القرماني، أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، (تحقيق) فهمي سعد، أحمد حطيط، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٢م.

(٢٣) فهرس الكتب الموجودة في المكتبة الأزهرية، القاهرة: مطبعة الأزهر، ١٩٤٩م، ٥: ٢٠٨، وانظر مطابقة أول المخطوط لما في تاريخ الطبري ١: ٦

(24) Karabulut, Ali Riza; Kayseri Rasid Efendi Kutuphanesindeki: Yazmalar Katologu, Kayseri, 1982. P 205

وقد راسلتُ القائمين على الدار لمعرفة مستندهم في نسبة الكتاب، فكان الرد بأنهم اتكأوا في ذلك على كشف الظنون لحاجي خليفة!.

(٢٥) رمضان ششن: نوادر المخطوطات العربية في تركيا، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م، ٢: ١٢٦، والغريب أن يحدد ششن تاريخ النسخ في القرن التاسع الهجري.

(٢٦) النشرة الموجودة اليوم من كتاب أخبار الزمان، والمنسوبة للمسعودي، لا تمتّ له بصلة، وقد حشد محقّق الكتاب الأستاذ عبد الله الصاوي (مقدمة تحقيق أخبار الزمان ص ١١ - ١٤) جُملة من القضايا والملاحظات التي تؤكّد عدم نسبته للمسعودي، ومع ذلك نسبَهُ إليه، والنسخة التي اعتمد عليها في نشر الكتاب ليست إلا نسخة من كتاب العجائب لابن وصيف شاه المتوفى في القرن السابع الهجري. وانظر للمزيد حول كتاب أخبار الزمان: الغنيم: المخطوطات الجغرافية العربية ص ٣٠.

(٢٧) ابن البيطار، عبد الله بن أحمد المالقي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار المدينة (د.ت)، ١: ١٦٧

(٢٨) انظر: الدرعي، أحمد بن مَحمد - بالفتح - بن ناصر (ت ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م): الرحلة الناصرية، طبعة حجرية، فاس، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.

(٢٩) فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، إعداد: أحمد عيسوي، محمد المليح، اليمن: الهيئة العامّة للآثار ودور الكتب، ١٩٧٨م، ص ٨١٦

(٣٠) انظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام "قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، ٧مج، ط ٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م، ٢: ١٨٢. وتوجد عدة نسخ مخطوطة من الرحلة، منها ثلاث نسخ في الأمبروزيانا، أرقامها: [(159) D 383L ،(639) b 553L II ،(809) B 35L I A]، ونسختان في جامعة ليدن/ هولندا برقم [Or. 7094 (2), Or. 2600]، وفي مكتبة خدابخش/ بانكيبور برقم [1115]، ومكتبة رضا في رامبور [برقم (4597) M /8981]، وقد طبعت الرحلة بعنوان "سيرة الحبشة" بتحقيق مراد كامل عام ١٩٥٨م.

(31) W. Ahlwardt; Die Handschriften-Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin (Siebzehnter Bände), Berlin. 1893, p 395- 396

(٣٢) انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ٢ مج، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٢م، ١: ٢٦٣ وفيه: "البصراوي"، ونسبته إلى بصرى الشام. الزركلي: الأعلام ١: ٢٢٦.

(33) W. Ahlwardt; Die Handschriften-Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin (Siebzehnter Bände), Berlin. 1893, p 363- 365

(٣٤) وعنه نسخة مصورة بالميكروفيلم في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية.

(٣٥) والنسخة المخطوطة تقابل القسم الأول والثاني من الجزء الثالث من نشرة الكتاب، تحقيق: يحيى عبارة، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٨م.

المصادر والمراجع

- بنبين، أحمد شوقي: دراسات في علم المخطوطات والبحث البيليوغرافي، ط٢، مراكش: المطبعة الوطنية، ٢٠٠٤م، ص ٢٤٤.
- ابن البيطار، عبد الله بن أحمد المالقي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار المدينة (د.ت).
- ابن جُنيد، يحيى: الوقف وبنية المكتبة العربية "استبطان للموروث الثقافي"، ط٢، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٩م.
- الجوديّ، محمد بن محمد الصالح القيروانيّ (ت ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م): رحلة الجوديّ إلى الحج سنة ١٣٢١هـ، مخطوط لدى الأستاذ إبراهيم شبوح (تونس).
- الجوماني، سعيد ضامن: فهرست كتب خزانة التربة الأشرفية "دراسة وتحقيق ونشر"، مجلة تراثيات، القاهرة، مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، ع ١٢، يوليو ٢٠٠٨م، ص ٧١ - ٨٩.
- ابن الجَيْعَان، شرف الدِّين يحيى بن شاكر (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٩٧م): التُّحفة السَّنية بأسماء البلاد المصريّة، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٤م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٢م.
- الحَيْميّ، الحسن بن أحمد بن صلاح اليمانيّ (ت ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م): سيرة الحبشة، (تحقيق) مراد كامل، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٥٨م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومَن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (تحقيق) مجموعة من الباحثين بإشراف إبراهيم شبوح، تونس: القيروان للنشر، ٢٠٠٦ - ٢٠١٤م.
- ابن حزم الأندلسيّ، علي بن أحمد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م): جمهرة أنساب العرب، (تحقيق) عبد السلام محمد هارون، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م.
- الدّرعيّ، أحمد بن مُحمد - بالفتح - بن ناصر (ت ١١٢٩هـ/ ١٧١٦م): الرحلة الناصرية، طبعة حجرية، فاس، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.
- الزركليّ، خير الدين: الأعلام "قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"، ٧مج، ط٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.
- ابن سباهي زادة، محمد بن علي البروسوي (ت ٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م)، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، ط٢، (تحقيق) المهدي عيد الرواضية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٨م.
- شبُّوح، إبراهيم: سجلٌ قديم لمكتبة جامع القيروان، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج٢، ج٢، ربيع الثاني ١٢٧٦هـ/ نوفمبر ١٩٥٦م.
- ابن شدَّاد، محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، الجزء الثالث، القسم الأول والثاني (تحقيق) يحيى عبارة، دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٨م.
- ششن، رمضان: نوادر المخطوطات العربية في تركيا، بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م.
- الطبريّ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، (تحقيق) محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م.
- الغنيم، عبد الله يوسف: المخطوطات الجغرافية في مكتبة البودليان "جامعة أكسفورد"، لندن: مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٦م.

تصحيح نسبة بعض المخطوطات الجغرافية وكتب الرحالة وإعادتها إلى أصحابها (مؤلفيها)

- فهرس الكتب الموجودة في المكتبة الأزهرية، القاهرة: مطبعة الأزهر، ١٩٤٩م.
- فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (د. ت).
- فهرس مخطوطات المكتبة السليمية، إستانبول: دار السعادة، ١٣١١هـ.
- فهرس مخطوطات المكتبة العمومية بإستانبول "كتبخانة عمومي دفتري"، إستانبول: محمود بك مطبعة سي، ١٣٠٠هـ.
- فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء، إعداد: أحمد عيسوي، محمد المليح، اليمن: الهيئة العامّة للآثار ودور الكتب، ١٩٧٨م.
- القرمانيّ، أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، (تحقيق) فهمي سعد، أحمد حطيط، بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٢.
- المسعوديّ، علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): أخبار الزّمان ومَن أباده الحدثان، وعجائب البلدان، والغامر بالماء والعمران، (تحقيق) عبد الله الصاوي، بيروت: دار الأندلس (د.ت).
- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، كتاب الفهرست، (تحقيق) أيمن فؤاد سيد، ٤ ق في ٢مج، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ٢٠٠٩م.
- ابن الورديّ، عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، بيروت: المطبعة الشعبية، ١٩٣٩م.
- ياقوت بن عبد الله الحمويّ (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم الأدباء "أو: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، (تحقيق) إحسان عباس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م.
- E. Blochet; Bibliotheque Nationale, Catalogue Des Manuscrits Arabes, Paris, 1925.
- Karabulut, Ali Riza; Kayseri Rasid Efendi Kutuphanesindeki: Yazmalar Katologu, Kayseri, 1982.
- W. Ahlwardt; Die Handschriften-Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin (Siebzehnter Bände), Berlin. 1893.



حملة أوريلي على مدينة الجزائر سنة ١٧٧٥م

من خلال مخطوط " الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" مع تحقيق الجزء المتعلق بالحملة من مخطوط

أ. خيرالدين سعيدي
قالمة - الجزائر

مقدمة:

تُعدُّ مدينة الجزائر واحدة مِن المدن المحورية في المتوسط التي كان لها شأن كبير في تسطير أسُس العلاقات الدولية في المنطقة؛ ولم يتأتَّ هذا الأمر لهذه المدينة مِن فراغ، وإنّما كان ذلك بسبب الارتباط الاسمي للجزائر مع واحدة مِن الدول ذات الشّأن في تلك الفترة، ويتعلّق الأمر بالدولة العثمانية؛ إذ أصبحت الجزائر منذ سنة (١٥١٩م)- تابعة اسميًا للدولة العثمانية، وامتلكت الجزائر بعد هذا التّاريخ أسطولاً بحريًا قويًا ساعدها في فرض نفسها كقوة إقليمية؛ تُدفع لها ضرائبُ السَّنويةٌ؛ مقابل سَماحها للسُّفن الأوربية بالمرور في المتوسط وتوفير الحماية لها ممّن قد يعترض سبيلها.

إلاّ أنّ معظم الدول الأوروبية لم تكن لترضى عن هذا الأمر، وكانت تدفع ما عليها من إتاوات وضرائب وهي مكرهة؛ بما للجزائر مِن قوّة تمكّنها مِن تحصيل إتاواتها بِسُبُلٍ عدَّة، لكن ما فتئت الدول الأوروبية عامة، وإسبانيا وفرنسا خاصة- بسبب المصالح الكبيرة في المنطقة- تتحيَّن الفرص المناسبة للانقضاض على عشِّ القراصنة كما كانت تعرف في تلك الفترة[1]، وتجلّى هذا الأمر في عددٍ مِن الحملات الأوروبية التي استهدفت مدينة الجزائر على امتداد ثلاثة قرون كاملة (١٥-١٨م) نكص في غالبها الطرف الأوروبي على عقبيه، ولم يكن من أمرها إلاّ أن أعطت تكاليف الحرب عن يد وهي صاغرة.

١. الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر:

وقد غلب على جلّ الحملات الأوربية التّجهيز الحربي بأحسن ما هو متوفر مِن العتاد؛ بهدف إخضاع هذه المدينة التي كثيرًا ما اعتبرت شوكة في حلق الدول الأوروبية، وتجلّى الحقد الصلبي على المدينة في خاصية قل تواجدها في التاريخ الأوروبي الوسيط، تمثّل في تحالف العديد من الإمارات والدول الأوروبية التي كانت بينها صراعات عميقة تصل حد التناحر فيما بينها، وقد تجاوزت هذه الدول هذا الأمر بغرض إخضاع الجزائر، ولعلّ مِن أبرز الأمثلة على ذلك حملة الملكي الإسباني شارل كان (Charles Quint) على مدينة الجزائر سنة ١٥٤١م والتي لم يُشهد لها مثيل، لا من حيث عدد سفنها -إذ فاقت ٤٠٠ سفينة من الأحجام المختلفة- ولا مِن حيث عدد جنودها، بل ورد على لسان صاحب المخطوط الذي نحن بصدده قوله: "...خُيِّل لأهل الجزائر حين طلعت هذه العمارة أنّها جبلٌ سُيِّرَ في البحر، وحين أرست بذلك الجون خُيِّلَ لهم أنّ جبلاً استقر هنالك، وحصلت بذلك صيحة عظيمة لأهل

(1) Ernest Mercier: L'Algérie et les questions algérienne étude historique statistique et économique, Challamel Ainé éditeur libraire algérienne et colonial, Paris, 1883, P01.

الجزائر؛ لأنهم لم يروا مثل هذه العمارة سابقا..."[٢] وقادها الملك الإسباني شارلكان بنفسه كما صرح بذلك صاحب المخطوط[٣]؛ لأهميتها في ترجيح موازين القوى الإقليمية[٤]،، وقد تحالفت في هذه الحملة كلٌ مِن القوّة الاسبانية والهولندية والعديد مِن الإمارات الايطالية[٥]، وهذه الحملة كمثيلتها من الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر -كما سيأتي- باءت بفشل كبير وخذلان عظيم؛ بسبب حسن

---

(٢) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط [م(أ)/١٨]

(٣) نفسه: [م(أ)/٢٠]

(٤) لمزيد تفصيل حول هذه الحملة والآثار المترتبة عنها ينظر:

- صالح حيمر : التحالف الأوروبي ضد الجزائر سنة ١٥٤١ وتأثيراته الدولية والإقليمية،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م.
- مولاي بلحميسي : غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر(١٥٤١/٩٤٨) بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية، مجلة الأصالة، العدد الثامن، ماي- جوان ١٩٧٢، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص- ص ٩١- ١١١.
- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا،ط الأولى، الجزائر،دار البصائر، ٢٠٠٧،٢٦١-٢٧١.
- محمد بن أحمد أبي راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج١، ص، ص ١٦٢، ١٦٤.
- جون ب وولف : الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص-ص٥٦- ٦٠.

(٥) انظر تفصل هذا التحالف في:

- صالح حيمر : التحالف الأوروبي ضد الجزائر سنة ١٥٤١ وتأثيراته الدولية والإقليمية.
- مولاي بلحميسي : غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر(١٥٤١/٩٤٨) بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية، مجلة الأصالة، العدد الثامن، ماي- جوان ١٩٧٢ م، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص ٩١-١١١.

تدبير حسن آغا[٦] مِن جهة ومن جهة ثانية بتوفيق من الله الذي سخّر لأهل الجزائر ريحًا عاصفًا أتت على أجفان العدوّ، وانقلب أهل الجزائر بنعمة مِن الله لم يمسسهم سُوءٌ، بل وغنموا ما عطب مِن أجفان النّصارى بسبب ما أصابهم من ريحٍ عاتيةٍ.

وحملة الملك الإسباني شارل كانت واحدة مِن حملات عدّة سعت جميعها للتّخلص مِن سطوة مدينة الجزائر على الجزء الجنوبي من حوض المتوسط، ولعلّ مِن أهم الحملات أيضًا على مدينة الجزائر الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر سنة (١٠٧١هـ/١٦٦٠م) في فترة حكم رمضان بلوك باشي[٧]، والحملتين الفرنسيتين على مدينة الجزائر سنتي (١٦٨٣م). و(١٦٨٤م).، وقد نجح في الثانية حسن ميزومورطو في فرض شروطه على الطّرف الفرنسيّ المنهزم، وتحميله تبعات خسائر الحرب على الجانب الفرنسي المعتدي، إضافة إلى العديد مِن الحملات الأوروبية الأخرى التي ذكرتها كُتب التاريخ.

و التي تعنينا نحن مِن هذه الحملات هي الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر سنة (١٧٧٥م)، والتي تولى قيادتها القائد أوريلي (O'Reilly)وهذه الحملة مِن أكبر وأشهر الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر، ولشُهرتِها وأهميتها فقد خُصّت بالعديد مِن البحوث والكتابات، ونحن في هذا المقام نريد أن نبرز واحدة من الكتابات النّادرة حول هذه الواقعة، لواحد من علماء الجزائر الذين عايشوا هذه الواقعة بل وكانوا ممّن شارك فيها، وكما قد قيل "أنّه إذا حضر الماء بطل التيمم" فإن حضور مَن شهد حجّةٌ على من لم يشهد، وكان لزامًا -إن وجد صادقًا في شهادته- تقديم روايته على غيره ممّن لم يك مِن الشّاهدين.

حملة أوريلي على مدينة الجزائر سنة ١٧٧٥م

---

(٦) يرجع أصل حسن آغا إلى جزيرة سردينيا، لاحظ عليه خير الدين صفات القائد المتفاني فقرّبه إليه وجعله من خاصته، وقع "حسن آغا" في أسر أحد سفن خير الدين عندما كان صغيرًا فكان من نصيب "خير الدين" عند توزيع الغنائم، فكفّله الأخير وجعله كأحد أبنائه، خلف "حسن آغا" "خير الدين باشا" بشكل مؤقت سنة (٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م) وبعد نجاحه في صدّ حملة شارل كان سنة(٩٤٨هـ/١٥٤١م) عُيّن مَن طرف الباب العالي بشكل نهائي في منصب حاكم إيالة الجزائر، توفي "حسن آغا" في شهر رمضان من سنة (٩٥٢هـ/١٥٤٥م) وخلفه "حسن باشا بن خير الدين" للتفصل أكثر حول "حسن آغا" انظر:

- حسين بن رجب شاوش بن المفتي : تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلماؤها، جمعها واعتنى بها، فارس كعوان،ط الأولى،٢٠٠٩ م، العلمة، الجزائر، بيت الحكمة، ص٢٩.
- زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر زكي محمد حسن وآخرون، د- ط، ، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي، ١٩٨٠ م، ص ١٢٦.
- فارس كعوان : النظام العثماني والفئات الاجتماعية في الجزائر الكراغلة نموذجًا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٤-٢٠٠٥ م، ص ١٧.
- صالح حيمر : التحالف الأوروبي ضد الجزائر سنة ١٥٤١ وتأثيراته الدولية والإقليمية، ص ٦٥.
- De Grammont : Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux Editeur, Paris, 1887, P56.
- Diego de Haèdo : Histoire des rois d'Alger, P67.

(٧) عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج٢، ص، ص ١٦٠، ١٦٢.

وبين أيدينا اليوم مخطوط لعالم مِن علماء الجزائري خلال العهد العثماني تناول فيه صاحب مجموعة من الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر على امتداد ثلاثة قرون، وقد وضع صاحب المخطوط مصنَّفه بطلب من الباي "محمَّد باي الكبير"، وقد كان كلٌّ مِن صاحب المخطوط والباي "محمَّد باي الكبير" من المشاركين في إحدى أهم المعارك التي استهدفت رد حملة (أوريلي) على مدينة الجزائر سنة (١٧٧٥م).

وقبل أن نتعرَّض للجزء المُحقَّق مِن المخطوط، والذي يتناول سير هذه الحملة وكيف واجهت الجزائر هذه الحملة وجب التَّكلم عن صاحب المخطوط وعصره وما ميَّز نسخ المخطوط التي بين أيدينا.

١. التعريف بصاحب المخطوط: صاحب المخطوط الذي بين أيدينا ما هو موجودٌ في نُسخ المخطوط هو [محمَّد بن محمَّد بن عبد الرحمان بن رُقيّة التّلمساني دارًا ومنشئًا] في هذا الجزء مِن التَّعريف تتَّفق النُّسخ الأربع التي بين أيدينا، وموضِع الخِلاف بين النُّسخ مرتبطٌ بكلام صاحب المخطوط عن أصله ففي النُّسخة(أ) كُتبت "الجزائري أصلاً"[٨] أمّا في النُّسخ (ب)[٩] و(ج)[١٠] و(ر)[١١] فكُتبت "الجديريُّ أصلاً"، وهي الأصحُّ حسب اعتقادنا إذ إنَّ صاحب المخطوط أراد أن يُظهر تجذُّره في مدينة تلمسان وتأصُّلَه فيها، وهذا عكس ما ذهب إليه المؤرخ الفرنسي برنيي (Bresnir) في ترجمته للواقعة التاسعة مِن الكتاب في المجلة الأفريقية[١٢] بحيث ترجم الجديري بـ(d'Agadir)، والصّحيح أنّ صاحب المخطوط قَصد بالجديري مدينة "أجادير" أو"أقادير" كما تكتبها بعض المصادر، وهي المدينة القديمة مِن تلمسان اذ كانت مدينة تلمسان في القديم عبارة عن مدينتين متجاورتين تُعرف القديمة باسم "أجادير" باسم "تافرازت"[١٣]، وليس مدينة أغادير المغربية، كما ذهب إلى ذلك (برنيي)[١٤]، وصحيح ترجمة الجديري إلى الفرنسية ما ترجمه (ألفونس روسو) سنة (١٨٤١م) بقوله: "el-Tschadiri-..."[١٥]، وذكر خير الدين الزّركلي في كتاب "الأعلام" تعريف جِدُّ موجز لصاحب المخطوط نقله عن "بروكلمان" جاء فيه: "..محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمان التّلمساني مؤرخ له

---

(٨) المخطوط (أ)، ص٤٧.

(٩) المخطوط (ب)، ص١٦.

(١٠) المخطوط (ج)، ص٢.

(١١) النسخة(ر)، ص١٩٨.

(12) BRESNIR.J:Récit indigène de l'expédition D'O'REILLY, REVUE AFRICAINE, ANNEE1864, N°8,

(١٣) ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : معجم البلدان.د-ط . بيروت. لبنان. دار صادر. ١٩٩٧ م. ج٢. ص٤٤.

(14) 14- - BRESNIR.J:Récit indigène de l'expédition D'O'REILLY, REVUE AFRICAINE, ANNEE1864, N°8, P345.

15- - Alphonse Rousseau: Chroniques de la régence d'Alger, Traduites d'un manuscrit arabe intitulé "EL-ZOHRAT-EL-NAYERAT", IMPRIMERIE DU GOVROMENT, ALGER ANNEE1841,P198.

الزّهرة النّيرة"(١٦)، كما حاول الأستاذ "ناصر الدّين سعيدوني" وضع ترجمة لصاحب المخطوط فلم تزد عن عشرة أسطرٍ وجاء فيها خطأ بتحريف "الجيلانيّ" إلى "الجيلاليّ"(١٧) -قد يكون مجرد خطأ مطبعي- فقال الأستاذ سعيدوني في ترجمته: "محمّد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقيّة التلمساني،أو محمّد بن محمّد بن عبد الرحمان بن محمّد لا يُعرف شيء عن حياته سوى أنّه عاش في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، وتوفي بعد سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م..."(١٨)

وفيما يخصُّ سنة وفاته، فقد اتّفق أغلب من ترجم لصاحب المخطوط أنّها كانت بعد (١٧٨٠م/١١٩٤هـ)؛ أي بعد الانتهاء من وضع مخطوط [الزّهرة النّائرة]، وغالب الظنّ أنّ سنة وفاة صاحب المخطوط محمّد بن محمّد بن عبد الرحمان التّلمساني كانت بعد ذلك بكثير، وبالتحديد تكون وفاته بعد سنة (١٢٢٢هـ /١٨٠٧م)، وهو تاريخ آخر الدايات الذين دونهم في قائمة وضعها في ذكر حكّام الجزائر أثبتها له بعض النّقلة مثل "الآغا بن عودة المزاري" في كتابه "طلوع سعد السعود"، وهذه القائمة موجودة أيضًا في ترجمة (ألفونس روسو) المخطوط إلى اللغة الفرنسية سنة (١٨٤١م) لكنها غير موجودة في النسخ المخطوطة التي بين أيدينا، لكن هذا لا يمنع وجدها فعلاً.

٢. عصر صاحب المخطوط: تميّز عصر صاحب المخطوط بالكثير مِن المتغيرات التي كان لها شأن كبير في موضوع المخطوط الذي بين أيدينا، ويتجلّى هذا الأمر في العديد مِن الجوانب لعلّ من بين أهمها الجانب السياسية، فقد عاصر صاحب مخطوط "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" ابن رقية التّلمساني عصر الدّايات كما يتّضح ذلك مِن خلال مخطوط "الزهرة النائرة"، وهذه المرحلة السّياسية مِن تاريخ الجزائر تمتدُّ على طول مدّة زمنية تتجاوز القرن والنّصف، وقد تميّز عهد الدّايات على عكس عهد الآغاوات -السابق له- بالاستقرار النّسبي في أعلى هرم السُّلطة، بخاصة في عهد "محمّد عثمان باشا" كما شهدت فترة حكم "محمّد عثمان باشا" حملتين بحريّتين على مدينة الجزائر، كانت أُولهما تحمل الراية الدنمركية وبقيادة كاس (Cass) سنة(١١٨٤هـ/١٧٧٠م) والثانية منهما هي الحملة التي قادها أوريلي على مدينة الجزائر سنة(١٧٧٥م/١١٨٩هـ) وهي المعنية بالتّحقيق مِن المخطوط الذي بين أيدينا.

أمّا عصر صاحب المخطوط مِن النّاحية الدّبلوماسية فقد ارتبطت الجزائر مع معظم الدّول الأوروبية بعلاقات السّلم؛ بما يكفل للدّول الأوروبية عدم وقوع سفنها تحت أسر رجال البحر مِن الأسطول الجزائري(١٩).

---

(١٦) خير الدين الزر كلي: الأعلام ، ط١٥ ، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢،ج٧،ص٦٩ ،

(١٧) ناصر الدين سعيدوني : من التراث التاريخي و الجغرافي للغرب الإسلامي،د-ط، بيروت ، لبنان، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩م، ج١، ص٤٢٥،

(١٨) نفسه:ج١، ص٤٢٥ ،

(١٩) جون – ب- وولف : الجزائر وأوروبا، ص ٤١٢،

حملة أوريلي على مدينة الجزائر سنة ١٧٧٥م

وعلى العموم فالوضع السياسي الذي كان سائدًا في الجزائر في عصر صاحب المخطوط شهد استقرار نسبيًا؛ ساعد على تهيئة الأرضية لظهور بوادر لحركية ثقافية واسعة في الجزائر كان مِن ثمارها المخطوط الذي بين أيدينا.

٢. وصف نسخ المخطوط: اعتمدنا في تحقيق النّص الذي بين أيدينا من مخطوط "الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" لمحمد بن رقية التلمساني على خمس نسخ: اثنتان منها كانت أساسية، والثلاثة الأخرى ثانوية عُدنا إليهما بالخصوص عند وجود أي خلافٍ بين النّسختين الأُولتين.

النسخة الأولى: وهي التي اعتمدناها كأصل أوّل لعملية التّحقيق، وهي موجودة حاليًا بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وتحمل رقم ٢٦٠٣، ولعلّها هي نفسها التي تحدّث عنها الأستاذ سليم بابا عمر[٢٠]، تقع هذه النُّسخة في كراسةٍ مِن أربعٍ وعشرينَ ورقةٍ، كلّ ورقة مقسّمة إلى صفحتين،أي ما مُجمله ثمانٍ وأربعينَ صفحةٍ من الحجم الصغير ويوجد ترقيمٌ بأعلى كلّ ورقة من جهة اليسار بخط الناسخ وبقلم أحمرٍ استعمل أيضًا في تدوين السنوات في متن المخطوط، يوجد بكلّ صفحةٍ مِن صفحات المخطوطَ سبعةَ عشر سطرًا، ما عدا الصّفحة الأولى التي بها اثنا عشر سطرًا، والصّفحة الثّانية بها ستةَ عشرَ سطرًا. مكتوبة بخط مغاربي صعب القراءة خُطَّ بمدادٍ أسودٍ، وقد رمزنا لهذه النّسخة مِن المخطوط بالحرف(أ) تميزا لها عن غيرها.

النسخة الثانية: وهي بدورها موجودة بالمكتبة الوطنية تحت رقم ١٦٢٦، وتقع بدورها في كراسةٍ مِن عشرةِ أوراقٍ مِن الحجم المتوسّط، كُتِب على ظهر الصّفحة الأولى باللُّغة الفرنسية ما معناه أنّ الكراسة تحتوي على ١٦ورقةٍ، وكُتب عليها أيضًا زمن نقلها وتاريخ الانتهاء مِن تدوين المخطوط وكُتب أنّ ذلك كان في يوم ١١جمادى الثانية سنة١١٩٤هـ.

ويُوجد بكلّ صفحة مِن صفحات المخطوط تسعةَ عشر سطرًا، وفي كلّ سطرٍ منها ما بين ١٨-٢٢ كلمة، أمّا في الصفحة الأولى فيُوجد ستةَ عشر سطرًا. كُتب نص هذا المخطوط بخط مغربيٍّ جميلٍ أقرب ما يكون إلى الخطّ الأندلسي، وهي التي اعتمدها (ألفونس روسو) في ترجمته للمخطوط، وهو الذي قام بتقدم هذه النسخة من المخطوط للمكتبة الوطنية الجزائرية إبّان الاحتلال الفرنسي كما ذُكِرَ ذلك في المجلة الأفريقية[٢١]. رمزنا لهذه النسخة من المخطوط بالحرف(ب).

وأمّا النّسخ الثلاث الباقية فمنها ترجمتان فرنسيتان، إحداهما ترجمة كاملة لنّص المخطوط والثّانية ترجمة لجزءٍ مِن المخطوط، وبالتّحديد ترجمة للواقعة التّاسعة مِن المخطوط، وهو الجزء المعني بالتّحقيق في هذه الدّراسة كما توجد نسخة أخرى نُشرت في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، وهذا تفصيل ومميّزات كلّ نُسخة مِن الثّلاث الباقين:

---

(٢٠) انظر مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآدب، العدد الثالث، يوليو،١٩٦٧، الجزائر، ص٢.

(21) BRESNIR.J:Récit indigène de l'expédition D'O'REILLY, Op.cit, p334.

النسخة الثالثة : هي النسخة التي نشرها ألفونس روسو(Alphonse Rousseau) سنة١٨٤١م في الجزائر، وقد قام بعنونة النص الذي ترجمه بحوليات إيالة الجزائر أو(chroniques de la Régence d'Alger)،، وقد تُرجم نصّ المخطوط في ١٩٩صفحة، متبوعة ب٢٠ صفحة على شكل مُلحقٍ، ولم يخلُ الكتاب مِن تهميشات المترجم وتعليقاته[22]، وقد رمزنا لهذه النُسخة من المخطوط بالرمز(ر) نسبة لمَن قام بترجمتها (روسو ألفونس).

النُسخة الرابعة: وهو نصُّ ترجمةٍ للواقعة التّاسعة أي حملة أوريلي (O'Reilly) على عهد "عثمان باشا" سنة (١١٨٩هـ/١٧٧٥م)، وقد نُشرت هذه الترجمة في المجلة الأفريقية سنة ١٨٦٤م تحت عنوان Récit indigène de l'expédition D'O'REILLY نشرها برنيي (BRESNIR)، وقد رمزنا لهذه النُسخة بالرمز(ن).

النُسخة الخامسة: وهي نسخة مِن المخطوط نُشرت في مجلة "تاريخ وحضارة المغرب" من طرف الأستاذ سليم بابا عمر، وذلك سنة (١٩٦٧م) إلاّ أنّ الأستاذ لم يهتم بالتّحقيق بقدر اهتمامه ببعث ونَشر هذا التراث فقط، وقد رمزنا لهذه النُسخة بالرمز(س) نسبة لاسم الأستاذ سليم بابا عمر.

وفيما يلي النّص المُحقّق مِن مخطوط "الزهرة النّائرة" وهذا الجزء كما مرَّ متعلقٌ بحملة (أوريلي) على مدينة الجزائر سنة (١٧٧٥م).

(22) Alphonse Rousseau : Op. Cit. P, P. 37, 38,41.

الملحق الأول: الورقة الأولى من المخطوط (أ)



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد وسلم

الملحق الثاني: الورقة الأخيرة من المخطوط (أ)



الملحق الثالث: الورقة الأولى من المخطوط (ب)



الملحق الرابع: الورقة الأخيرة من المخطوط (ب)



النّص المُحقّق من مخطوط

"الزّهرة النّائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" لمحمّد بن محمّد بن عبد الرّحمن الجيلانيّ بن رقيّة التّلمسانيّ الجديريّ

الواقعة التاسعة[23]

وفي سنة ١١٨٩ تسعةٍ وثمانينَ ومائةٍ وألف [١٧٧٥]، يوم الاثنين، الثامنُ والعشرون من ربيع الثّاني في إمارة "محمّد باشا المكروي[24]"، وعند الزّوال جاءت بلاندرة[25] متاع دينمرك(كذا) خُبرتُ بأنّها كانت دخلت مَرسى من مراسي إسبانيا، وبها كانت أكثر عمارة الإسبانيول، وجعلت سبب دخولي إليها لأخذ

---

(٢٣) تُعدُّ هذه الحملة من أشهر الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر؛ حيث حشد لها الملك الاسباني عمارة كبيرة قوامها ثلاثة وعشرون ألف رجل منهم: ألفَ فارسٍ وخمسمائةِ مركبٍ من ضمنها عشرين بارجة، ومثلها من المدمرات وثلاثمائة وأربع وأربعين باخرة شحن مزوّدة بمائة مدفع. للتفصيل أكثر انظر:

- أحمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب أشراف الجزائر. ص- ص ٤١- ٤٤.
- الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود. ج١. ص٢٥٨.
- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج٢.
- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا. ص
- صالح زهر الدين: موسوعة المعارك العربية من الفتح إلى غاية ١٩٦٨.ت مصطفى الطلاس ورياض تقي الدين.ط الأولى . بيروت. لبنان. دار الندوة الجديدة. ٢٠٠٠. ص- ص ٢٨١-٢٨٧.
- Devoulx A : Expédition d'O'Reilly d'après du document turc, in R-A (1858) volume N°03, PP 436-441.
- Bresnier L-J : Récrit indigène de l'Expédition d'O'Reilly, in R-A (1864) N°46, Année 8, PP 334-346.

(٢٤) هو محمد عثمان باشا تولى الحكم خلفا للداي بوصباع سنة (١١٧٩هـ/١٧٦٥م) اشتهر بعدله وانصافه والتزامه بالأحكام الشرعية وحبه للجهاد، وزهده في الدنيا. قام ببناء العديد من الأبراج في مدينة الجزائر لرصد تحركات النصارى. كان له السبق في صناعة التجور الذي استطاع بفضله رد جميع الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر في فترة حكمه. أوصى للحكم من بعده لحسن الخزناجي. توفي ليلة الثلاثاء العاشر من ذي القعدة سنة(١٢٠٥م) للتفصيل أكثر انظر:

- أحمد الشريف الزهار: المصدر نفسه. ص- ص ٢٦-٢٨.
- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام. ج٢. ص ٢٢٥.
- أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر(١٧٦٦/١٧٩١). ص. ص ١٠١. ١٠٢. ١١٩. ١٥٤.

(٢٥) يقصد سفن القصف المدفعي.

الماء وقلت لهم: "أنّي كنت بالجزائر، فجاء الخبر إلى الجزائر بأنّ عمارة الإسبانيول قادمةٌ إليها، فمن ساعتي أخرجوني من المرسى، ولم يتركوني إلى أن آخذ الماء، والرِّيحُ خلّفني إلى هذا المكان وأنا قاصدٌ إلى مرسيليا" فأرسلني كبيرهم إلى أن آخذ الماء، ولا نمكث أكثر من ستِّ ساعات[٢٦] تُربط سفينتُك ولا تُترك تمشي قبل أن تخرج عمارتنا؛ لأنّنا خارجون غدًا أو بعد غدٍ، و قصدنا إلى البربريا[٢٧]"، وسألوني عن أحوال الجزائر فأخبرتهم: " بأنّ أهل الجزائر منبهُّون(كذا) إلى استعدادهم، وحشدوا مائة ألف أو أكثر، وهم مُشْتَغِلُون بجمع العساكر وتحصين سواحلهم". فبذلك أمِنُوني وتركوني أن أخرج، والآن جئتكم؛ لأنّ أخبركم بأنّ العمارة موجودة مهيَّأةٌ للسَّفر، وهذا اليوم هو اليوم الخامس مِن وقت خروجي مِن المَرسى، وأنا أخبرتكم بما هو الواقع ولا بدَّ أن أسافر لآن؛ لأنّ سفائن الإسبنيول إذا وجدوني بهذا المحل[٢٨] أو بقربه لطلبوني؛ لأنّهم يُمْسُون هنا أو يُصْبِحُون.

وبعده "محمّد باشا" بعث إلى صالح باي[٢٩] صاحب ناحية الشَّرق؛ لأنّه كان نبَّهه أن لا يفارق ناحيةَ حمزة[٣٠]، بحيث يقدر أن يأتي إلى الجزائر في يومين أو ثلاثة؛ إذا أمرناه بالقدوم إلينا، وكذلك باي ناحية تطرة[٣١]، وكذلك بعث إلى خليفة ناحية الغرب [لأنّ الباي][٣٢] كان مشتغلاً بحفظ ناحية مُستغانم، وأيضًا كان معترضًا بجهة وهران؛ إذ شاع بأنّ اللعين أراد أن يبعث جماعة من عسكر وهران إلى الجزائر

---

(٢٦) لعل من الأجدر القول "ولا تمكث أكثر من ست ساعات والا تربط سفينتك ولا تترك تمشي".

(٢٧) يقصد بها في العهد العثماني الجزائر عامة وبالخصوص السواحل الشرقية منها أو ما يعرف بالقبائل.

(٢٨) أي المقام.

(٢٩) ولد في مدينة أزمير التركية سنة١٧٢٩ م. عاش سنواته الأولى في مدينته ثم انتقل منها إلى مدينة الجزائر بسبب قيامه عن طريق الخطأ بقتل أحد أقاربه. إلتحق في الجزائر بالجيش الإنكشاري فأرسل في إحدى المرات إلى قسنطينة فبرزت شخصيته الحربية وشجاعته القتالية في حملة الباي زرق عيونه على تونس. تزوج بابنة أحمد القلي باي قسنطينة. فقربه إليه وعينه قائدا في منطقة الأوراس سنة ١٧٦٢ ثم استدعاه أحمد القلي ليعين في منصب خليفة الداي. وبعد وفاة أحمد القلي عين صالح باي مكانه سنة ١٧٧١ استمر في شغل منصبه لمدة ٢٢ سنة اشتهر فيها بسيرة حسنة وسياسة مستحسنة. كما يرجع إليه الفضل في تشييد العديد من المنجزات كمدرسة الكتاني وقنطرة قسنطينة وغيرها من الحمامات والبنايات. اغتيل على يد بوحنك سنة(١٢٠٧/١٧٩٢). انظر:

- محمد بن صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة واستلائهم على أوطانهم. ص- ص ٧٥- ٨٥.

- أحمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب أشراف الجزائر. ص- ص ٨٦-٨٨.

- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية في العهد العثماني. ص- ص

- Cher Bonneau M-A: Constantine et ses antiquités trait de nouvelles annales des voyages, Février 1857, Imprime porthumot, Paris, P39.
- Dournon A : kitâb tarika qosântina, par EL hadj Ahmad El mobârke,in R-A, Volume 57, 1913, P296-301.

(٣٠) هي مدينة البويرة حاليا.

(٣١) في (س) طتيرة والصحيح التيطري.

(٣٢) سقطت من(أ) و(ب) وأوردها في(س).

في البر، وربّما يتمكّن مِن ناحية تلمسان أو ناحية معسكر أو مستغانم[٣٣]، ولم يكن الباي هنالك فلأجل ذلك لم يأت الباي بنفسه، بل أقام خليفته مقامه؛ لأنّ الخليفة كان ذا شجاعةٍ، عارفًا بمكائد الحرب، ومقتحمًا لأهواله، شديدُ البأس له جرأةٌ على الإقدام على العدوّ، يقدم بنفسه، يفعل به في يومه ما لم يفعله به أمسه، صابرًا للمقادر لكونه رجلٌ شاطرٌ كما قال الشاعر:

كمي حرب يرى للعضب منه برق   ونشره وظننت بالشفع منها خلق

عداه لا تتقي وطيسه ينفق   تاج السّلاطين ضرغم[٣٤] الميادين

نقاد المساكين قهار الشَياطين   سطا لى كل قوم في ميادينه

وفاق كل عنود في مكائده   وساس كل جموح من فراسته

في المهد قد كان ينبى بمآثره   أخو جبين بتاج النصر مقرون

والرّعيّةُ كلُّها تحبُّه، فأجابوا هؤلاء الأمراء الثّلاثة بالقدوم إلى الجزائر، مع وصول السيّد "محمّد باشا". ففي اليوم الأوّل من جمادى الأولى[٣٥]، وهو اليوم الأوّل من الشُّهورِ الرُّومية يَنيه [٠١/ أوت١٧٧٥م] أتى صاحب النّاظور مِن بوزريعةَ، وقال أنّ البحر كلّه كاد أن يتغطّى بقلاع السّفائن، بحيث لم تُرَ بتلك النّاحية إلاّ القلاع.

فمن ساعته أمر "محمّد باشا" بإخراج مائةِ خباءٍ مِن الجزائر، في كلّ خباءٍ ثلاثون نفرًا مِن العسكر، وأمّرَ على الأربعين منها السيّد "حسن خزناجي" ونصَبَ تلك الأخبية بين عين الرّبَاط[٣٦] ووادي الخنيس[٣٧]، وأمّر على الأربعين الأُخرى علي آغا متاع أولاد العرب، فنصّب تلك الأخبية بوادي الخنيس، وبإخراج عشرين خباءٍ إلى ناحية "باب الوادي" وأمّر عليها السيّد "مصطفى خوجة" خوجة الخيل، ولقلّة الرّيح لم تظهر سفائن الملاعين يوم الخميس.

فعند الصُّبح، يوم الجمعة وهو اليوم الثّامن من جمادى الثانية بدأ ظهور سفائنهم مِن الصّومعات متاع الجزائر، ومع موافقة الرّيح لهم بزيادة إلى وقت خروج النّاس من صلاة الجمعة رست مقدماتهم بالحرّاش، وفي أثناء ذلك بدأ "الباي صالح" ينصب أخبية محلّته تجاههم وراء الحرّاش؛ لأنّه كان جمعٌ من فرسان العرب و أجوادهم(كذا) ينيف على عشرين ألفًا ، ومرت سفائن الملاعين بقرب أبراج

(٢٢) من أكبر مدن الناحية الغربية اختطها يوسف بن تاشفين . عرفت المدينة أوج ازدهارها في عهد بني زيان.

– أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر، ص ٢٨٦.

(٢٤) في(س) ضيغم.

(٢٥) على خلاف بين المصادر. فهناك من يرى أن هذه الحملة كانت في اليوم الأول من جمادى الأولى كما يرى صاحب المخطوط. وبين من يرى أن الحملة كانت في التاسع من جمادى الثانية.

(٢٦) قال الزهار: هو موضع معد لنزول الأمحال والفيالق العسكرية، يبعد عن مقر الحكم بنحو مِن نصف ساعة. وعند توفيق المدني عين الرّباط ساحة المناورات أو كما عرفت في أيام الإحتلال "الشان دي مانوفر" وهي حاليا في حدود ساحة الشهداء.

(٢٧) على قول (بربنبي) هي مدينة (الرويسو) و لكن الصحيح أنها مدينة (الحميز) حاليا.

الجزائر، بحيث لو رموا إلى الجزائر لكانت الكور تصل إلى الأبراج، وحين لم يرم الملاعين لم يرم أهلُ الجزائر أيضًا بمدافع الأبراج كلّها، وكذلك المهاريز متاع البومبة كانت مهيّأة كلّها والمدافيون (كذا) كانوا حاضرين، فحين لم يصدر الرّمي من الملاعين ولم يؤمر بالرّمي لم يبدأ هو كذلك.

ثمّ في اليوم الثالث من جمادى الأولى، وهو يوم السّبت وقت الضحى جاء الخبرُ مِن بوزريعة أيضًا أنّهم رَأَوْا جفنًا أكثر من الطّائفة[38] الأولى، وبِقُرْبِ الزّوال ظهروا من الجزائر أيضًا ، ومن كثرتهم لا يمكن إحصائهم، وذلك أنّ وجه البحر كلّه صار أبيضًا من قِلاَعِ الجفن و رَسَوْا اتِجاه الجفن الأوّل، ففي اليوم الرّابع من جمادى الأولى بدأوا (كذا) بالفلايك[39] يَسْرَحون في البحر يمرُّ بعضُهم إلى بعضٍ، ولم ينقطع المرور إلى أن أظلم اللّيل، وواحد البركنتي[40] صار يمشي قرب البرّ من جهة عين الرّباط، يقيس عمقَ البحر فرَمَوْا من رأس تافورة مِدْفعين بالكورة، فلم تصل الكورة إليه، ثمّ في يوم الاثنين والثُلاثاء والأربعاء وهو اليوم الخامس والسادس والسابع من جمادى الأولى بقيت على هذا المنوال، لم يظهر من اللّعين[41] جدال لكن حركته حركة الخروج إلى البرّ؛ لأنّ الذين كانوا يقْدُمون إلينا من جهة العرّاش يقولون" إنّ الكافرَ في غاية القرب إلينا؛ لأنّنا نسمعُ دقديقه كأنّه في وسطنا "ومُكْثُهُ كان خير إلينا؛ لأنّ قبائل العرب كانوا يَقْدُمُونَ من كلّ ناحيةٍ إلينا.

ويوم الخميس ثامن جمادى الأولى قبل الغروب بساعتين قرُبَ اللّعين سفينةً من السُفائن الكبار بالمخاطف بالطوبخانة[42] التي بالخنيس، وباشر يرمي فيه بالمدافع إلى أن أظلم الليل، قيل إنّ عدّة المدافع التي رَمَى بها خَمْسَةَ عَشَرَ مائةِ مدفعٍ؛ لأنّ مدفع اللّعين كان يرمي في غاية السُرعة، حتّى كان يرمي ستّةَ مدافع بفتيلةٍ واحدةٍ، ومِن الطوبخانة كان المجاهدون يقابلوه برمي المدافع، ولكن لم يكن في جهة السّفينة إلاّ سبعةُ مدافع، وتارةً مِن عندنا كانوا يُطلقون مِدْفَعَيْنِ أو ثلاثةٍ بفتيلةٍ واحدةٍ، فعند ذلك يفرح المسلمون ويدعون للمِدْفَعِيِّينَ الذين هنالك بالسِتْرِ والنّصر والقوّة فلله الحمد سبحانه لم تصل الطوبخانة إلاّ كورة واحدة من ذلك العدد، هدّمت حيط الطوبخانة شيئًا قليلاً ، فمن ساعته بعث "علي آغا" البنّائين مع كلّ ما يحتاجون إليه مِن المرسى في البحر؛ لأنّه كان أسهل، وإلى نصف النّهار من الغد أصلحوا ذلك المحلَ المهدومَ، ومن طوبخانتنا رَمَوْا في تلك اللّيلة قدر خمسمائةِ مدفعٍ ولا

---

(٣٨) سقطت من (أ) ووردت في (ب) و (س).

(٣٩) مشتقة من الفلك أي السفن. تطلق على المراكب الصغيرة خفيفة الحركة ذات الشراع أو المجداف. لتزال هذه اللفظة مستعملة في اللهجة المحلية المغاربية بكثرة. كثر استعمالها في اللغة الإسبانية وعرفت عندهم بـFaluca .

(٤٠) في الغالب هو نوع من السفن انظر الملاحق .

(٤١) حضر لهذه الحملة وجمع قواتها الملك الإسباني شارل الثالث. أما قائد الحملة والذي يقصده صاحب المخطوط بالكلام فهو أوريلي (O'Reilly).

(٤٢) في (أ) الطواغنة ، والطوب خانة لفظة مركبة من جزأين. أولهما تركي وهو (طوب) وهو اسم جامع أطلق على الأسلحة النارية وما شابهها. والجزء الثاني (خانة) وهي فارسية تعني المنزل أو الدار الكبيرة. استعملت الكلمة مركبة في العهد العثماني للدلالة على دور صناعة القذائف. انظر

مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية. ص ٢١٠

مات من طوبخانتنا أحدٌ مع أن مدفعًا واحدًا انشق طولاً ولكن لم يتفرقع، فلذلك لم يُضَرَّ به أحدٌ، من الواقفين خارج الطوبخانة استشهد رجلان رحمة الله عليهما، وجعل المدفعيون والعسكر الذين هنالك وراء الحائط(كذا) الطّوبخانة مِن جهة العدوّ مِتْرَاسًا جيّدًا من الشّطبة[٤٢] والتّراب حيث غاب الحائطُ كلُّه في التُّراب جزاهم الله خيرًا.

وبقرب المغرب جاءت سفينةٌ أخرى بالمخاطف اتِّجاه الطوبخانة التي من جهة عين الرّباط حذاء محلّة السيّد "حسن الخزناجي" فحين قَرِبت السُّفينة إلى البرّ بدأت بالرّمي إلى تلك الطوبخانة، وعند هذه الطوبخانة يوجد مدفعان مِن ثمانية عَشَرَ رِطْلاً رمى بهما "أحمد خوجة" باش دفتر[٤٤] سبعَ أو ثمانيَ مرّاتٍ تحت بروة السُّفينةِ، فعند ذلك دهش اللّعين وصار يرمي من جانب البحر أيضًا بالكورة في الهواء، فعلمنا أنّ السُّفينة سقطت، من ساعتها جاءت غليوطةٌ وجرّتها، فعند مشي الملاعين وجدنا المخاطف [في هذا المحل مع شيء قليل من الكومنة مقطوعة][٤٥] بالكورة، فعلمنا أنّ رمي اللّعين مِن الجانبين كان لطَلَبِ المَدَدِ، وفي اليوم التّاسع من جمادى الأولى وهو يوم الجمعة لم يقع جدالاً أصلاً.

وفي اليوم العاشر مِن جمادى الأولى وهو يوم السبت بقدر ساعة ونصف قبل الشروق[٤٦] دخلوا بالصلان[٤٧] والبركنتية[٤٨] إلى البرّ، وكذلك أربعٌ أو خمسٌ سفائنَ كبار مِن التي تسمّى بلغتهم اللّينية[٤٩]، وبدأ يرمي الدوبلة[٥٠] إلى كلِّ جانبٍ منها بحيث لا يقدر أحدٌ أن يقرُّب مِن جهة البحر، فعند ذلك قرب الصالار (كذا) إلى المحل الذي عينه للخروج إليه؛ إذ لو لم يكن الصال لم يتمكّن اللّعين من إخراج المدافع و الأثقال إلى البرّ، وخرج بالمدافع بلا تعبٍ إلى البرّ بمنزلة الأرض[٥١]،، وذلك المحل ما يقابل قبور الشُّهداء إلى جهة الحراش، فبعد إخراج الصال ربطوه إلى البرّ بحيث أنّه جزءٌ من البرّ بدأ خروجُ العسكر، فبمجرد خروجهم بدأت طائفةٌ منهم بصنع المتارس[٥٢] وتسويةِ المحلّ، وأسرع اللّعين بإخراج العسكر والقوّة بأسرعِ ما يكونُ، وكان وجه البحر كلّه أسودٌ من فلائكهم وصنادلهم، بحيث يمكن

---

(٤٢) هو السعف الأخضر الرطب من جريد النخل.

- ابن منظور الإفريقي: لسان العرب. مادة (ش ط ب).

(٤٤) béch defter هو أحد الكتاب اللذان يكتبان للداي. وهو كاتم السر لدى الداي أيضا. انظر:

- محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. ص ١٩٠.

(٤٥) سقطت هذه العبارة من (آ) ووردت في (ب) و(س).

(٤٦) في (ب) و(س) الشروع.

(٤٧) بياض في (ب). والصحيح هو الصلاق وهو صنف من العسكر تتصل مهمتهم.

(٤٨) في (ب) و(س) البراتكية. وهو نوع من السفن.

(49) Vaisseaux .

(٥٠) عبارة عن كوره صغيرة من الحديد غلظها مثل بيض الدجاجة تستخدم كذخيرة للمدافع

(٥١) في (س) "بل أخرج المدافع بغير إيصال إلى البر بمنزلة المحال".

(٥٢) في (ب) الترس.

للرجل[أن][53] يتمشّى على الصّنادل إلى سفائنهم، لكان يقدر على ذلك من غير أن يمس رجله الماء، ودام اللّعين على إخراج العسكرِ وكلّ ما يحتاج إليه في البرّ، فحين رأى اللّعين أن لم يكن أحدٌ حذائهم، شرع قائدهم مع ثمانية آلافٍ في الصّعود إلى جهة الجنانين[54] لأن يَدْخُل بعسكره إلى الجنانين ويترّس هنالك، والحال أنّه لم يوجد هنالك من العسكر إلاّ شرذمةٌ قليلةٌ، وكانت تلك الشرذمة تُتَرّسُ وراء زرب الجنّة التي بُنيت متّصلة بالطوبخانة التي عند قبور الشّهداء، وكانت ترمي إلى الملاعين من وراء الزّرب ولكن لقلتها لم يحسبها اللّعين و أراد أن يهجُمَ عليها، وحين قربوا إلى الضرب[55](كذا) جاءت رصاصةٌ من عند عساكِرنا و أصابت فخذَ قائدهم، فحين رأى الملاعين الدم يَسِيلُ على فخذِ قائدهم قالوا: " يا سيدنا انجرحت(كذا) فلو رجعت بنفسك إلى مترسنا لأن تصلح جراحتك". فأجاب اللّعين بأنّ: "هذه الجراحة ليست بشيء يمنعنا وعلى رسلكم".فحين جاوزوا زرب الجنّة فمع دخولهم جاءت رصاصةٌ أخرى على ثديه اليسرى فعند ذلك قال اللّعين: " أَدْرِكُوني بِفرسٍ لأركبَه". فركّبُوه ووجّهُوه إلى مترسهم ومن مترسهم إلى السّفينة فمع وصولِهِ أليها أُزْهِقَتْ رُوحُه، فعند ذلك دخل الرُّعب في قلوبهم.

وأمّا جماعة اللّعين التي كانت معه دخل البعضُ إلى الجنّة، فمع دخولهم قُتل البعضُ منهم، ورَأَوْا وراء المترس من العدوة من ناحية الحراش عسكرًا كثيرًا فزاد رعبُهم، فعند ذلك جاءت الجمال التي ساقها صالح باي من جهة الحرّاش، فدهِشُوا ورجعوا القهقرى، فوصول الجمال كان هو سبب انهزامهم، ولم يكن مع "الباي صالح" إلاّ شيءٌ قليلٌ من الفرسان، فعند ذلك هجم العسكر القليل الذي وراء زرب الجنّة وراء الملاعين، ورَدُّوا الملاعين حتّى أوصلوهم إلى مترسهم، والبعض منهم استشهد والبعض جُرِحَ، فلأجل ذلك لم يقدِروا على قلع اللّعين من مترسه[56]، وعلمنا وصول هذا النزر القليل مِن المجروحين، وجدنا رجلاً قتيلاً بقرب مترس اللّعين مستورًا بالرّمل بعد عشرين يومًا اسمه الحاجّ "صالح" لم يتغير منه شيء ولكثرة دوبلة الملاعين لم يقدروا على اتباعهم إلاّ أقلّ القليل، وصار المحلُ الذي بيننا وبين اللّعين كأنّه مجزرةٌ، ولا تُعرفُ جثّة المسلم إلاّ لكونه برأسه وجثّة الكافر إلاّ لكونها مقطوعة الرأس[57]، ولم يدخل أحدٌ إلى داخل مترس الملاعين إلاّ فرسان من فرسان الشرق، وكلٌ واحدٍ منهما قتل اثنينِ أو ثلاثةً من الملاعين في دخل مترسهم. أحدهما مات في الطريق والآخر خرج حيًّا من المعركة ثمّ مات بعده لكثرة جراحته.

ورأينا مكتوبًا في كتبهم اعتذارًا منهم كيف تُقاتلون أُناسًا في هذه الشّجاعة، كالأسد، ثمّ استقرّ اللّعين في مترسه، ولم يستطع أحدٌ أن يصل إلى مترسهم لكثرة الدوبلة، فحين رأى عساكرُنا هذه الحالة صاروا يَرْمُون بالرّصاص من جهة الأرض الذي وراء قبور الشهداء إلى المغرب، ولم يكن لهم أحدٌ من الأمراء يدبّرُ لهم الأمر بأن ياتوا بالمدافع أو يوتي بالمهارز متاع البومبة، فعند ذلك أحكم اللّعين مترسه

---

(٥٢) إضافة منا.

(٥٤) مفردها جنينة في العرف المحلي ويقصد بها الحديقة.

(٥٥) يقصد به المكان أو الموضع.

(٥٦) في (ب) "فالاجل لم يقدروا على قلع اللعين من مترسه".

(٥٧) سيأتي تفصيل ذلك.

وصار بحيث أنّه [لا يقدر أن يخرج](٥٨)، ورأينا مكتوبًا في كتابتهم أنّهم عند الزّوال سَلِمُوا من رصاص المسلمين وكان طول المترس ألفَ خُطْوَة، وبُعْدُه من الشطّ ثلاثين خطوةً، لكن من طوبخانة الخنيس كان المدفعي(٥٩) الذي فيه يرمي بالكورة إلى الحائط من الجانب الذي تجاه المترس متاع اللّعين، فثقبنا الحائط وعُدْنا نرمي من تلك الثقبة إلى المترس اللّعين، فكان في كلّ رميةٍ يقتل من الملاعين عدد كثير حتّى أُخْبِرنا منهم أنّهم في الرّمية الأولى قَتِلَ منهم ستةٌ وثلاثينَ نفسًا، وذلك أنّ المدفع المذكور كان مُحاذيًا لطول مترسهم، وفي كلّ مرَّةٍ(٦٠) كان هذا المدفع يقتل منهم عددًا كثيرًا، فتحيَّل اللّعين للخلاص من كورة المِدْفعِ المذكُورِ، فلم يمكن لهم؛ لأنّ المدفع في غايةٍ من العلوّ [والمتراس في زيادة من السّفل](٦١) من المدفع متاع الخنيس، والكفّار الملاعين رَمَوْا في هذه الشِّدّةِ إلى أن أظلم(٦٢) اللّيل، وكانت لهم مُضَايَقَةٌ كبيرةٌ، [ولو لم يكن لهم مضايقةٌ ما عدا حبسهم](٦٣) في حرّ الشّمس ونار البرد وحرّ الرّمل(٦٤) والتّضييق عليهم مع أن كورتنا تعمل فيهم جرحًا وقتلاً، وفلائكهم وصنادلهم كانت لا تكفي لرفع المجاريح إلى سفونهم(كذا) حتى سمِعْنا من بعض النّصارى- الذين كانوا معهم في البرّ ثم أُسِرُوا بأيدينا- أنّ الصندل مملوءًا بالمجاريح كان يقدم إلى سفينةٍ من سفائنهم ليُفَرّغ المجاريح(كذا) فيها فيقول أهلُ السّفينة: " بَعّدُونا؛ لأنّ سفينتنا مملوءةٌ بالمجاريح امشوا إلى سفينةٍ(٦٥)أخرى"، وإذا مشوا إلى سفينة أخرى قال أهلها كذلك والحمد لله على ذلك وهذا كلّه من فضل ربّنا.

وأنا العبد الحقير رأيت مكتوب جاء من قرطاجنة(٦٦)-بعد وصول الملاعين إلى بلادهم- أنّ الملاعين أَخرجُوا إلى أسبيطال(٦٧) قرطاجنة ألفين وثلاثمائة من المجاريح(كذا) المرضى، فضاق عليهم الاسبيطال، فوضعُوهم في كنائسهم، والحال أنّ أقلّ من نصف العمارة مشى إلى قرطاجنة، وأمّا الأكثر فمشى إلى بلنسية(٦٨)، وما بلغ لنا علم كم أَوْصَلُوا من المجاريح(كذا) والمرضى إلى بلنسية، لكن باعتبار الغُرابين اللذيْنِ وأوصلوهم إلى بلنسية من المجاريح هم أكثر.

---

(٥٨) بياض في (ب) و(س).

(٥٩) في (أ) المدفعين.

(٦٠) في (ب) و(س) في كل رمية.

(٦١) سقطت هذه العبارة من(أ).

(٦٢) في (ب) إنظلام الليل.

(٦٢) سقطت من (أ) ووردت في (ب) و(س).

(٦٤) في (ب) حرّ الشمس وحرّ نار البارود على الرُّمل أُفدتهم.

(٦٥) سقطت من(أ) ووردت في (ب) و(س).

(٦٦) قرطاجنة أو قرطخانة هي مدينة الساحل المتوسطي بناها حيدر بعل القرطاجي سنة٢٢١ق.م. ظلت عاصمة لإسبانيا البونيقية حتى الغزو الروماني. اشتهرت بدور صناعتها البحرية ومن ثم كانت قاعدة للأسطول البحري الإسباني.

(٦٧) تعريب للكلمة الفرنسية(Hôpital) والتي تعني مستشفى.

(٦٨) في (ب) و(س) الاقنتة.

والملاعين يقولون أنَّ رصاصكم مسمومٌ[؛ لأنَّ المجاريح](٦٩) كلّهم ماتوا حتى المائة لم يبرأ واحد الحمد لله ثمّ الحمد لله.

وفي اللّيل فرَّ اللّعين وترك سَبْعَةَ عَشَرَ مِدْفَعًا من النُّحاس والأثقال كلّها لم يُرْفع من السِّلاح ولو مكحلة واحدة، وقد كان اللّعين حفر بِئْرًا في وسط مترسه وكان فيه ماءٌ غزيرٌ باردٌ، فانكبَّ النّصارى على الشُّرب منه طمعًا في برودة مائه فكلُّ من شَرِبَ منه مات بالاستسقاء، ولم يبرأ منه ولو واحد.

وكان عدد مجاريحهم أكثرَ من ثلاثةِ آلافٍ، وموتاهم حين رجوعهم تزيدُ على ثمانيةِ آلافٍ اللّهم زد في خذلانهم(٧٠)، وكان عددُ موتنا لا يَبلغُ ثلاثمائةٍ ممّن استشهدَ في المعركة، وممّن مات من المجروحين، والحال أنَّ مَا رمى الملاعين من الرّصاص والكورِ والدوبلةِ لا يعلم عددَهُ إلاَّ الله تعالى؛ إذ في مقابلِ كلّ رميةٍ منّا يُرمى من عندهم مائةُ رميةٍ، ولو قلنا مائتا رميةٍ أو ثلاثمائةٍ فليس بكذبٍ، وذلك بعيدٌ عن العقل إلاّ لمن شاهد الواقعةَ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى لطف بعباده المومنين.

ثُمَّ بعد مدّةٍ شَهِدْنَا في غزاتهم(٧١) أنَّ عددَ ما ضاع منهم من المقتولين في المعركة ومن مات من المرضى والمجروحين أربعةَ عَشَرَ ألفًا. الحمد لله ثمّ الحمد لله، وكان فيهم اثنا عشر من المهندسين فماتوا في المعركة، ومن الحكّام مات مائتان وخمسونَ على ما بلغنا، ومات كاهية الجنرال، ولم يُمْسك أحدٌ منهم حيًّا ؛ لأنَّ أميرنا المجاهد "محمّد باشا" وعد لمن يأتي بالرّأس أن يُعْطِيَهُ عشرةَ دنانيرَ، وإن جاء بالرُّومي حيًّا فإنّه يَضْرِبُ عُنُقَ الرُّومي ولا يعطي للذي جاء به شيئًا فلأجل ذلك لم يشتغل أحدٌ بإمساك الرُّومي حيًّا ، وكان في هذا التنبيه حكمةٌ؛ لأنَّ بسببه وقع غيظٌ كبيرٌ واندعروا به كثيرًا، واللّعين راي(٧٢) إسبانيا بعث إلى بوباسهم(٧٣) الذي كان بالجزائر؛ إذا وجدَ أحدًا من عساكره مأسورًا أن يَفْدِيَهُ ولو كان بوزنه ذهبًا ، ففتّشوا فلم يجدوا أحدًا منهم، فقال(٧٤): " كيف هذه القضية وقعت هكذا، والحال أنَّ المسلمين كثيرو الرَّغبة في المال؟" فأجاب البُوباس اللّعين بأنَّ سلطانهم قال لهم:" هذا الرُّومي جاء إلى بلادنا لأن يأخُذَها ويستأصِلنا منها فلا يُنْذَعَرُ بالأسْرِ، بل لا ينفع في اندعاره إلاَّ القتلُ؛ لأنّه نهاية ما يندعر به البشر" لأجل ذلك أمر عسكره أن يأتوا برأس الرُّومي، ووعد لمن يأتي برأسه عشرة دنانير، ولمن أتى بالرُّومي حيًا أن لا يعاقبه ولا يُجَازِيَهُ.

---

(٦٩) سقطت من(أ) ووردت في (ب).

(٧٠) سقطت من(ب) ووردت في(أ).

(٧١) أي كُتُبِهم ونصوصهم.

(٧٢) كلمة معربة من أصلها الفرنسي(roi)والتي يقصد بها الملك أو السلطان.

(٧٣) يقال في الشرع النصراني (البابا) ويقصد به القيّم الأكبر في الكنيسة الكاثوليكية. و البابوية من وظائف الشرف والولاية عند النصارى باعتبار البابا يمثل المسيح عليه السلام في الأرض. انظر:

- مصطفى بن عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية. ص ٦١.

(٧٤)- أي ملك إسبانيا.

حملة أوريلي على مدينة الجزائر سنة ١٧٧٥م

وأمّا رؤوسهم المقطوعة التي أُوتي بها إلى الأمير فأربعمائةٍ وأربعةٍ، ويُحتملُ أن تزيد الرُّؤوس خمسينَ أو ستينَ على ذلك العدد؛ لأنَّ القبائل حملوا البعضَ منهم إلى بلادهم، [ليرهم إلى أهلها، كيف هو رأس الرُّومي][75] ولله الحمد على هذه النُّصرة.

ومن أمرائنا "مصطفى خوجة الخيل"، وقف في ميدان القتال مع فرسانه، وأحسن إلى العسكر المنسوب إليه بالعطاء والإحسان، وكذلك خليفة الغرب، السيِّد "محمّد بن عثمان"[76]، وقف في ميدان القتال، ووقف الرِّجال، وظهرت منهم علامةُ الأبطال، وبذل المالَ قبل السُّؤال، وشاع صيته بإجراء (كذا) شجاعته في ذلك اليوم، وكذلك الباي صالح بذل جُهْدَه وطاقته في الذَّبِ عن المسلمين ببدنه وماله سَوْق الجمال كان سببًا لانهزام اللَّعين في ذلك اليوم، هكذا رأينا مكتوبًا في غزواتهم، جزاهم الله أحسن الجزاء وكلَّ من وقف في مقاتلةِ العدوِّ في ذلك اليوم، وثبَّتَ أجورَهم، خصوصًا يوم اللقاء.

ثمّ بدأ اللعين في ترقيع[77] السُّفائن التي سقطت من الحرب، وامتدت تلك التراقيع[78] إلى اليوم الثالث عشر من جمادى الأولى، وكان يوم الأربعاء فبدؤا بالفرار وامتدَّ فِرَارُهم إلى يوم السبت وهو السَّابعُ عشر من جمادى الأولى ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[79].

وامتدَّ انتقالهم؛ لأنّهم كانوا متداخلين بعضهم في بعض كالشَّبكةِ، ولو أطلقنا عليهم سفينة النَّار كما قال بعضُ العقلاء لم ينج منهم إلاَّ قليلٌ، وآخر الأمر صنعنا سفينة النَّار، ولكن لما اشتغلنا بسبب

---

(٧٥) في (ب) لأن بوري أهل بلادهم رأس الكافر.

(٧٦) هو محمد بن عثمان الكردي كني بأبي عثمان وأبي علي وأبي الفتوحات ولقب بالكبير والأكحل وأمه جارية أهدها السلطان المغربي مولاي اسماعيل لأبيه. وأبوه هم عثمان بن ابراهيم الكردي . كان خليفة على مليانة ثم ارتقى ليصبح خليفة على التيطري ومابليها. عين محمد باي الكبير قائدا على قلبئة بالغرب الجزائري سنة1178.ثم عينه ابراهيم المليانى خليفة له لما توسم فيه من خير وحب للجهاد. طالب الرعية بعد وفاة ابراهيم الملياني تعين محمد باي الكبير بايا على الايالة الغربية و اقتنع محمد بن عثمان باشا داي الجزائر بذلك لولا قيام الحاج خليل بابتياع المنصب. وبعد وفاته الأخير عند خروجه لمواجهة الثورة الدرقاوية عين مباشرة محمد باي الكبير في المنصب باي الإيالة الغربية سنة ١١٩٢. اشتهر محمد باي الكبير باهتمامه بشؤون الرعية وحبه للعلماء كما خلد فتحه لمدينة وهران ذكراه فتنافس العلماء والشعراء في مدحه والثناء عليه بما هو أهله توفي سنة ١٢١٢/١٧٩٩ وخلفه ابنه عثمان.
عن محمد باي الكبير انظر:

- أحمد بن هطال: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، ص- ص ١٦-٢٠.
- أبو راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج٢، ص- ص ٥٢- ٦٦.
- أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص- ص ١٤٧-١٦٦.
- الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، ج١، ص- ص ٢٩٠-٢٩٨.
- محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران، ص١٨٨.

(٧٧) في (ب) ترقية.

(٧٨) في(ب) ترقية.

(٧٩) الآية ٤٤ سورة الأنعام.

الوصول إليهم والملاعين حين رأوها كانوا في شديد الألم والخوف منها. الحمد لله مانالوا منّا ولو حجرًا ونلنا منهم عدّةً كثيرةً، وكثيرًا من رجالهم المُعتبرين، وهم مَشَوْا إلى بلادهم خائبين خاسرين.

وأنا العبد الحقير أقول بمقتضى عقلي: "لو وُجِدَ في مائةِ ألفٍ، نصرانيٌّ واحدٌ من الذين نزلوا في البرّ وشاهدوا تلك الواقعة وما حلَّ بهم من الشدّة والمضايقة لكفى في ترهيبِ هؤلاءِ المائةِ ألفٍ وتخويفهم."

يقول العبد الحقير الفقير الجامع إنّما حرّرْتُ هذه الأوراق وجمعت هذه الأحرف لتكون تذكيرًا لي، ولمن حضر هذه الوقائع، خصوصًا لمن استشهد فيها بالرّحمة والمغفرة، وإعلامًا لآخر القاطنين والمرابطين بها، وليعرفوا قدر الجزائر إذ تراب نوحيها معجونٌ بدماء العباد، اللّهم أدمها دار جهادٍ ومحلَّ عزمٍ واجتهادٍ، إلى يوم التنادِ، بحرمة أشرف العبادِ، وأكرم الأكرمينَ، يوم الميعادِ.

ووقع الفراغ منه في العُشْرِ الرّابع، من الثُلث الثاني، من السُّدس السّادس، من النّصف الثاني، من العُشْرِ الثالث، من العُشْرِ العاشر، من القرن الثاني عشر من هجرة سيّد البشر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

انتهى السِّفر المبارك بحمد الله تعالى، وحسنِ عونه، وتوفيقه الجميل، على يدِ كاتبه عُبَيْدُ ربّه سبحانه، وأسير ذَنْبِهِ محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الجيلاني بن رقيّة التلمساني دارًا ومنشئًا الجديريُّ[٨٠] أصلاً، غفر الله له، ولوالديه، ولأشياخه، ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات بفضله وكرمه، والحمد لله ربِّ العالمين.

وذلك عن إذن الأمير بأمر الله، القائم بحقّ الله، المُتَوَكّلُ على الله، المُجَاهِدُ في سبيل الله، الفاضل الأكمل الزّكيُّ الأعدل، سيّدي محمد باي أيّدَهُ الله بِمَنّه، وجعله رحمةً لجميعِ خَلْقِهِ، نجل المرحوم بكرم الله، السيّد عثمان تغمده الله برحمته.

وكان الفراغ منه ضحوة يوم الخميس في شهر الله المعظم جمادى الثانية، بعدما خلت منه أحدى عَشَرَ يومًا، سنة أربعٍ وتسعينَ بعد المائةِ والألفِ.

وكان الفراغ منه وقت الضحى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين ذي الحجة سنة ١١٩٤م [١٧٨٠][٨١] كاتبه العبد الحقير محمد بن علي(...)[٨٢] غفر الله له ولوالديه، و لجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تَسليمًا.

---

(٨٠) في (آ) الجزائري أصلاً.

(٨١) ما بين معقوفتين زيادة منا.

(٨٢) لم نقف على قراءة هذه الكلمة.

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات:

- محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية رقم تحت رقم ٢٥٢١.
- محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلاني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية رقم تحت رقم ٢٦٢٦.
- عبد الرحمن الجامعي: (فتح وهران) مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية.

المصادر والمراجع:

١. أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، د-ط، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية.

٢. أحمد بن هطال: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي ١٧٨٥م، حرّرها وقدّم لها محمد ابن عبد الكريم، د- ط، دار إرتياد الآفاق دون سنة نشر.

٣. أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، ط الأولى، الجزائر، البصائر،٢٠٠٧م.

٤. الآغا بن عوده المزاري: طلوع سعد السعود، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز،د-ط، الجزائر،دار البصائر،٢٠٠٧م،ج١.

٥. جون ب وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

٦. حسين بن رجب شاوش بن المفتي: تقيدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلماؤها، جمعها واعتنى بها، فارس كعوان،ط الأولى، ٢٠٠٩م، العلمة، الجزائر، بيت الحكمة.

٧. خيرالدين الزر كلي: الأعلام، ط١٥، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م،ج٧.

٨. زامباروا: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر زكي محمد حسن وآخرون، د- ط، بيروت، لبنان، دار الرائد العربي.

٩. صالح حيمر: التحالف الأوروبي ضد الجزائر سنة ١٥٤١م وتأثيراته الدولية والإقليمية رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٦م.

١٠. صالح زهر الدين: موسوعة المعارك العربية من الفتح إلى غاية ١٩٦٨م، ت مصطفى الطلاس ورياض تقي الدين،ط الأولى، بيروت، لبنان، دار الندوة الجديدة، ٢٠٠٠م.

١١. فارس كعوان: النظام العثماني والفئات الاجتماعية في الجزائر الكراغلة نموذجًا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٤م.

١٢. محمد أبو راس الجزائري: فتح الإله ومنّته في التّحدث بفضل ربي ونعمته، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، د-ط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

١٣.محمد بن أحمد أبي راس الناصر: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق محمد غالم، د-ط، منشورات CRASC، الجزائر،٢٠٠٥،ج٢.

١٤.محمد بن صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلاد قسنطينة واستلائهم على أوطانهم.

١٥.محمد بن يوسف الزياني:دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، د-ط، الجزائر، (ش و ن ت)، ١٩٧٩م.

١٦.مولاي بلحميسي: غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (١٥٤١/٩٤٨) بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية، مجلة الأصالة، العدد الثامن، ماي- جوان ١٩٧٢م، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

١٧.ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، د-ط، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٩م، ج١.

١٨.ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان،د-ط، بيروت، لبنان، دار صادر، ١٩٩٧م.

مراجع اللغة الفرنسية:

1. Alphonse Rousseau: Chroniques de la régence d'Alger, Traduites d'un manuscrit arabe intitulé "EL-ZOHRAT-EL-NAYERAT", IMPRIMERIE DU GOVROMENT, ALGER,ANNEE1841
2. BRESNIR.J: Récit indigène de l'expédition D'O'REILLY, REVUE AFRICAINE, ANNEE1864, N°8.
3. Cher Bonneau M-A: Constantine et ses antiquités trait de nouvelles annales des voyages, Février 1857, Imprime porthumot, Paris.
4. De Grammont: Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux Editeur, Paris, 1887.
5. Devoulx A: Expédition d'O'Reilly d'après du document turc, in R-A (1858) volume N°03
6. Dournon A: kitâb tarika qosântina, par EL hadj Ahmad El mobârke,in R-A, Volume 57, 1913,
7. Ernest Mercier: L'Algérie et les questions algérienne étude historique statistique et économique, Challamel Ainé éditeur libraire algérienne et colonial, Paris, 1883.